فتح الرحيم الودود

في التعليق على

كتاب السنة من سنن الإمام أبي داود

الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ٢٠١٣/٣٤٩٢م

منارة الإسلام
للنشر والتوزيع

٨١ شارع الهدي المحمدي – أحمد عرابي – مساكن عين شمس – القاهرة مصر

جوال: ٠١٢٠٥٥٤٠٤٢٢/ ٠٠٢ - ٠١١٤١١٤٦٣٦٦/٠٠٢

E-mail:Manart.aslam@yahoo.com / Manart-aslam@hotmail.com

دار المنهاج

٨١ شارع الهدي المحمدي – من أحمد عرابي – مساكن عين شمس القاهرة - مصر

جوال: ٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١/٠٠٢ – ٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨/٠٠٢ – ٠١٢٨٨٨٨٤١١٣/٠٠٢

E-mail: daralminhaj@yahoo.com / daralmenhaj@hotmail.com

فتح الرحيم الودود

في التعليق على

كتاب السنة من سنن الإمام أبي داود

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

منارة الإسلام للنشر والتوزيع

دار المنهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا، وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد:

فإنَّ الشَّريعة الغرَّاء قائمة عَلَىٰ الأصلين الجليلين؛ كتاب الله وسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ، وفي التَّمسُّك بهما الهُدَىٰ، والفَلَاح، والرَّشَاد، والسَّعَادة الحقيقيَّة في الدُّنيا والآخرة؛ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٧].

وقد حَفِظَهما اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من تَحْريف الغَالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ فتكفَّل سبحانه بحفظ الذكر الحكيم؛ فقال جل في عُلاه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩]، وقيَّض للسنة رجالًا أفذاذًا عظماء ذبُّوا عنها افتراء المفترين، ونَفوا عنها تزييف المُحرِّفين، حتَّىٰ استبان -بفضل الله- الصَّحيحُ من السَّقيم، واتَّضحت مَعَالم الطَّريق ودُرُوبه أَظْهر ما يكون.

ووصلت إلينا كتبُ السُّنَّة الشَّريفة الَّتي تحمل كلام خير البرية عن طريق أولئك الحُفَّاظ المتقنين أصحاب السُّنَّةِ والحديث والأثر، بعد أن استغرقوا وُسعهم،

وبذلوا جهدهم، ولم يَدعوا وسيلة من وسائل التَّثبت والتَّيقن إلَّا سَلكوها؛ تَحَمُّلًا وأداءً؛ فجزاهم الله خير الجَزاء، وأَحْسَن مَثُوبتهم في دار الكرامة والعطاء.

ومن أهم كتب السُّنة: الكتب السِّتة، وهي: «الصحيحان»، و«سنن أبي داود»، و«سنن النَّسائيِّ»، و«جامع التِّرمذيِّ»، و«سنن ابن ماجة».

وقد أصبح لهذِهِ الكُتُب من المَنْزلة الرَّفيعة ما جعل بَعْض العُلَماء يُطْلق عليها اسم الصحاح، ولم يُزاحم هذِهِ الكُتُبَ إلَّا «مسندُ أحمد»، و«موطأ مالك»، و«سنن الدَّارمي»، ولكلٍّ منها مَزِيَّةٌ.

ومهما يكنْ مِن أَمْر، فقد غَدَت هذِهِ الكُتُب التِّسعة من أشهر كُتُب السُّنَّة، ومَصَادر لفَهْم الدِّين؛ أُصُولِهِ وفُرُوعِهِ، ومن أجل ذلك فقَدْ حَظِيَتْ بعناية المُسْلِمِينَ عَلَىٰ مرِّ العُصُور؛ دراسةً، وشرحًا، واستنباطًا، وتخريجًا، واختصارًا، وفهرسةً، وغير ذلك.

وقَدْ حَرَص عُلَماءُ كلِّ زمانٍ عَلَىٰ تَقْريب كُتُب السُّنَّة من طُلَّابها، وتبيين ما انطوت عليه من دررٍ ولآلئَ، وتَقْريب مَعَانيها الجزيلة إلىٰ طُلَّاب العلم في مَشَارق الأرض ومَغَاربها، فَشمَّروا عَنْ سَاعِدِ الجدِّ لشَرْحها، والتَّعليق عليها، وإظهار ما فيها من هدايةٍ ونورٍ للبشريَّة جَمْعاء؛ لذلك وَجَدنا -بفَضْل الله تَعَالىٰ- شُرُوحًا عديدةً لجُلِّ كُتُب السُّنَّة.

ومن كُتُب السُّنَّة المَشْهورة والَّذي له منزلةٌ عظيمةٌ بعد «الصَّحيحين»: كتاب «سنن أبي داود»، والَّذي عَني فيه مُؤلِّفه بجَمْع أَحَاديث الأَحْكَام، وتَرْتيبها، وَإِيرَادها تَحْت تراجم أبواب تدلُّ عَلَىٰ فقهِهِ وتَمكُّنه في الرِّواية والدِّراية، ممَّا جَعَل أبا سليمان الخَطَّابي في أَوَّل كتاب «معالم السُّنَن» يقول عنه: «وقَدْ جَمَع أبو

داود في كتابِهِ هَذَا من الحديث في أُصُول العلم، وأُمَّهات السُّنن، وأَحْكَام الفقه ما لا نَعْلم مُتقدِّمًا سبقه إليه، ولا مُتأَخِّرًا لحقه فيه».

وكذلك يصفه ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «ولمَّا كَانَ كتاب السُّنن لأبي داود سُلَيمان بن الأشعث السجستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الإسلام بالمَوْضع الَّذي خَصَّه الله به، بحيث صَارَ حكمًا بين أَهْل الإسلام، وفصلًا في موارد النِّزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضىٰ المحققون، فإنَّه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتَّبها أحسن ترتيب، ونظَّمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، واطِّرَاحه منها أَحَاديث المَجْروحين والضُّعَفاء».

وكتاب «سنن أبي داود» مُقدَّمٌ عَلَىٰ غَيْره من كُتُب السُّنن الأخرىٰ، وقَدْ بلغ مجموع كَتبَه خمسةً وثلاثين كتابًا، وبَلَغ مَجْموع أحاديثِهِ (٥٢٧٤) حديثًا.

وأَعْلَىٰ الأَسَانيد في «سنن أبي داود» الرُّباعيَّات، وهي الَّتي يكون بَيْنه وبَيْنَ رسول الله ﷺ فيها أَرْبَعَة أَشْخَاصٍ.

ولسنن أبي داود عدَّة شُرُوح، من أَشْهرها: «عَوْن المعبود» لأبي الطَّيِّب شمس الحقِّ العظيم آبادي.

ولِمَا لهَذَا السِّفْر العظيم (سنن أبي داود) من أهمِّيَّةٍ بالغةٍ، ولما لكتاب السُّنَّةِ منه من منزلةٍ عاليةٍ؛ قام شيخُنا العلَّامة أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشرح كتاب السُّنَّة من «سنن أبي داود» في دُرُوسِهِ العلميَّة؛ لما اشتملت عليه الأَحَاديث الَّتي جَمَعها الإمام أبو داود في كتاب السُّنَّة من «سننه» من فَوَائدَ وفرائدَ، وأُمُورٍ مهمَّاتٍ تحتاج الأُمَّة إلىٰ دِرَاسَتها وفَهْمها فهمًا عميقًا حتَّىٰ تُترجم ذلك إلىٰ واقعٍ عمليٍّ؛

تَقْتفي فيه أثر نَبيِّها ﷺ الأمين، وهَدْي أصحابِهِ المُكْرمين، رضوان الله عليهم أَجْمَعين.

علمًا بأنَّ كتاب السُّنَّة من «سنن أبي داود» قد اشتمل عَلَى الأبواب التَّالية:

١- باب شرح السُّنَّة.

٢- باب النَّهي عن الجدال واتِّباع المُتَشابه من القرآن.

٣- باب مُجَانبة أَهْل الأَهْوَاء، وبُغْضهم.

٤- باب تَرْك السَّلام عَلَىٰ أَهْل الأَهْوَاء.

٥- باب النَّهي عن الجدال في القرآن.

٦- باب في لُزُوم السُّنَّة.

٧- باب لُزُوم السُّنَّة.

٨- باب في التَّفضيل.

٩- باب في الخُلَفاء.

١٠- باب في فَضْل أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ.

١١- باب في النَّهي عن سبِّ أصحاب رسول الله ﷺ.

١٢- باب في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه.

١٣- باب ما يدلُّ عَلَىٰ ترك الكلام في الفتنة.

١٤- باب في التَّخيير بين الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام.

١٥- باب في ردِّ الإرجاء.

١٦- باب الدَّليل عَلَىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

١٧- باب في القَدَر.

١٨- باب في ذراري المشركين.

١٩- باب في الجهميَّة.

٢٠- باب في الرُّؤية.

٢١- باب في الرَّدِّ عَلَىٰ الجهميَّة.

٢٢- باب في القرآن.

٢٣- باب في ذكر البعث والصور.

٢٤- باب في الشَّفاعة.

٢٥- باب في خلق الجنَّة والنَّار.

٢٦- باب في الحوض.

٢٧- باب المسألة في القَبْر وعَذَاب القَبْر.

٢٨- باب في ذكر الميزان.

٢٩- باب في الدَّجَّال.

٣٠- باب الخَوَارج.

٣١- باب في قتال الخَوَارج.

٣٢- باب في قتال اللُّصوص.

وأنت ترىٰ أنَّ هذِهِ الأبواب بما اشْتملَتْ عَلَيه من أحاديثَ نَبويَّةٍ، وآثارٍ سلفيَّةٍ تُعالج ما نعيشه من فتنٍ، وما نحياه من واقع أليم، وتُقدِّم لنا سفينة النَّجاة سليمة متينةً قويَّةً؛ مَنْ ركبَ فيها نجا، ومَنْ تَخلَّف عنها هَلَك.

هذا، وَقَدْ قام قسمُ التحقيق والبحث العلمي بـ«دار المنهاج» بالتعاون مع

اللجنة العلمية لمؤلفات الشيخ العلاَّمة المُحَدِّث أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ بتحقيق هذا الكتاب القَيِّم النَّافع تحقيقًا علميًّا وَفْق الخطوات العلميَّة المنهجيَّة التَّالية:

١- تفريغ الأشرطة تفريغًا جَيِّدًا.

٢- تَحْويل الكلام المَسْموع إلىٰ كتاب مَقروء يحتاج في بعض الأحيان إلىٰ إعادة صياغة لبعض العبارات، والتَّدخُّل للرَّبط بين الجُمَل والفقرات، وفَهْم فكرة الشَّيخ، ثمَّ كتابتها بغير تكرار، ولا إِسْهَاب، ولا إخلال بمضمونها، وهَذَا ما تمَّ عملُهُ أثناء المُرَاجعة والتَّحقيق.

٣- العمل عَلَىٰ تَيْسير الفهم الأمثل للشَّرح، وذلك بعمل فقراتٍ له؛ بحيث تكون كلُّ فكرةٍ في فِقْرةٍ مستقلَّةٍ، ووضع علامات التَّرقيم المناسبة، وتَشْكيل ما يُشْكل فيه.

٤- إثبات الآيات القرآنيَّة بالرَّسم العثمانيِّ، وعَزْوها إلىٰ مَوَاضعها في المُصْحف الشَّريف.

٥- شرح الغريب من كُتُب الشُّرُوح المُعْتمدة، وكُتُب اللُّغة.

٦- تَخْريج الأَحَاديث بمنهج موحَّد، بحيث لم يُتْرك حديثٌ بدون تخريج، وقد اعتمدنا في التَّخريجات عَلَىٰ كُتُب الحديث ذات التَّرقيمات المعتمدة؛ كـ «ترقيم مُحمَّد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ».

٧- اكتفينا بتَخْريج الحديث إِنْ كَانَ في «الصَّحيحين»، أو أحدهما بذكر رقمِهِ فقط، وإِنْ كَانَ في غيرهما ذكرنا رَقَمه، أو رَقَم الجزء والصَّفحة، ثمَّ أَوْرَدنا حُكْمَ الشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيه غالبًا.

٨- بالنِّسبة لأَحَاديث (كتاب السُّنَّة) من «سنن أبي داود» خرَّجناها من كتاب «سنن أبي داود»، بحيث ذكرنا رقم الحديث فيه، وقمنا بذكر حكم الشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَلَيه في الحاشية؛ مستفادًا من كتاب «سنن أبي داود»، بأحكام الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نشر مكتبة المعارف - الرياض.

٩- تخريج الآثار من كُتُب التَّفاسير، وكُتُب السُّنَّة.

١٠- عزو النُّقولات إلىٰ مصادرها من كُتُب أَهْل العلم.

١١- أَثْبَتْنا الأحاديثَ الَّتي أَوْرَدَها الشَّيخ أثناء التَّعليق بالمعنىٰ من كتب السُّنَّة بألفاظها، وذلك في الحاشية؛ لتَتَّضحَ الفائدةُ من ذِكْرِهَا.

١٢- أَوْرَدنا بعض التَّعليقات الَّتي رأيناها لازمةً لإيضاح المعنىٰ.

١٣- قُمْنا بعَمَل مُقدِّمةٍ للتَّحقيق بَيَّنَّا فيها المنهج المتَّبع في تحقيق هَذَا الشَّرح المُبارك.

١٤- تَرْجَمنا للإمام أبي داود السجستاني صاحب السُّنن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٥- قَدَّمنا تعريفًا بكتاب «سنن أبي داود» وأَهميَّته، ومنزلته بين كُتُب الحديث.

والله من وَرَاء القَصْد، وهو المُوفِّق والهادي إلىٰ سواء السَّبيل.

وصلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعَلَىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللجنة العلمية لمؤلفات العلامة أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قسم التحقيق والبحث العلمي بـ«دار المنهاج»

التعريف بكتاب «سنن أبي داود»

هَذَا الكتابُ مِن أَهَمِّ كُتُب الإسلام، وهو أَحَدُ الكُتب السِّتَّة الَّتي تَقبَّلتها الأُمَّة بقبولٍ حسنٍ.

۞ اسم الكتاب:

الاسم المَعروف به هو: «السُّنَن»، ويبدو أنَّ المُؤلِّف نفسه سمَّاه بهَذَا الاسم، نستدلُّ عَلَىٰ ذلك من قوله في رسالتِهِ إلىٰ أَهْل مكَّة: «فإنَّكم سألتم أَنْ أَذْكر لَكُمُ الأَحَاديثَ الَّتي في كتاب «السنن»؛ أهي أصحُّ ما عَرَفْتُ في الباب؟».

وقوله في الرِّسالة المذكورة أيضًا: «وإنَّ من الأحاديث في كتابي «السُّنن» ما ليس بمُتَّصل، وهو مُرْسَل...».

وكذلك، فإنَّ العلماءَ عَلَىٰ مرِّ العُصُور كانوا يدعون كتابه بـ«السُّنَن».

وأمَّا كلمة «السُّنَن»: فهي جمع سُنَّةٍ.

والسُّنَّة لغةً: الطَّريقة المسلوكة المتَّبَعَة.

وعند جمهور العُلَماء: تُرادف الحديث؛ وهو قول النَّبيِّ ﷺ، وفعله، وتقريره، وصفته.

وهُنَاك استعمالٌ خاصٌّ للسُّنن ذَكَره الكِتَّانيُّ في كتابه القيِّم: «الرِّسالة المستطرفة»، فقال: «وهي في اصطلاحهم الكُتُب المُرتَّبة عَلَىٰ الأبواب الفقهيَّة من الإيمان، والطَّهارة، والصَّلاة، والزَّكاة، وليس فيها شيءٌ من الموقوف؛ لأنَّ الموقوف لا يسمَّىٰ في اصطلاحهم سُنَّةً، ويُسمَّىٰ حديثًا».

وهكذا، فإنَّ كُتُب السُّنن يَنْبغي أن تتوافرَ فيها الأُمُور الآتية:

١- أَنْ تكتفي بذِكْرِ الأَحَاديث، وأَلَّا يُذْكَر فيها شيءٌ من الآثار.

٢- أَنْ تكونَ هذِهِ الأحاديثُ مُتعلِّقةً بالأحكام.

٣- أن تُرتَّب الأحاديث عَلَىٰ أبواب الفقه.

ومن هنا يتَّضِح لنا لماذا سمَّىٰ كتابه «السُّنن»؛ وذَلِكَ لأنَّه جَمَع أحاديثه من وجهةٍ فقهيَّةٍ، فلَمْ يضمنه غير أحاديث الفقه والتَّشريع، ممَّا وَرَد في الأخلاق، والأخبار، والزُّهد، ونحو ذلك. قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالتِهِ إلىٰ أَهْل مكَّة: «وإنَّما لم أُصنِّف في كتاب «السُّنن» إلَّا الأحكام، ولم أُصنِّف كتب الزُّهد وفَضَائل الأعمال، وغيرها».

وقد يُطلقون عَلَىٰ كتاب أبي داود ونحوه لفظ: الصِّحاح. قَالَ حاجي خَليفة يَنْقل عن ابْن السُّبكي قَوْله في «سُنَن أبي دَاوُدَ»: «وهِيَ مِن دَوَاوين الإِسْلَام، والفقهاءُ لا يَتَحاشون من إطلاق لفظ «الصِّحاح» عليها وعَلَىٰ «سنن التِّرمذيِّ»، ولا سيَّما سنن أبي داود».

هذا؛ وقَدْ ذَهَب بَعْضُ العُلَماء إلىٰ أنَّ أبا داود هو أَوَّل مَنْ صَنَّف في السُّنَن. قَالَ الكِتَّانيُّ: «وهو أَوَّلُ مَن صَنَّفَ في السُّنَن»، وفيه نظر يتبيَّن مما يأتي.

ومهما يكن من أمرٍ، فإنَّ من المؤكَّد أنَّ أبا داود كَانَ من السَّابقين إلىٰ التَّأليف في هَذَا المَجَال؛ ذلك لأنَّ مجرَّد اختلاف العلماء في كونه أوَّل مَنْ صنَّف في السُّنن يدلُّ بوضوحٍ عَلَىٰ سَبْقه في ذلك الصَّدد.

ويذهب الخَطَّابيُّ إلىٰ أنَّ أبا داود لم يُسبَق إلىٰ الإجادة في جمع السُّنَن، فقال: «فأمَّا السُّنن المَحضة فلم يَقْصد واحدٌ منهم جَمْعَها واستيفاءها، ولم يَقْدر عَلَىٰ تَخْليصها واختصار مَوَاضعها من أثناء تلك الأَحَاديث الطَّويلة، ومن أدلَّة سياقها عَلَىٰ حَسَب ما اتفق لأبي داود».

وقال الخَطَّابيُّ أيضًا: «وقَدْ جَمَع أبو داود في كتابه هَذَا من الحديث في أُصُول العلم، وأُمَّهات السُّنن، وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدمًا ما سبقه إليه، ولا مُتأخِّرًا لَحِقَهُ فيه».

۞ ثناء العلماء على «السنن»:

• **قَالَ أبو زَكَريا السَّاجي:** «كتاب الله أَصْل الإسلام، وكتاب «السُّنن» لأبي داود عهد الإسلام».

• **وقال مُحمَّد بن مخلد:** «لمَّا صنَّف أبو داود «السُّنَن»، وقَرَأه عَلَىٰ النَّاس، صَارَ كتابُهُ لأَهْل الحديث كالمصحف يَتَّبعونه، وأقرَّ له أهلُ زمانِهِ بالحفظ فيه».

• **وقال ابْنُ الأعرابيِّ وأشار إلىٰ النُّسخة وهي بين يديه:** «لو أنَّ رجلًا لم يكن عنده من العلم إلَّا المُصْحف الَّذي فيه كتاب الله، ثمَّ هَذَا الكتاب؛ لَمْ يحتَجْ معهما إلىٰ شيءٍ من العلم بتَّة».

وعلَّق الخطابيُّ عَلَىٰ كلمة ابن الأعرابيِّ هذِهِ، فقال: «وهَذَا -كَمَا قال- لا شكَّ فيه؛ لأنَّ الله تَعَالىٰ أنزلَ كِتَابَهُ تبيانًا لكلِّ شيءٍ، وقَالَ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، فأَخْبَر سُبْحَانه أنَّه لم يُغَادر شيئًا من أَمْر الدِّين لَمْ يَتضمَّن بيانَهُ الكتابُ، إلَّا أنَّ البيانَ عَلَىٰ ضَرْبين:

- بيانٌ جليٌّ تَناوَله الذِّكر نصًّا.

- وبيانٌ خفيٌّ اشتمل عَلَيه معنىٰ التِّلاوة ضمنًا.

فَمَا كَانَ من هَذَا الضَّرب، كَانَ تفصيل بيانه مَوْكولًا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وهُوَ مَعْنىٰ قولِهِ سُبْحَانه: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤]، مَنْ جَمَع بَيْنَ الكتاب والسُّنَّة، فقد اسْتَوْفىٰ وَجْهي البَيَان، وقَدْ جَمَع أبو داود في كتابِهِ هَذَا من الحديث في أُصُول العلم، وأُمَّهات السُّنن، وأحكام الفقه ما لا نَعْلم مُتقدِّمًا سبقه إليه، ولا مُتأخِّرًا لحقه فيه».

• **وقال الخَطَّابيُّ أيضًا:** «كتاب «السُّنن» لأبي داود كتابٌ شريفٌ لم يُصنَّف في علم الدِّين كتابٌ مِثله، وقد رُزق القَبولَ من النَّاس كافَّة، فصار حَكَمًا بين فِرَقِ العلماء وطَبَقَات الفقهاء عَلَىٰ اختلاف مَذَاهبهم، فلكلٍّ فيه وِرْدٌ، ومنه شِرْبٌ، وعَلَيه مُعوَّل أَهْل العراق، وأَهْل مصر، وبلاد المغرب، وكثير من مُدن أقطار الأرض، فأمَّا أَهْل خُرَاسان فقَدْ أولع أكثرهم بكتابي مُحمَّد بن إسماعيل، ومسلم ابن الحَجَّاج، ومَنْ نَحَا نحوهما في جمع الصَّحيح عَلَىٰ شَرْطهما في السَّبْكِ والانتقاد، إلَّا أنَّ كتابَ أبي دَاوُدَ أَحْسَن رصفًا، وأكثر فقهًا».

وقال الخَطَّابيُّ أيضًا: «اعْلَموا أنَّ الحديث عند أهلِهِ عَلَىٰ ثَلَاثة أقسام: حديث صحيح، وحديث حسن، وحديث سقيم.

فالصَّحيح عندهم: ما اتَّصَلَ سَندُه، وعدلت نَقَلَته.

والحَسَن منه: ما عُرِفَ مَخرجه، واشتهر رجالُهُ، وعَلَيه مدار أكثر الحديث، وهو الَّذي يَقْبلُهُ أَكْثَر العلماء، ويستعملُهُ عامَّة الفقهاء.

وكتابُ أبي داود جامعٌ لهَذَين النَّوعين من الحديث.

فأَمَّا السَّقيم منه فعَلَىٰ طبقاتٍ، شرُّها الموضوعُ، ثمَّ المقلوبُ (أعني ما قلب إسناده)، ثمَّ المجهول.

وكتاب أبي داود خَلِيٌّ منها، بريءٌ من جملة وُجُوهها، فإِنْ وقع فيه شيءٌ من بَعْض أقسامها لضربٍ من الحاجة تَدْعوه إلىٰ ذِكْره، فإنَّه لا يَألو أن يُبيِّن أمره، ويذكر عِلَّته، ويَخرج من عُهْدَتِهِ.

وحُكي لنا عن أبي داود أنَّه قَالَ: «ما ذكرتُ في كتابي حديثًا اجتمع النَّاسُ عَلَىٰ تَرْكه».

وكان تَصْنيف علماء الحديث -قبل زمان أبي داود- الجَوَامع، والمَسَانيد، ونحوهما، فتَجْمَع تلك الكُتُب إلىٰ ما فيها من السُّنن والأحكام أخبارًا، وقصصًا، ومواعظَ، وآدابًا، فأَمَّا السُّنن المحضة فلم يقصد واحدٌ منهم جمعها واستيفاءها، ولم يَقْدر عَلَىٰ تَخْليصها وَاخْتصَار مَوَاضعها من أثناء تلك الأَحَاديث الطَّويلة، ومن أدلَّة سياقها عَلَىٰ حَسَب ما اتفق لأبي داود، ولذلك حلَّ هَذَا الكتابُ عند أئمَّة الحديث وعُلَماء الأثر محلَّ العَجَب، فضُرِبَتْ فيه أَكْبادُ الإبل، ودَامَت إليه الرِّحل».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لمَّا كَانَ كتاب «السُّنن» لأبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الإسلام بالموضع الَّذي خَصَّه الله به، بحيث صار حَكَمًا بين أَهْل الإسلام، وفَصْلًا في موارد النِّزاع والخصام، فإليه يَتَحَاكم المُنصفون، وبحكمِه يرضىٰ المُحقِّقون، فإنَّه جَمَعَ شَمْل أحاديث الأحكام، ورتَّبها أحسن ترتيب، ونظَّمها أحسن نظام، مع انْتقَائها أَحْسَن انتقاءٍ، واطِّراحه منها أَحَاديث المَجْروحين والضُّعفاء».

تأليف أبي داود لكتاب السنن:

أَلَّف أبو داود كتابه «السُّنَن» في وقتٍ مُبكرٍ، وعني بتأليفه وترتيبه عنايةً بالغةً، وأعاد النَّظَر فيه مَرَّات مُتعددة، وهَذَا أمرٌ لا شكَّ فيه.

أقسام الكتاب وتبويبه:

خَلَا الكتابُ من المُقدِّمة، وهَذَا مَوْضعُ تَعجُّبٍ؛ ذلك لأنَّ مُؤلِّفه كتب رسالةً في وَصْف «سننه»، وهي أَحْسَن ما تكون توضيحًا لعملِهِ، وعرضًا لخُطَّتِهِ، ووضعًا للأُمُور في نِصَابها، ولو أنَّ قائلًا ذَهَب إلىٰ أنَّها تصلح أن تسدَّ مسدَّ المُقدِّمة لما كَانَ مخطئًا.

وليس أبو داود وحده الَّذي خَلَا كتابُهُ من المُقدِّمة، بل شَارَكه في ذلك غيره، فالبخاريُّ أيضًا لَمْ يكتب لجامعِهِ الصَّحيح مُقدِّمةً، لكنَّ الفرق بينهما أنَّ البخاريَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يتح له النَّظر في كتابه بعد تأليفِهِ، أمَّا أبو داود فقَدْ بقي يقرأ «السُّنن»، ويُذيعها بين النَّاس أربعين سنةً.

ولعلَّ الأمرَ يتعلَّق بأطوار التَّأليف؛ إذ ليس البخاريُّ وأبو داود وحدهما لم

يكتبا مُقدِّمات لكتبهما، بَلْ نجد كذلك الإمامَ أَحْمَدَ لم يكتب مُقدِّمةً لـ«مسنده»، وابن المبارك لَمْ يكتب مُقدِّمةً لكتابيه: «الزُّهد»، و«الجهاد».

- ينقسم كتاب «السُّنَن» إلى كتبٍ كبيرةٍ بَلَغَت (٣٦ كتابًا)، هي:

١) الطَّهارة.

٢) الصَّلاة.

٣) الزَّكاة.

٤) اللُّقطة.

٥) المَنَاسك.

٦) النِّكاح.

٧) الطَّلاق.

٨) الصَّوم.

٩) الجهاد.

١٠) الضَّحايا.

١١) الصَّيد.

١٢) الوَصَايا.

١٣) الفَرَائض.

١٤) الخَراج والإمارة والفيء.

١٥) الجَنَائز.

١٦) الأيمان والنُّذور.

١٧) البُيُوع.

١٨) الإجارة.

١٩) الأَقضية.

٢٠) العلم.

٢١) الأَشْربة.

٢٢) الأَطْعمة.

٢٣) الطِّب.

٢٤) العتق.

٢٥) الحُروف والقراءات.

٢٦) الحمام.

٢٧) اللِّباس.

٢٨) التَّرجل.

٢٩) الخاتم.

٣٠) الفتن.

٣١) المهدي.

٣٢) الملاحم.

٣٣) الحدود.

٣٤) الدِّيَات.

٣٥) السُّنَّة.

٣٦) الأدب.

وكلُّ كتابٍ من هذِهِ الكُتُب يَنقسم إلىٰ أبوابٍ، باستثناء ثلاثة كُتُبٍ لم نجد فيها أبوابًا، هي:

- كتاب اللُّقطة.

- وكتاب الحُرُوف والقراءات.

- وكتاب المهدي.

ومجموع عدد أبواب كتاب «السُّنن» -حسب إحصاء الأستاذ مُحمَّد محيي الدِّين عبد الحميد- هو (١٨٨٩ بابًا).

درجات أحاديث الكتاب وأنواعها:

يَذكر العلماءُ كتابَ «السُّنَن» لأبي داود عَلَىٰ أَنَّه مِن مظانِّ الحديثِ الحَسَن.

قال ابن الصَّلاح: «رُوِّينا عنه (أي: عن أبي داود) أنَّه قَالَ: ذكرتُ الصَّحيح وما يشبهه ويقاربه، وما كَانَ فيه وهنٌ شديدٌ، وما لم أذكر فيه شيئًا فهو صالحٌ، وبعضها أصحُّ من بعض».

وعَقَّب ابن الصَّلاح على ذلك بقوله: «فعلىٰ هَذَا ما وجدناه في كتابه مذكورًا مطلقًا، وليس في واحدٍ من «الصَّحيحين»، ولا نصَّ عَلَىٰ صحَّته أحدٌ عرفنا أنَّه الحسن عند أبي داود».

والحقُّ أنَّ أحاديثَ أبي داود مُتَفاوتة المراتب.

هذا؛ وقَدْ شَهِدَ العُلماء بأنَّ أبا داود قَدْ وفَّىٰ بوعده بتَبْيين ما فيه وهنٌ شديدٌ.

نقل السُّبْكي عن الذَّهَبيِّ قوله الآتي: «وقد وفَّىٰ بذلك، فإنَّه بيَّن الضَّعيف الظَّاهر، وسَكَتَ عن الضَّعِيف المُحتمل، فما سَكَتَ عنه لا يكون حسنًا عنده ولا بدَّ، بل قَدْ يكون ممَّا فيه ضعفٌ».

۞ موازنة بين «سُنَن أبي داود» و«الصَّحيحين»:

هَذَا الموضوعُ كبيرٌ وجليلٌ ومهمٌّ، ويحتاج لدراسةٍ مستفيضةٍ، لكنَّني أودُّ أن أشير فقط إلىٰ أنَّ كتاب السُّنن جليل الشَّأن عند كثيرٍ من العُلَماء المُتقدِّمين، فهُوَ يَأْتي بعد «الصَّحيحين» مباشرةً، بل إنَّ الخَطَّابيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قدَّم «السُّنن» عليهما.

وقد قال الخَطَّابيُّ: «فأمَّا أَهْل خراسان فقَدْ أولع أكثرهم بكتابَيْ مُحمَّد بن إسماعيل، ومسلم بن الحَجَّاج، ومَنْ نحا نحوهما في جمع الصَّحيح عَلَىٰ شرطهما في السَّبك والانتقاد إلَّا أنَّ كتاب أبي داود أَحْسَن رصفًا، وأكثر فقهًا».

وقَدْ أقام عددٌ من العلماء مُوازنة بين «سنن أبي داود» و«صحيح مسلم»، وذكروا أوجه الاتفاق، وأوجه الاختلاف، ومنهم مَنْ رجَّح عمل هذا، ومنهم من رجَّح عمل ذاك.

والَّذي يَعْنينا هنا أنَّ طائفةً من العُلَماء تَرَىٰ أنَّ «سنن أبي داود» في دَرَجةٍ تُقَارب دَرَجة «الصَّحيحين».



ترجمة أبي داود صاحب «السنن»

اسمه ونسبه ومولده:

هو الإمام، الثَّبْت، شيخُ السُّنَّة، مُقَدِّم الحُفَّاظ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد بن عمرو بن عمران الأَزْدِي السِّجِسْتَاني، مُحَدِّث البصرة.

ولد أبو داود سنة (٢٠٢ هـ) في ظل الخليفة العباسي العالم المأمون.

وعمران هَذَا ذَكَر ابْنُ عَسَاكر وابْنُ حَجَر أَنَّه قُتِل مع عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصفين.

وأبو داود عربيٌّ صَمِيمٌ من الأَزْدِ. **والأزد**: قَبيلة مَعروفةٌ في اليَمن.

والسِّجستاني نسبة إلىٰ بلد سِجستان[1].

---

(١) **سجستان**: هي اليوم المنطقة التي تشمل القسم الغربي من أفغانستان وبعض إيران، وكانت ولاية واسعة هامة؛ من مدنها: (بست) و(كركوية) و(زرنج)، يُنسب إليها كثير من العلماء، منهم الإمام أبو داود السجستاني صاحب الترجمة، وكانت عاصمتها في العصور الوسطىٰ مدينة (زرنج)، وقد خَرَّبها تيمورلنك، وما زالت أطلالُها باقيةً.

نشأته:

وُلِدَ أَبُو دَاوُدَ سنة (٢٠٢ هـ)، وتَلقَّىٰ العِلْمَ عَلَىٰ عُلَماء بلدِهِ، ثمَّ ارْتَحَل وطوَّف بالبلاد فِي طَلَب العِلْم وتَحْصيل الرِّواية، فزَارَ العراقَ، والجزيرةَ، والشَّام، ومصرَ، وكَتَب عن عُلَماء هٰذِهِ البلاد جميعًا.

قال الخطيب: «وكَتبَ عَن العِرَاقيِّينَ، والخُرَاسانيِّين، والشَّاميِّين، والمِصْريِّين، والجزريِّين».

علمه:

كَانَ أبو داود أحد حُفَّاظ الإِسْلَام، وكَانَ من أَوْسَعِ العُلَماء مَعْرفةً بحديث رَسُولِ الله ﷺ، وفقهِهِ، وعللِهِ، ومُتُونِهِ، ورجالِهِ.

ويَبْدو أنَّ عُلَماءَ عَصْره كَانُوا يَعْرفون مَكَانتَه العلميَّة الكُبْرىٰ، ويُقدِّرونه حقَّ قَدْره؛ يدلُّ عَلَىٰ ذلك عددٌ من الأَخْبَار:

منها: ما ذَكَروا من أنَّ أحمد بن حنبل رَوَىٰ عنه حديثًا، وكان أبو دَاوُدَ شديدَ الاعْتزَاز بِهِ.

ومنها: ما ذَكَروا من أنَّ سَهْل بن عبد الله التستري جَاءَ إلىٰ أبي داود، فقيل: يا أَبَا داود، هَذَا سَهْلٌ جاءك زائرًا، فرحَّب به، وأَجَلَّه.

فَقَال له سهلٌ: يَا أَبَا دَاوُدَ، لي إِلَيْك حاجةٌ.

قَالَ: وَمَا هي؟

قَالَ: حتَّىٰ تقول قَدْ قَضَيتها مع الإِمْكَان.

قَالَ: قَدْ قَضَيتُهَا مَعَ الإِمْكَان.

قَالَ: أَخْرِج إِليَّ لِسَانَك الَّذي حَدَّثت به أَحَاديثَ رَسُول الله ﷺ حتَّىٰ أُقبِّلَه، فأَخْرجَ إِلَيه لِسَانَه، فَقبَّله.

وكان علمُهُ مُتَعَدِّد الجَوَانب، فهُوَ -مع تَخصُّصه في الحديث- فقيهٌ عظيمٌ، وقَدْ عدَّه الشَّيخ أبو الحَسَن الشِّيرَازِي في طَبقَات الفُقَهاء من جُمْلة أَصْحَاب أَحْمد ابن حنبل، وكَذَا أبو يَعْلىٰ في «طَبقَات الحَنَابلة»، والعليمي في «المَنْهج الأَحْمَد».

وأبو دَاوُدَ ناقدٌ كبيرٌ، وليس هَذَا غريبًا عَلَىٰ إمام من أَئمَّة الحديث؛ لأنَّ هَذَا العلم يُربِّي في أتباعِهِ حَاسَّةَ النَّقد، وقَد اسْتطَاع أن يبلغ مستوًىٰ راقيًا من رَهَافة الحسِّ، ودقَّة النَّقد.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو بكر الخلَّال: «أبو داود الإمام المقدَّم في زمانه، رجلٌ لم يَسْبقه إلىٰ معرفتِهِ بتَخْريج العُلُوم، وبصره بمواضعِهِ أحدٌ في زمانِهِ، رجل ورعٌ مقدَّمٌ، سَمِعَ منه أحمد بن حنبل حديثًا واحدًا، كَانَ أبو داود يذكره».

وقال أحمد بن محمد بن ياسين: «كَانَ أبو دَاوُدَ أَحَد حُفَّاظ الإِسْلَام لحديث رَسُول الله ﷺ، وعلمِهِ، وعِلَلِهِ، وسندِهِ، في أَعْلَىٰ دَرَجة النُّسك والعَفَاف، والصَّلاح والوَرَع، من فُرْسان الحديث».

وقال الحافظ موسى بن هارون: «خُلِقَ أبو داود في الدُّنيا للحديث، وفي الآخِرَةِ للجَنَّة».

وقال علان بن عبد الصَّمد: «سَمعتُ أَبَا داود، وكَانَ من فُرْسان الحديث...».

قال أبو حاتم بن حبان: «أبو دَاوُدَ أَحَد أئمَّة الدُّنيا فقهًا وعلمًا وحفظًا، ونُسُكًا وورعًا وإتقانًا، جَمَع وصَنَّف، وذَبَّ عن السُّنن».

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده: «الَّذين خَرجوا ومَيَّزوا الثَّابت من المَعْلول، والخَطَأ من الصَّوَاب أَرْبَعة: البُخَاريُّ، ومسلمٌ، ثمَّ أبو داود، والنَّسائيُّ».

وقال أبو عبد الله الحاكم: «أبو داود إِمَامُ أَهْل الحَدِيثِ في عَصْره بلا مُدَافعةٍ، سمع بمصرَ، والحِجَاز، والشَّام، والعِرَاقَيْن[١]، وخُرَاسان».

قلت (أي: الذَّهبي): «كَانَ أبو دَاوُدَ مع إمامتِهِ في الحديث وفُنُونِهِ من كبار الفُقَهاء، فكتابُهُ يدلُّ عَلَىٰ ذلك، وهو من نُجَباء أَصْحَاب الإمام أَحْمَد، لَازَمَ مجلسه مُدَّةً، وسأله عن دِقَاق المَسَائل في الفُرُوع والأُصُول.

وكان عَلَىٰ مذهب السَّلف في اتِّباع السُّنَّة، والتَّسليم لها، وتَرْك الخَوْض في مَضَائق الكَلَام.

رَوَىٰ الأعمش، عن إبراهيم، عن عَلْقمة، قَالَ: «كَانَ عبد الله بن مسعود يُشبَّه بالنَّبيِّ ﷺ في هَدْيه ودَلِّه، وكان عَلْقمة يُشبَّه بعَبْد الله في ذلك».

قال جرير بن عبد الحميد: «وَكَانَ إِبْرَاهيم النَّخعي يُشَبَّه بعَلْقمة في ذلك، وَكَانَ منصورٌ يُشَبَّه بإبراهيم».

---

(١) أي: البصرة والكوفة.

وقيل: «كَانَ سُفيان الثَّوريُّ يُشَبَّه بمنصور، وكان وكيعٌ يُشَبَّه بسفيان، وكان أَحْمَد يُشَبَّه بوكيع، وكان أبو داود يُشَبَّه بأَحْمَدَ».

طلبه للعلم وشيوخه:

ذَكَر ابن حجر أنَّ شُيُوخه في «السُّنن»، وغَيْرها من كُتُبه نحوٌ من (٣٠٠ نفس).

فقَدْ حَرَصَ الإمام أبو داود عَلَىٰ طَلَب العلم، والرِّحلة في سبيل تحصيلِهِ في سنٍّ مُبكِّرٍ من حياتِهِ، فقَدْ رَحَل إلىٰ بغداد سنة (٢٢٠ هـ)، وكان عُمُره آنذاك ثمانية عشر عامًا، ورَحَل إلىٰ الشَّام سنة (٢٢٢ هـ)؛ لذا فإنَّه حظي بعُلوِّ الإسناد؛ فهو يَفُوقُ الإمام مُسْلم في عُلوِّ الإسناد، بل إنَّه يُشَارك البخاريَّ في جماعةٍ من شُيُوخِهِ لَمْ يشاركه في الرِّواية عنهم غيرُهُ.

وَسَمِعَ من عليِّ بن المدينيِّ، ويَحْيىٰ بن معين، ومُحمَّد بن بَشَّار، وسمع بمكَّة من القعنبيِّ، وسُلَيمان بن حرب، وَسَمِعَ من مُسْلم بن إبراهيم، وعبد الله بن رَجَاء، وأبي الوليد الطَّيالسي، ومُوسَىٰ بن إسماعيل، وطَبقَتهم بالبَصْرة.

وَسَكَن البَصْرة، فنَشرَ بِهَا العِلْمَ، وكَانَ يَتردَّد إلىٰ بَغْداد.

قال الحاكم: «سُلَيمان بن الأَشْعَث السجستاني مَوْلدُهُ بسجستان، ولَهُ ولسلفِهِ إلىٰ الآن بها عقدٌ، وأملاكٌ، وأوقافٌ، خَرَج منها في طَلَب الحديث إلىٰ البَصْرة، فَسَكنها، وأَكْثَر بها السَّماع عن سُلَيمان بن حرب، وأبي النُّعمان وأبي الوليد، ثمَّ دَخَل إلىٰ الشَّام ومصر، وَانْصرَف إلىٰ العراق، ثمَّ رَحَل بابنه أبي بكر إلىٰ بقيَّة المَشَايخ، وجاء إلىٰ نيسابور، فسمع ابنه من إسحاق بن مَنْصور، ثمَّ خَرَج إلىٰ سجستان، وطَالَع بها أَسْبابَه، وانْصَرَف إلىٰ البَصْرة وَاسْتَوْطَنها».

وأُسْتَاذُهُ الإمام أَحْمد بن حنبل قَدْ تَكرَّر ذِكْره كثيرًا في أَخْبَار أبي داود، وقَد اتَّصل به ورَافَقَه، وعَرَض عَلَيه «سننه»، فَاسْتَجَادها، وكَانَ يسأَلُهُ أبو داود كثيرًا عن أُمُور الدِّين وشؤون الحَدِيثِ، وقَدْ بَلَغ من اهْتمَام أبي دَاوُدَ بأَجْوبة شيخِهِ أحمد أنْ أَلَّف كتابًا جَمَع فيه الأَسْئلَة الَّتي أُلْقيَتْ عَلَىٰ الإمام أَحْمَد، وأَجْوبتَهُ عَلَيها. وقَدْ طبع هَذَا الكِتَابُ بعُنْوان: «مَسَائل أَحْمَد».

تلامذته والرواة عنه:

حدث عنه :

أَبُو عِيسَىٰ التِّرمذيُّ في «جامعِهِ»، والنَّسائيُّ فيما قيل، وإِبْرَاهيم بن حَمْدان العاقولي، وأبو الطَّيِّب أَحْمَد بن إبراهيم بن الأَشْنَاني البغداديُّ، نزيلُ الرَّحبة، راوي «السُّنن» عنه، وابنُهُ أبو بكر بن أبي دَاوُدَ، وأبو بكر بن أبي الدُّنيا، وعبد الرَّحمن بن خَلَّاد الرَّامهرمزيُّ، وأبو بشر الدُّولابيُّ الحافظ، وأبو عليٌّ مُحمَّد بن أَحْمَد اللؤلؤي راوي «السُّنن»، وابن داسة ... وغَيْرهُمْ كثيرٌ.

وضعه الاجتماعي:

كَانَ أَبُو دَاوُدَ يَتمتَّع بمَنْزلةٍ اجتماعيَّةٍ مَرْموقةٍ، وقد اكْتَسَبَ شُهْرةً قليلةَ النَّظير، وشَاعَ كتابُهُ في حياتِهِ، وكان الطَّلبة يَؤمُّونَ مَنْزلَه من كلِّ مكانٍ.

وكَانَتْ له مُخَالطةٌ طَيِّبةٌ للعلماء في كلِّ الأَمْصَار، كَمَا كَانَتْ له صلةٌ قائمةٌ عَلَىٰ الاحترام مع الحُكَّام.

وكان الرَّجل مُتزوِّجًا، ولَه أَوْلَادٌ، من أَشْهرهم ابنُهُ: عبد الله.

ويَبْدو أنَّه كَانَ حريصًا عَلَىٰ أَنْ يطلبَ أَوْلَاده العلم فِي وقتٍ مُبكِّرٍ، ولذلك فقَدْ كَانَ يَأْخُذُهمْ مَعَه ليحضروا مَجَالسَ العِلْم وليَسْمَعوا.

۞ أخلاقه وصفاته:

كَانَ أَبو دَاوُدَ رجلًا كبيرًا ذا خُلُقٍ كَريمٍ، كَانَ صالحًا عابدًا ورعًا، وكان ذكيًّا مُجدًّا دَؤوبًا كثيرَ الاحْتمَال لمَشَاق الارْتحَال وطَلَب العلم، وكَانَ يقظًا شديدَ الانْتبَاه، يَعْرف النَّاس عَلَىٰ حقيقتهم، ولا تَنْطلي عَلَيه وَسَائل الخِدَاع، وكَانَ أبيًّا، كريمَ النَّفس، وَكَانَ جريئًا فِي الحقِّ، أمينًا عَلَىٰ رِسَالَةِ العِلْمِ، قائمًا بحقِّ الدِّين.

۞ كتبه:

١ـ كتاب السُّنن.

٢ـ كتاب المَرَاسيل.

٣ـ مَسَائل الإمام أَحْمَد فِي الفقه.

٤- سؤالات الإمام أبي دَاوُد الإمام أَحْمَد فِي عِلْمِ الرِّجال.

٥- النَّاسخ والمَنْسوخ.

٦- إِجَابَاته عَنْ سؤالات أبي عُبَيد مُحمَّد بن علي بن عُثْمان الآجري.

٧ـ رِسَالَة أبي دَاوُدَ إلىٰ أَهْل مكَّة فِي وَصْف سننه -يَنْبغي قِرَاءَتها لأَهمِّيَّتها.

٨- كتاب الزُّهد.

٩- كتاب القَدَر.

١٠- كتاب البَعْث والنُّشُور.

١١- المَسَائل الَّتي حَلَف عليها الإمام أَحْمَد.

١٢- دَلَائل النُّبوَّة.

١٣- التَّفرُّد في السُّنن.

١٤- فَضَائل الأَنْصَار.

١٥- مُسْنَد مالك.

١٦- الدُّعاء.

١٧- أَخْبَار الخَوَارج.

وغَيْرها من الكُتُب المَخْطوطة والمَطْبوعة.

وله مُؤلَّفاتٌ في حُكْم المفقود ذَكَرها المِزِّيُّ في «تَهْذيب الكَمَال» في ترجمتِهِ.

وفاته:

تُوفِّي أبو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْم الجُمُعة ١٥ شوَّال من سنة (٢٧٥هـ) بالبصرة، ودُفِنَ إلىٰ جانب قبر سُفْيان الثَّوريِّ بعد أن قدَّم خِدْمَاتٍ جليلةً لدينِهِ وأُمَّتِهِ.

مصادر ترجمته:

- الجَرْح والتَّعديل.
- تاريخ بغداد.

- طَبقَات الحَنَابلة.
- تاريخ ابن عساكر.
- المنتظم.
- وَفَيَات الأعيان.
- تَذْكرة الحُفَّاظ.
- طَبقَات السُّبكي.
- البداية والنِّهاية.
- تَهْذيب التَّهذيب.
- طَبقَات الحُفَّاظ.
- طَبقَات المُفسِّرين.
- شَذَرات الذَّهب.



ترجمة فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

۞ اسمه ونسبه:

هُوَ شَيْخُنا العَلَّامة، السلفي، الفَقِيه، المُسْند، المُحَدِّث، حاملُ لِوَاء السُّنَّة ونَاصِرُها، وقَاهِر البِدْعةِ ومُبْطلها، العَالِم الرَّبَّانيُّ الحَبْر، صَاحِبُ الأَخْلاقِ العَلِيَّة، والمَنَاقبِ الرَّضيَّة، ذُو التَّصانِيفِ النَّافعة، والمُصنَّفاتِ الجَلِيلة الرَّائعة، كَانَ مَنَارًا عَظِيمًا مِنْ مَنارَاتِ العِلْمِ، مُتَّفقًا علىٰ عِلْمِهِ، وإمامتِهِ، وجلالتِهِ، وزُهْدِهِ، ووَرعِهِ، وعبادتِهِ، وصيانتِهِ، مُفْتيًا لمِنْطقة جَازَان في عصرِهِ: **أَحْمد بْن يَحْيىٰ بْن مُحمَّد بْن شُبَير النَّجْمي**.

۞ ولادته ونشأته:

وُلِدَ الشيخُ أحمدُ بن يَحْيَىٰ النجمي في ٢٢/ ١٠/ ١٣٤٦هـ بقَرْية النجامية، وكَانَ وحيدًا لأَبَويْنِ صَالِحَين لم يُرْزقَا سِوَاه؛ ولِذَلِكَ نَذَرا أَلَّا يُكلِّفانه شيئًا من أُمُور الدُّنيا، بَلْ نَذَرا به لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في تَعْليمِهِ، وتَرْبيتِهِ تَرْبيةً سَلِيمةً صَحِيحةً.

❁ نشأته العلمية:

مَنَّ اللهُ ﷻ علىٰ منطقة جازان بقُدُومِ شيخٍ كبيرٍ، وعالمٍ جليلٍ قادمٍ من بلاد نجد؛ إنَّه الشَّيخ العَلَّامة/ عبد الله بْن مُحمَّد القرعاوي ﵀، وكَانَ قُدُومُه لمنطقة جازان عام ١٣٥٨هـ بأَمْرٍ من مُفْتي الدِّيار السُّعوديَّة آنَذَاك، سماحة الشَّيخ العَلَّامة/ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ ﵀، وقَدِ اسْتَقرَّ المقامُ بالشَّيخ القرعاوي ﵀ في صامطة داعيًا، ومُرْشدًا، ومُعلِّمًا، ثمَّ أَنْشَأ بَعْد ذَلِكَ المدرسةَ السَّلفيَّة بصامطة، وذَلِكَ في عام ١٣٥٩هـ .

وكان المُتَرجم له الشَّيخُ أحمدُ بن يحيىٰ النجمي ﵀ يَتردَّد علىٰ الشَّيخ القرعاوي ﵀ كثيرًا بصُحْبة عَمَّيه (الشَّيخ حسين بن محمد النَّجمي، والشَّيخ حسن بن محمد النَّجمي رحمهما الله)، وكَانُوا يَأْخُذون عنه جميعًا العلمَ الشَّرعيَّ.

وفي شهر صفر من عام ١٣٦٠هـ سَارَع الشَّيخ ﵀ مع أبناءِ قَريتِهِ النجامية بِالالْتِحَاقِ بالمَدْرسَة السَّلفيَّة بصامطة، وانْتَظمُوا في حَلْقة الشَّيخ عبد الله القرعاوي ﵀، وَاسْتَمعُوا لدُرُوسِهِ، وتَزَوَّدُوا من علمِهِ.

فأَخَذ الشيخُ ﵀ عن الشَّيخ القرعاويِّ ﵀ الأُصُولَ الثَّلاثةَ، والتَّجْويدَ، والتَّفْسيرَ وأُصُولَه، وتَابَع معه في عُلُوم القرآنِ، والتَّاريخ الإسلاميِّ، واللُّغة العربيَّة، وغيرها.

كما قرأ الشيخُ ﵀ علىٰ الشيخ القرعاوي ﵀ كتابَ «التَّوْحيد»، و«العقيدة الطَّحاويَّة» بشَرْح الشَّيخ القرعاوي، وقَرَأ عليه «بُلُوغ المرام»

و«البَيْقونيَّة»، و«نُخْبة الفِكَر»، وشرحها «نزهة النَّظر»، و«الدُّرر البهيَّة» مع شَرْحها «الدَّراري المضيَّة» في الفقه.

أعماله:

عُيِّنَ من قِبَلِ شَيْخِهِ مُدرِّسًا في مدرسة النجامية التَّابعة لمَدَارِسِ الشَّيخ القرعاويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ احْتِسَابًا، وذَلِكَ في ١/ ٢/ ١٣٦٧هـ.

وفي عام ١٣٧٢هـ، عُيِّنَ بأمرِ شَيْخه عبد الله القرعاوي إمامًا، وواعظًا، وخطيبًا في قَرْية (أبو سبيلة) بالحرث حتَّىٰ نهاية عام ١٣٧٣هـ.

وَفِي بِدَايَة عام ١٣٧٤هـ، تمَّ افتتاحُ المعهدِ العِلْميِّ في صامطة؛ فعُيِّنَ فِيهِ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعلِّمًا، وكَانَ ذَلِكَ في ١/ ١/ ١٣٧٤هـ.

وبَقِيَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُدرِّسًا بالمَعْهدِ العلميِّ في صامطة حتَّىٰ ١١/ ٣/ ١٣٨٤هـ، حيث اسْتقَالَ من التَّدْريسِ علىٰ أملِ أَنْ يُواصِل تدريسه في الجَامِعَةِ الإِسْلاميَّة بالمدينَةِ النَّبويَّةِ، وبعدها عَمِل في سِلْك الدعوة إلىٰ الله ثلاث سنوات.

ولمَّا تَعِبَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ من التَّنقُّل بَيْن المُدُنِ والقُرَىٰ- رَغِبَ أن يَعُودَ إلىٰ حَقْل التَّعْليمِ في المَعَاهِدِ العِلْميَّة؛ فنُقِلَتْ خِدْماتُهُ إلىٰ المعهدِ العلميِّ مَرَّةً أُخْرىٰ بجازان، فعُيِّنَ فيه في ١/ ١/ ١٣٨٧هـ، ثمَّ انْتقَل بَعْد ذَلِكَ إِلَىٰ مَعْهدِ صامطة العلميِّ إلىٰ أَنْ أُحِيلَ للتَّقاعُدِ في ١/ ٧/ ١٤١٠هـ؛ لبُلُوغِه السِّنَّ النِّظاميَّة.

ثُمَّ عادَ رَحِمَهُ اللَّهُ واستقرَّ به المقامُ في مَسْقط رأسِهِ بقَرْيتِهِ النجاميَّة إمامًا وخطيبًا بجَامِعِها، ومُعلِّمًا ومُفتيًا فيها.

❁ شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم، وهم بالترتيب الزمني:

١- الشَّيخ عبده بن عقيل النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- الشَّيخ يحيىٰ فقيه عبسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أَهْلِ اليَمَن.

٣- الشَّيخ الإمام العَلَّامة الدَّاعية المُجدِّد في جَنُوب المملكة: عبد الله بن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- الشَّيخ عثمان بن عثمان حملي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- الشَّيخ إبراهيم بن مُحمَّد العمودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- الشَّيخ علي بن الشَّيخ عثمان زياد الصُّومالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- الشَّيخ حافظ بن أحمد حَكَمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨- الشَّيخ الإمام العَلَّامة مُفْتي البلاد السُّعوديَّة السَّابق مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩- الشَّيخ الإمام العَلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ تلاميذه:

❑ وقَدْ تَخرَّج عَلَى يَدَي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ آلافُ الطُّلاب والحَمْدُ لله، نذكر منهم:

١ـ العَلَّامة المُحدِّث الدُّكتور/ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

٢ـ العَلَّامة الفقيه زيد بن محمد مدخلي حفظه الله.

٣ ـ العَلَّامة الدُّكتور/ علي بن ناصر فقيهي حفظه الله.

٤- الشَّيخ الدُّكتور/ مُحمَّد بن هادي المَدْخلي حفظه الله.

وهُنَاك الكَثِيرُ والكَثِيرُ من طُلَّاب العِلْمِ الَّذين تَخرَّجوا علىٰ يدي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من شَتَّىٰ البُلْدان من المَمْلكةِ العَربيَّة السُّعوديَّة وَخَارِجها.

مؤلفاته:

لفضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفات كُثُرٌ، نذكر منها:

١- إتمام المِنَّة بشرح أصول السُّنَّة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- فتح الربِّ الغَني بتوضيح شرح السُّنَّة للمُزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- فتح الرَّحيم الودود في التعليق علىٰ كتاب السُّنَّة من سُنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- إرشاد السَّاري إلىٰ شرح السُّنَّة للإمام البَرْبَهَاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- بُلوغ الأَمَاني بشرح عقيدة ابن أبي زَيْد القَيْرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- الفوائد الجِيَاد مِن لمعة الاعتقاد.

٧- التعليقات الأثرية علىٰ العقيدة الواسطية.

٨- التعليقات البهية علىٰ الرَّسائل العقدية.

٩- الشرح المُوجز المُمهَّد لتوحيد الخالق المُمجَّد الذي أَلَّفه شيخ الإسلام مُحمَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠- الأمالي النَّجمية علىٰ مسائل الجاهلية.

١١- فتح الربِّ الغفور ذي الرَّحمة في شرح الواجبات المُتحتمات المَعْرِفة علىٰ كل مُسلمٍ ومُسلمة.

١٢- الفوائد المنثورة بالتعليق علىٰ أعلام السُّنَّة المَنْشورة للحَكَمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣- أوضح الإشارة في الردِّ علىٰ مَنْ أباح المَمنوع من الزيارة.

١٤- تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

١٥- رسالة الإرشاد إلىٰ بيان الحقِّ في حكم الجهاد.

١٦- المَوْردِ العَذْب الزُّلال فيما انْتُقِد علىٰ بعض المناهج الدَّعوية من العقائد والأعمال.

١٧- ردُّ الجواب علىٰ مَنْ طلب مِنِّي عدم طبع الكتاب.

١٨- فتح الربِّ الودود في الفتاوىٰ والرسائل والردود (٤ مجلدات).

١٩- الفتاوىٰ الجَليَّة عن المناهج الدَّعوية (مجلدان).

۞ صفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تميَّز شيخُنا أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصفات كثيرة جليلة، نذكر منها:

☐ أوَّلاً: حُسْنُ تَعَامل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع طُلابه، وتشجيعه لهم:

كان شَيْخُنا أحمدُ النَّجْمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رُبَّما يَسأل سؤالًا؛ فيقول لأحدِ طُلَّابه: «أَخْبِر السَّائل بالجواب»- إذا عَلِمَ أنَّ الطَّالبَ يُتْقِنُ الجوابَ.

و قال الشَّيخُ مُحمَّد بن مُحمَّد صغير عَكُّور:

«سألني سائلٌ سؤالًا؛ فقلتُ له: أذهبُ أسألُ الشَّيخَ أحمدَ النَّجميَّ، ثمَّ أُبْلِغك الجوابَ! فلمَّا ذهبتُ إلىٰ الشَّيخ، وقلتُ له: سألني سائلٌ سؤالًا؛ فقلت له: أسألُكَ، ثمَّ أُعْطِيه الجوابَ. فقال لي الشَّيخُ: لماذا ما أفتيتَهُ؟ فقلتُ: يا شيخُ، كيف أُفْتِي وأَنْتَ هنا (أو كلامًا نحوه)، فقال الشَّيخُ: إلىٰ مَتَىٰ تَبقون عالَةً علىٰ النَّاس؟!».

و قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كان الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ رُبَّما يَأتي المُسْتفتِي؛ فيَسأل شيخنَا عن مسألةٍ؛ فيسألُ شَيْخُنا بعضَ الطُّلَّابِ، فيقول لهم: «ما رأيُكم في هذه المسألة؟» حتَّىٰ إنَّه في مرة من المَرَّاتِ قلتُ له: يا شيخَنا، الفَتْوىٰ لكم! فقال شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِن باب المُذَاكرة!».

رُبَّما يُفتي شَيْخُنا في مسألةٍ من المسائل، فيَعْرِض عليه بعضُ الطَّلَبة وِجْهة رأيه في المسألة بأُسْلُوبٍ مُؤدَّبٍ، مُؤيِّدًا ذلك بالأدلَّة؛ فيُغيِّر شَيْخُنا فَتْواه في المسألة.

ممَّا يُلَاحظ أنَّ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ كان إذا قَدَّمَ لرسالةٍ أو بحثٍ لأحدِ طُلَّابه، شَجَّعَه بما يكون حافزًا له علىٰ مُوَاصلةِ الجدِّ والبحثِ.

أَلْقَىٰ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ محاضرةً، وحَصَل وَهْمٌ في بعضِ المسائلِ في المُحَاضرةِ، فأَمَر شَيْخُنا بالشَّريط الَّذي سُجِّلَتْ فيه المحاضرةُ، وصَوَّبَ ما حَصَل من وَهْمٍ فيها، وأعادَ تَسْجِيلَها؛ فرحمةُ الله عليه رحمة الأبرار.

نَقَل شَيْخُنا في بعضِ كُتُبِهِ فوائدَ من بعضِ طُلَّابِهِ، وهذا في غاية التَّواضُعِ.

و قَالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي -حفظه الله- كلمةً مختصرةً في شَيْخنا رَحِمَهُ اللهُ، ولكنَّها عظيمةٌ في مَدْلولها:

«الشَّيخ أحمد مُرَبٍّ، وحقًّا إنَّه لمُرَبٍّ بأخلاقِهِ، مُرَبٍّ في تَعامُلِهِ مع طُلَّابِهِ وزُمَلائِهِ، ومُجْتمعِهِ».

❐ ثانيًا: عبادة الشَّيخ وزُهده:

عُرِفَ شَيْخُنا العَلَّامةُ رَحِمَهُ اللهُ واشْتُهِرَ بحِرْصِهِ علىٰ العبادة، ومنها قيامُ اللَّيل، فلا يتركُهُ في حِلِّه وترحالِهِ، وفي سفرِهِ وإقامتِهِ؛ فكان لا يدعُ قيامَ اللَّيل، عليه رحمة الله، وكان رَحِمَهُ اللهُ لا ينام في اللَّيل إلَّا أربع ساعاتٍ فقط؛ كما أخبرَ بذلك بعضُ طُلَّابِهِ.

❐ ثالثًا: تواضع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

لقَدْ قَدَّمَ شَيْخُنا أحمد بن يحيىٰ النَّجْمي أَرْوَعَ الأَمْثلة في التَّواضُع، فَمَا رَأَتْ عَيْناي مِثْلَه في التَّواضُع.

وإلَيْك بَعْض مَواقِفِ شَيْخنا الَّتي تدلُّ على تَواضُعِه رَحِمَهُ اللهُ:

كَثِيرًا ما كُنَّا نَرىٰ شَيْخنا يَقُومُ مِنْ مَجْلسِهِ ليَغْسلَ الأَكْواسَ لضُيُوفِهِ، أو يُقَرِّبَ ثلاجاتِ الشَّاي والقَهْوة إِلَيْهم.

حَصَل لي قَبْل سَنَواتٍ كسرٌ في التُّرْقُوةِ، فَما إِنْ وَصَلْتُ من المستشفىٰ،

ودخلتُ غُرْفةَ النَّوم في بَيْتي إلَّا وشَيْخنا أَحْمد النَّجمي دَاخلٌ عليَّ، وقَدْ وَصَله الخبرُ، وجَاءَ مُسْرعًا؛ ليَطْمئنَّ عليَّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

تَتبَّعتُ مَنْ زَارَنِي في ذَلِك المرَضِ؛ فرأيتُ أكثرَ مَنْ زَارَنِي هُو شَيْخنا أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

كُنْتُ إذَا غِبْتُ عن شَيْخنا النَّجميِّ يومًا لظُرُوفٍ أو لشُغْلٍ مَا؛ اتَّصلَ بِي مباشرةً، وسَألَ عنِّي، وقال: «مَا رَأيْنَاكَ أَمْسِ، عَسَىٰ ما خلاف!»، ثمَّ أُبْدِي له سببَ غِيَابِي.

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في سنةٍ قديمةٍ يَذْهبُ بسَيَّارتِهِ إلىٰ قريةٍ مجاورةٍ؛ ليَأْخُذَ أَحَدَ طَلَبة العِلْم الفُقَراء المُغْترِبين ليأكلَ معه طعامَ الإِفْطارِ شِبْهَ يوميٍّ.

أُثْنِيَ عَلَىٰ شَيْخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ في إِحْدَىٰ المُحَاضراتِ ثناءً كبيرًا، فعَقَّبَ شَيْخُنا علىٰ ذَلِكَ الثَّناء، وَانْتَقَدَه، وقالَ: «إنَّما أنَا طُوَيْلبُ عِلْمٍ صغيرٌ».اهـ.

❑ **رابعًا: حرص الشيخ على العلم رَحِمَهُ اللَّهُ:**

كان الشيخ أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ عجيبًا في حرصه علىٰ العلم، تعلُّمًا وتعليمًا، وإليك بعض المواقف التي ذكرها الشيخ عبد الله بن محمد النجمي تؤيد ذلك:

قالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي حفظه الله تعالى: «ما عرفتُ الشَّيخَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ إلَّا وَهُو يُعلِّم، ويَنْشر، ويَدْعو إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ».اهـ.

قَبْلَ سنواتٍ حَصَل حادثُ سَيَّارةٍ لشَيْخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتَعِبَ علىٰ إِثْرِهِ، فكَتَب أبناءُ الشَّيخ لوحةً علىٰ بابِ بَيْتِهِ يُحدَّد فيها مَوَاعيدُ الاسْتِفْتاءِ والزِّيارة؛ حِرْصًا مِنْهم علىٰ راحةِ الشَّيخ، فطَلَب مِنْهم إِبْعَادَ اللَّوحةِ، وإِزَالَتها، وبالفِعْل حَصَل ذَلِكَ؛ فلله دَرُّه من شيخٍ نَذَر حَياتَه لله عَزَّوَجَلَّ!

ممَّا يتميز به شَيْخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صَبْرُهُ علىٰ التَّدْريس، فقَلَّ أن تجدَ له نظيرًا في هَذَا البَابِ، فرُبَّما كانَ للشَّيخ في اليومِ الواحِدِ سبعةُ دُروس؛ إضافةً إلىٰ المُستفتين الذين يأتون للشيخ في اليوم الواحد مِنْ دَاخِل المِنْطقَةِ وخَارِجها، والزُّوَّار الَّذين يَأْتُونَ لزيارة الشَّيخ، وكأَنَّه لا يَرْتاحُ، ولَا يَطمئنُّ إلَّا مع الدُّرُوس (التَّدْريس)، بَلْ يَكُونُ علىٰ فِرَاشِ المَرَضِ في البَيْتِ أو في المُسْتَشفىٰ؛ وَهُو يُقْرأ عليه، ويُجِيبُ السَّائلين؛ بَلْ ذَكَر لنا الشَّيخُ الدُّكتور/ مُحمَّد بن هادي المدخلي -حفظه الله، وكانَ مِمَّنْ يحبُّه شَيْخنا، ويُجلُّه- أَنَّه «قَرأَ علىٰ الشَّيخ، والجبسُ عَلَىٰ قَدَمِ الشَّيخ، وأثرُ الدَّمِ باقٍ في قَدمِهِ من حادثِ سَيَّارةٍ».اهـ.

❑ **خامسًا: كرم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبذله، وعطاؤه:**

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

أمَّا عَنْ كَرَم شَيْخنا، فَسَائِلْ عَنْه كلَّ مَنْ عَرَف شَيْخنا، أَوْ زَارَه، فستَجِد عَجَبًا:

كَانَ شَيْخُنا إِذَا زَارَه أحدٌ مِنْ مُحبِّيه من طَلَبة العِلْمِ أو المَشَائِخ لا يَتردَّد في دَعْوتِهِ للإفطارِ، أو الغداءِ، أو العشاءِ، وكَانَ كثيرًا ما يَتَّصلُ بي، ويَطْلبُ منِّي أَنْ أَتَّصل بالمندي؛ لِكَيْ يعدُّوا ذبيحةً، أو نصفَ ذبيحةٍ علىٰ حِسَابِ شَيْخنا؛

بل رُبَّما يَكُونُ شَيْخُنا صائمًا، ومَعَ ذَلِكَ يُكْرِمُ ضُيُوفَه وطُلَّابَه.

مِمَّا عَرفتُهُ من شَيْخنا مِنْ خِلَالِ مُلَازمتِي له: كُنَّا نَذْهَبُ إِلَىٰ أَحَدِ المسارحة يَوْم السَّبت لدرسٍ في «صحيح مسلم»، وعِنْد العَوْدة يَطْلُبُ الشَّيخُ منِّي صرفًا لخمس مئةِ ريالٍ، ثمَّ يَصْرفها دائمًا لطَلَبة العِلْمِ المُحْتاجِين، ويَتعَاهد بها الفُقَراءَ والمَسَاكِينَ.

❑ سادسًا: تعفف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ صاحبَ تَعفُّفٍ عجيبٍ، وأَذْكُر أنَّه في مَرَّةٍ مِنَ المَرَّاتِ مَرَرْتُ أنا وإيَّاه بمَخْبز، وقال شَيْخُنا: أُرِيدُ بريالٍ خبزًا، فذَهَب، وأخذتُهُ من المَخْبزِ، وقَالَ لي عاملُ المَخْبزِ: لَا تَأْخُذْ من الشَّيخ الرِّيالَ، وقُلْ لَهُ: الأمرُ سهلٌ. فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: قُلْ لهم: إمَّا أن يَأْخُذُوا الرِّيالَ، وإمَّا أَنْ أُعِيدَ الخبزَ، فأَخَذُوا الرِّيالَ.

بَعْدَ عِيدِ فِطْر عام ١٤٢٨هـ، جاءَ أحدُ التجَّار لِزيَارةِ شَيْخِنا رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ لمَّا أرادَ الخُرُوجَ من بَيْتِ شَيْخِنا، طَلَب التَّاجرُ منِّي أَنْ أَخرجَ مَعَه خارجَ المَجْلس، فخرجتُ مَعَه، وقالَ لِي: «عِنْدِي خمسةُ آلافِ ريالٍ أُرِيدُكَ أَنْ تُعْطي الشَّيخَ مُسَاعدةً منِّي؛ لأنَّ الشَّيخَ يأتي إليه أُنَاسٌ كثيرٌ!» فقلتُ له: أنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتلمَها مِنْك، ولَكِنْ أَعْرض الأمرَ علَىٰ شَيْخِنا فكَلَّمتُهُ، فقالَ: «إِنْ كَانَ يُرِيدُها لي فأنا -والحَمْدُ لله- بخيرٍ»، ولَمْ يَقْبَلها رَحِمَهُ اللَّهُ.

❑ سابعًا: حرص الشيخ على اتِّباع السُّنَّة:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في غَايَة الحِرْصِ عَلَىٰ اتِّباعِ السُّنَّة؛ فِفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّام، وَفِي صَلَاةِ الظُّهرِ، دَخَل شَيْخُنا الجامعَ القديمَ، وكَانَ لابسًا حِذَاءَه، وتَقدَّمَ المحرابَ؛ وَهُوَ لابسٌ الحِذَاءَ، فقالَ بعضُ النَّاسِ: يَا شيخ، نَسِيتَ الحذاءَ! فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَمْدًا فعلتُ هَذَا»، فرحمةُ اللهِ عَلَىٰ شَيْخِنا رحمةَ الأَبْرارِ، ما أشدَّ حِرْصَه علىٰ اتِّباعِ السُّنَّة!

كان شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ حريصًا عَلَىٰ تَشْييعِ الجنَائِزِ، وعَلَىٰ التَّعزية، وواللهِ، لقَدْ رأيتُ مِنْ شَيْخِنا مِنْ ذَلِكَ عجبًا رَحِمَهُ اللَّهُ، ولَقَدْ سافرتُ مَعَ شَيْخِنا إلىٰ مَكَّة؛ لتَشْييعِ جِنَازةِ الشَّيخ الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وتَعْزية أَهْلِهِ، وكَانَ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا ذَهَب إلىٰ التَّعزيةِ لا يُطِيلُ الجُلُوسَ.

قَالَ الشَّيخُ الدُّكتور مُحمَّد بن هادي حفظه الله:

«كُنْتُ آتِي إِلَىٰ شَيْخِنا أحمد النجمي في الضُّحىٰ؛ فكنتُ دائمًا أَدْخُلُ عليه في بيتِهِ القَدِيمِ في صامطة في وَقْتِ الضُّحىٰ، وهُوَ يُصلِّي الضُّحَىٰ».

مَا عرفتُ شَيْخَنا إلَّا وَهُو يخضبُ لِحْيَتَه بالحنَّاء؛ عملًا بالسُّنَّة، وما رأيتُ لحيتَه بيضاءَ إلَّا بَعْد أن دخلَ المُسْتَشفىٰ، ودَخَل في غَيْبوبةٍ.

كثيرًا ما كَانَ يَقْرأ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في فَجْر الجُمُعةِ بـ(السَّجْدة والإنسانِ).

❑ ثامنًا: دفاع الشيخ المرير عن السُّنَّة، ووقوفه الصامد في وجه أهل البدع:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

يَتَّضِحُ ذلك جليًّا من خِلَالِ كُتُبِ شَيْخنا، ورُدُودِه، ومُحاضَراتِهِ، ودُرُوسِهِ؛ فكلُّها بيانٌ للعَقِيدةِ الصَّحيحة، وتحذيرٌ ممَّا يُضادُّها، وبيانٌ للسُّنَّة، وتحذيرٌ مِنَ البِدَع وأَهْلِها بشَتَّىٰ طَوَائِفهم، ومَنَاهِجهم، فهذِهِ كُتُبهُ شاهدةٌ، ومُحاضَراتُهُ ناطقةٌ، فقَدْ عُرِفَ شَيْخُنا بشَجَاعتِهِ في بيانِ الحقِّ؛ فكانَ رَحِمَهُ اللهُ لا يخافُ في اللهِ لَوْمةَ لائمٍ، ويُبيِّن الحقَّ، ويردُّ علىٰ أَهْلِ الباطلِ بَاطِلَهم؛ رَضِيَ مَنْ رَضِيَ، وغَضِبَ مَنْ غَضِبَ.

۞ وفاته رَحِمَهُ اللهُ:

لقَدْ تُوفِّي رَحِمَهُ اللهُ بمَدِينَةِ المَلِك فَهْد الطِّبِّيَّة بالرِّياض في يَوْم الأَرْبعاء ٢٠/ ٧/ ١٤٢٩هـ في تَمامِ السَّاعة العاشرةِ والنِّصْفِ صباحًا تقريبًا، وذلك بَعْد مُعانَاةٍ طويلةٍ مَعَ المَرَض، وقَدْ أُجْرِيَتْ له عَمليَّاتٌ جراحيَّةٌ في رأسِهِ وبطنِهِ، وَاسْتمرَّتْ مُعاناتُهُ ثمانيةَ أشهرٍ، جَعَل اللهُ ذلك كَفَّارةً لسَيِّئاتِهِ، ورِفْعةً لدَرجاتِهِ في جَنَّاتِ الفِرْدوسِ نُزُلًا.

نُقِلَ جُثْمانُ وَالِدِنا رَحِمَهُ اللهُ بطَائرةٍ خاصَّةٍ إلىٰ منطقة جازان بأَمْرٍ من نائب خَادِمِ الحَرمَين الشَّريفين الأمير/ سلطان بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللهُ، وصُلِّي عليه، ووُوري جُثْمانه عصرَ يوم الخميس الموافق ٢١/ ٧/ ١٤٢٩هـ في مَسْقط رأسِهِ بقرية النجاميَّة.

وقَدْ شَيَّعَ جنازتَه خَلْقٌ كثيرٌ من أبنائِهِ، وأقربائِهِ، ومعارفِهِ، وطُلَّابِهِ الَّذين

جَاؤُوا مِنْ كلِّ مكانٍ؛ من دَاخِلِ بِلَادِنا السُّعوديَّة وَخَارِجها، وكَانَ مَشْهدُ التَّشْييع مَهِيبًا؛ حَضَره عددٌ كبيرٌ من المُشيِّعين؛ لم تَشْهد المنطقةُ مثلَه من قَبْل، فكانَ خبرُ وفاتِهِ رَحِمَهُ اللهُ فاجعةً، وأَسىٰ، وحُزْنًا في نُفُوسِ جميعِ مُحبِّيهِ؛ مَنْ عَرَفه، أو نَهَل مِنْ عِلْمِهِ الصَّافي.

نَسْأل اللهَ أن يَتغمَّدَه بواسعِ رَحْمتِهِ، وأَنْ يُسْكنَه فسيحَ جَنَّاتِهِ، اللَّهمَّ آمين.

وقَدْ رَثَاه مجموعةٌ من الشُّعراء والأُدبَاء شعرًا ونثرًا؛ من الدَّاخل أو الخَارِجِ.

۞ الخاتمة:

وفي ختام هذه الترجمة أودُّ أُن أُشير إلىٰ أنها شيءٌ يسيرٌ ممَّا دَوَّنَه بعضُ أبناءِ الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللهُ، وتلاميذه، وَمُحبِّيه من طُلَّاب العِلْمِ من داخلِ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة وخارجها، وفاءً بحقِّ شيخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللهُ علىٰ ما قَدَّمه للإسلام والمسلمين.

وقد أردنا بهذه الترجمة المُختصرة التَّعْريفَ بهذا العَالِم الجليلِ لمَنْ لا يعرفُهُ من خلال فقرات هذه الترجمة، نَفَع اللهُ بها الجميعَ دنيا وأخرىٰ.

وجَزَىٰ اللهُ خيرًا كلَّ مَنْ شَارَك في جَمْعٍ وإعدادِ فَقَراتِ هذه السِّيرة المختصرةِ، وجَعَلها في مَوَازينِ أَعْمالِهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وسلم



فتح الرحيم الودود

في التعليق على

كتاب السنة من سنن الإمام أبي داود

باب شرح السنة

❑ **قَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ أَبُو دَاوُدَ سُلَيمان بن الأَشْعَث بن إِسْحَاق الأَزْدي السجستاني رحمه الله تعالى:**

٤٥٩٦- حدَّثنا وَهْب بن بقيَّة، عَنْ خالد، عن مُحمَّد بن عَمْرو، عن أبي سَلَمة، عن أبي هُرَيرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**افْترقَت اليَهُودُ عَلَىٰ إِحْدىٰ أو ثِنْتين وسَبْعين فِرْقةً، وتَفرَّقت النَّصارىٰ عَلَىٰ إِحْدَىٰ أو ثِنْتين وسَبْعين فِرْقةً، وتَفْترق أُمَّتي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وسَبْعين فِرْقةً**»(١).

٤٥٩٧- قَالَ: وحدَّثنا أَحْمَد بن حَنْبل، ومُحمَّد بن يحيىٰ قَالَا: حدَّثنا أبو المُغيرَة قَالَ: حدَّثنا صَفْوَان، (ح) وحدَّثنا عَمْرو بن عُثْمَان، قَالَ: حدَّثنا بقيَّة، قَالَ: حَدَّثني صفوان نحوه، قَالَ: حَدَّثني أَزْهَر بن عَبْد الله الحرازي، عن أبي عامر الهَوْزني، عن مُعَاوية بن أبي سُفْيان أَنَّه قَامَ فِينَا، فَقَال: أَلَا إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ فينا، فقال: «**أَلا إِنَّ مَنْ قبلكم من أَهْل الكتاب افْترَقُوا عَلَىٰ ثِنْتين وسَبْعين مِلَّةً،**

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، وقال العَلَّامة الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «سنن أبي داود» بأحكام الألباني «حسن صحيح».

وإنَّ هذِهِ المِلَّة ستَفْتَرق عَلَىٰ ثَلاثٍ وسَبْعين: ثِنْتَان وسَبْعون في النَّار، وَوَاحدةٌ في الجنَّة، وَهِيَ الجَمَاعة».

زَادَ ابْنُ يَحْيىٰ وعَمْرو في حَدِيثِهمَا: «**وإنَّه سيَخْرج في أُمَّتي أقوامٌ تَجَارىٰ بهم تِلْكَ الأَهْوَاء كَمَا يَتَجَارَىٰ الكَلَبُ بصاحبِهِ**».

وقَالَ عَمْرو: «**الكَلَب بصاحِبِهِ، لا يبقىٰ منه عِرقٌ ولا مفصلٌ إلَّا دَخَلَه**»[١].



الشرح

الحمدُ لله ربِّ العَالَمين، والصَّلاة والسَّلام عَلَىٰ أَشْرف الأنبياء والمُرْسَلين نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعين:

(**أَوَّل كتاب السُّنَّة: باب شَرْح السُّنَّة**): **المُرَاد بالسُّنَّة هنا**: ما يَتعلَّق بالعَقِيدَةِ من اجْتِمَاعٍ، وافْتِرَاقٍ، واختلافٍ، واتِّفاقٍ، فقَدْ أَخْبَر النَّبيُّ ﷺ أنَّ اليهودَ والنَّصارىٰ افْتَرقوا عَلَىٰ اثْنَتَين وسَبْعينَ فرقةً، وفي رِوَاياتٍ أخرىٰ أنَّ: «**اليهودَ افْتَرقَت عَلَىٰ إِحْدَىٰ وسَبْعين، والنَّصارىٰ افْترقَتْ عَلَىٰ اثْنتَين وسَبْعين، وأنَّ هذِهِ الأُمَّة ستَفْتَرق عَلَىٰ ثَلَاثٍ وسَبْعين فِرْقةً**»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٢٠٣).

وفي هَذَا الحَدِيثِ مُعْجزةٌ من مُعْجزَات النَّبيِّ ﷺ، فَقَد افْترقَت هذِهِ الأُمَّة، وكان أوَّل افتراقها: مَجْموعة الخَوَارج الَّذين خَرَجوا عَلَىٰ عُثْمان وقَتَلُوه، ثمَّ بَعْد ذلك أيضًا خلاف ابْن السَّوداء[١] الَّذي ظَهَر في زَمَن عليٍّ، والخَوَارج الَّذين ظَهَروا في زَمَنه أيضًا، ثمَّ بَعْد ذلك القَدريَّة، ثمَّ بَعْد ذلك الجهميَّة.

والمهمُّ: أنَّ الافْتِرَاقَ الَّذي أَخْبَر عنه النَّبيُّ ﷺ حَصَل، والَّذي أَخْبَر عنه ممَّا سَبَق قَدْ حَصَل، فالحِرْصَ كلَّ الحِرْص أَنْ نكونَ من الفِرقَة النَّاجية، والحرصَ كلَّ الحِرْص أن يكونَ العَبْدُ من الفِرْقَة النَّاجية، وهُوَ أن يَجْتهدَ في أَنْ يكونَ عملُهُ موافقًا لما كَانَ عَلَيه أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ من أَعْمَالٍ.

قوله: «**وإنَّه سيَخْرج في أُمَّتي أقوامٌ** -أَوْ: من أُمَّتي- **تَجَارىٰ بهم تلك الأَهْوَاء كَمَا يَتجَارىٰ الكَلَبُ بصاحِبِهِ**».

وهَذَا واقعٌ، فإنَّك تَرَىٰ أنَّ أَصْحابَ تلك الأَهْوَاء الكثير منهم لا يُذْعِن للحقِّ، ولا يرجع إليه بعد أَنْ عَرَفَه كالكَلْبُ المَسْعور الَّذي أُصِيب بدَاءِ الكَلَب.

وداءُ الكَلَب: هو دَاءٌ يصيب الكَلْبَ، فإذا أُصِيبَ به يظلُّ لا يَهْدأ، بَلْ هو مجنونٌ، أو كالمَجْنُون، لا يَشْرب الماء، بَلْ يريد أن يعضَّ كلَّ مَنْ وَجَده، نَسْأل اللهَ العفوَ والعافيةَ من ذَلِكَ.

قوله: «**ثِنْتَان وسَبْعون في النَّار، وواحدةٌ في الجنَّة، وهِيَ الجَمَاعة**»:

---

(١) **هو عبد الله بن سبأ**: رأس الطائفة السَّبئية التي كانت تقول بألوهية علي رضي الله عنه، وأصله من اليمن، قيل: كَانَ يهوديًّا، وأظهر الاسلام، وكان يقال له: «ابن السوداء»؛ لسواد أُمِّه.

سُمِّيت الجَمَاعة؛ لأَنَّها عَلَىٰ الحقِّ، وكلُّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ الحقِّ فهو جَمَاعةٌ، وهو أُمَّةٌ وإنْ كَانَ واحدًا، بهَذَا وَصَفَ الله عَزَّوَجَلَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أنَّه واحدٌ، وَصَفه بأَنَّه أُمَّةٌ ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠].

فالحقُّ أصحابُهُ هُمُ الجَمَاعةُ، وإِنْ كانوا قَلِيلِينَ، وبالله التَّوفيق.



باب النهي عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٥٩٨- حدَّثنا القَعْنَبيُّ، قَالَ: حدَّثنا يزيدُ بن إِبْرَاهيم التَّستري، عن عَبْد الله بن أبي مُلَيْكة، عن القَاسم بن مُحمَّد، عن عَائشةَ، قَالَتْ: قَرأَ رَسُولُ الله ﷺ هذِهِ الآيةَ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ ﴾ إلىٰ قولِهِ: ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾.

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتم الَّذين يَتَّبعون ما تَشَابَه منه، فأُولَئك الَّذين سَمَّىٰ اللهُ، فاحْذَرُوهم**»[1].



الشرح

المُتشَابه له مَعْنيان:

١- المُتَشابه الَّذي لا يَعْلَمُ مَعْناه أو تَفْسيره إلاَّ الله.

٢- المُتَشَابه في إِعْجَازه، وبلاغتِهِ، وقُوَّتِهِ، وهو المُرَاد هنا، وأنَّ القرآنَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ظلال الجنة» (٥).

مُتَشابهٌ فِي كلِّ ذلك؛ بلاغتهُ، وإعجازَهُ، وقُوَّته، وردَّه عَلَىٰ مَنْ يُلْقون الشُّبَه عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]. ومن هَذَا الباب يُسمَّىٰ القرآنُ كلُّه مُتَشابهًا.

ومِنْ نَاحيةٍ أُخْرَى يَنْقسم القرآنُ إلى قِسْمَين: مُحكْمٍ ومُتَشابهٍ:

فالمُحْكم: هو الواضحُ، والَّذي تكونُ قراءتُهُ تَفْسيره، وهو الَّذي يعلمُهُ عامَّةُ النَّاس.

والنَّوْع الثَّاني من المُحْكم: هو ما يَعْلم تَفْسيرَه عُلَماءُ الأُمَّة وأَحْبَارُهَا.

أمَّا المُتَشَابه الَّذي يُقَابل المُحْكَم: فهُوَ ما لا يَعْلَم تأويلَه إلَّا الله، والمَقْصود به هنا هُوَ هَذَا المَعْنىٰ.

فالَّذين يَتَّبعُون المُتَشابه يُريدُونَ أن يَتأَوَّلوه بتَأْويل يَسْتعينونَ به عَلَىٰ إِلْقَاء الشُّبَه عَلَىٰ الأُمَّة حتَّىٰ يَصْرفوا الأُمَّة عن الحقِّ، ويُلْقوا فيهم تِلْكَ الشُّبَه الَّتي يُحوِّلون بها الحقَّ إلىٰ البَاطل، فهَذَا هو المَقْصود فِي قَوْل المُؤلِّف: «**واتِّباع المُتَشَابه من القُرْآن**».

والقرآنُ كَمَا وَصَف الله ﷻ منه ما لا يَعْلم تأويله إلَّا الله، أَوْ لا يعلم كَيفيَّته إلَّا الله، فمثلًا: أَسْمَاءُ الله وصفاتُهُ مَعْلومةُ المَعْنىٰ فِي اللُّغة العربيَّة.

وإِذَا قَالَ اللهُ ﷻ، وأَخْبَر عن نَفْسه بأنَّه اسْتَوىٰ عَلَىٰ العرش، وَجَب عَلَينا أن نُؤْمنَ بهَذَا عَلَىٰ الوَجْه اللَّائق بجَلَال الله، لكنَّ الكيفيَّة مَخْفيَّةٌ عنَّا.

فَالاسْتوَاءُ مَعْلومٌ، والكَيْف فِي حقِّ الله مجهولٌ، كَمَا قَالَ مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ لمَنْ

سَأَله: «الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ، وأنت رجلُ سوءٍ»، ثمَّ أَمَر بإخراجِهِ(١).

فالَّذين يَقُولُون: إذا وَصَفنا الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ له عَيْنين، وأنَّ له بَصَرًا، وأنَّ له سمعًا، أو ما أَشْبَه ذلك، فإنَّا قَدْ شَبَّهناه بخَلْقِهِ؛ لذلك فنحن نُؤوِّل هذِهِ الآيَات، وهَذَا أصلُهُ مُسْتقىٰ من قَوْل الجهميَّة الَّذين لا يُؤْمنونَ بصفات الله عَزَّوَجَلَّ ، هَذَا قولٌ باطلٌ.

وإنَّ الواجبَ عَلَينا أَنْ نؤمنَ بصفات الله عَلَىٰ الوَجْه اللَّائق بجَلَال الله، وتَوْضيح ذلك أنَّا -مثلًا- إذا وَصَفنا الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّه سميعٌ، فعَلَينا أَنْ نؤمنَ بأنَّ له سَمْعًا لا يُشْبه أَسْماعَ المَخْلوقينَ، وإِذَا وَصَفنا الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ له بصرًا، فعَلَينا أن نُؤْمنَ بأنَّ له بصرًا لا يُشْبه أَبْصَار المَخْلوقينَ، وهَكَذا.

فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَسْمَع جَميعَ المَسْموعات، بَلْ وغَيْر المَسْموعَات لنا، كَذَلك يُبْصر جَميعَ المُبْصَرات، يَرَىٰ دبيبَ النَّمْلة السَّوْداء عَلَىٰ الصَّخْرة الصَّمَّاء في اللَّيلة الظَّلْماء، والشَّاهد من هَذَا أنَّ صفات الله عَزَّوَجَلَّ لَيْسَتْ من المُتَشابه؛ لأنَّها واضحةُ المَعْنىٰ، وإنَّما هي تُعَدُّ من المُتَشابه في الكيفيَّة فقط، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥١٦)، وذكره الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧)، وحكم بأنَّ إسناده جيدٌ، وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (٢/ ٣٩٨) (٦٤٤)، والذهبي في «العلو» (ص١٠٣) وقال: «وهذا ثابت عن مالك».

باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٥٩٩- حدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا خَالد بْنُ عبد الله، قَالَ: حدَّثنا يزيدُ بن أبي زيادٍ، عن مُجَاهدٍ، عن رجلٍ، عن أبي ذرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الأَعْمَالِ: الحبُّ في الله، والبغضُ في الله**»(١).

٤٦٠٠- حدَّثنا ابْنُ السَّرْحِ، قَالَ: أَخْبَرنا ابْنُ وَهْب، قَالَ: أَخْبرني يُونُس، عن ابن شهابٍ، قَالَ: وأَخْبَرني عبد الرَّحْمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ: «أنَّ عبد الله بن كَعْب بن مالكٍ -وكَانَ قائد كعب من بنيه حين عَمِيَ- قَالَ: سمعتُ كَعْبَ بن مالكٍ، وذَكَر ابن السَّرْح قِصَّة تخلُّفه عن النَّبيِّ ﷺ في غَزْوة تبوك، قَالَ: ونَهَىٰ رَسُولُ الله ﷺ المُسْلِمينَ عن كَلَامنا أيُّها الثَّلاثة، حتَّىٰ إذا طَالَ عليَّ، تسوَّرْتُ جدارَ حَائِطِ أبي قَتَادة، وهو ابْنُ عمِّي، فَسلَّمتُ عليه، فوالله ما رَدَّ عليَّ السَّلام»، ثمَّ سَاقَ خَبرَ تَنْزيل توبتِهِ(٢).



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٩)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشرح

مُجَانبة أَهْل الأَهْوَاء وبُغْضهم في الله عَزَّوَجَلَّ من الأُمُور المُحتَّمة في الدِّين، فمِنْ أُسُس الدِّين: الحبُّ في الله، والبغضُ في الله، والمُوَالاةُ فيه، والمُعَاداةُ فيه، لَنْ يَبْلغ العَبْدُ كَمَالَ الإيمان إلَّا بذلك، فإذا أحبَّ العَبْدُ لله، وأَبْغضَ لله، ووَالَىٰ لله، وعَادَىٰ لله، وبَذَل من أَجْل الله، ومَنَع من أَجْل الله، فذَلكَ هُوَ الَّذي بَلغَ كَمَالَ الإيمان.

تحبُّ الرَّجلَ الَّذي لا يَقْربك في النَّسَب، ولا هو من جِيرَانِكَ الَّذين تَتعَاون مَعَهم، ويَتعَاونون مَعَك عَلَىٰ جَلْب المَصَالح المُشْتركة بينكم، ولكنَّه رجلٌ بعيدٌ عنك في الدَّار، بعيدٌ عَنْك في النَّسَب، يبلغك عنه بأنَّه صاحبُ سُنَّةٍ، فتُحبُّه لله، إذا بلغت إلىٰ هَذَا الحدِّ؛ فأَنْتَ مؤمنٌ.

كَذَلك أيضًا يبلغك عن المُبْتدع يكون قريبًا لك، تَتحقَّق بِدْعَتَه، وتَرَىٰ انْحرَافَهُ، فتُبْغضه لله، وإِنْ كَانَ أَقْرَب النَّاس إليك، وإِنْ كَانَ شقيقك في النَّسَب، أو ابن عَمِّك، هَذَا الَّذي يجب.

وهَذَا ما كَانَ عَلَيه أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ، كَانَ الرَّجل منهم يُسْلم، فيجانب مَنْ كَانَ عَلَىٰ خلاف عقيدتِهِ، ويَبْتَعد منه، وفي حديث الطُّفيل بن عمرو شاهدٌ عَلَىٰ ذلك، وغَيْره من الأدلَّة، فحينما جَاءَ الطُّفَيل إلىٰ مكَّة، وكان الطُّفَيل بن عمرو الدَّوسي رجلًا شريفًا في قومِهِ، شاعرًا بليغًا، قدِم مكَّة، فجَاءَ إليه قُرَيش وحَذَّروه من سَمَاع النَّبيِّ ﷺ، وسَمَاع كلامِهِ، فلَمْ يلبث أَنْ حشَا أُذُنيه بالقُطْن

كَيْ لا يسمع كَلامَ النَّبيِّ ﷺ، فجَاءَ إلىٰ الحَرَم إلىٰ المسجد في الضُّحَىٰ، ووجد النَّبيَّ ﷺ قائمًا يُصلِّي ويَقْرأ، فوَقَف إلىٰ جنبِهِ ليَسْمعَ كَلامَه.

وأخيرًا قَالَ لنفسِهِ: إنَّ هَذَا لهُوَ العَجْز، أَلَسْتُ أنا من صفتي أنِّي أعرفُ حَسَنَ الكَلَام وقَبيحَه، وشعرَه ونثرَه، إذًا، فمن العَجْز أن أَبْقَىٰ عَلَىٰ كَلَام قُرَيش، ولكن سَأُلْقي القطنَ الَّذي في أذنيَّ، وأَسْمَع كَلامَه؛ فإِنْ كَانَ حقًّا اتَّبعتُهُ، وإِنْ كَانَ باطلًا تركتُهُ.

فأَلْقىٰ القطنَ، فسمع النَّبيَّ ﷺ، وسَمِعَ منه بَعْضَ قراءتِهِ، فعَرَف أنَّه حقٌّ، وأنَّ ما يَقُولُه حقٌّ، فَتبِعَهُ إلىٰ بيتِهِ، وسَمِعَ منه، وقرأ عَلَيه القرآن، فأَسْلَمَ وعَادَ إلىٰ بلدِهِ.

فلمَّا قَدِمَ، جَاءَ أبوه ليُسلِّم عَلَيه، فَقَالَ له: إِلَيْكَ عنِّي، فَلَسْتُ منكَ، ولستَ منِّي!

قَالَ له أبوه: لماذا يا بُنيَّ؟

قَالَ: إنِّي تَابعتُ مُحمَّدًا رَسُولَ الله ﷺ، وَتركْتُ دينَ الجاهليَّة، وعِبَادةَ الأَوْثان.

فَقَالَ: دِينِي دِينُكَ، فَعلَّمه كَيْف يُسْلم فأسلمَ، وَجَاءتْ أُمُّه وزوجتُهُ كَذَلك يَقُولُ لكلِّ واحدةٍ منهما كَمَا قَالَ لأَبيهِ، وأَسْلَموا[1].

وهَكَذا كَانَ الرَّجل يُسْلِم، فيُفَارق أَهْلَه، ويَبْتعد عنهم، ويَبْتعدُونَ عَنْه؛

---

(١) انظر «السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون»، لعلي بن برهان الدين الحلبي، (٢/ ٦٩، ٧٠).

لأنَّ الولاءَ والبراءَ من أُسُس الدِّين، وأَنْ يكونَ الرَّجلُ مُتَّبعًا للحقِّ، مُبْتعدًا عن أَهْل البدع.

ومِنْ أجل ذَلِكَ، فلقَدْ كَانَتْ قريشٌ تَصِفُ رَسُولَ الله ﷺ بأنَّه ساحرٌ، يَقُولُونَ: أَلَا ترون أنَّه يُفرِّق بين الرَّجل وَأَبِيهِ، وَابْنِهِ وعشيرتِهِ.

ومن الأدلَّة عَلَىٰ ذلك: حديث كَعْب بن مالكٍ في قصَّة تَخلُّفِهِ، وهَذَا حديثٌ طويلٌ كَمَا هُوَ في «الصَّحيحين»، وكَمَا ذَكَره النَّوويُّ في كتابه «رياض الصَّالحين».

والشَّاهد منه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمرَ بتَرْكِ كَلَامهم (الثَّلاثة الَّذين خُلِّفوا)، وبَعْد أَنْ مَضَىٰ عَلَيهم أَرْبَعون يومًا لا يَنْزل فيهم شيءٌ، أَمَر كلَّ واحدٍ منهم أن يُفَارق زَوْجَتَهُ حتَّىٰ يَقْضيَ اللهُ فيهم ما يَقْضي.

وبَعْد ذلك نَزلَتْ تَوْبة الله عَلَيهم[(١)].

فالشَّاهد منه: أَمْر النَّبيِّ ﷺ بعَدَم كَلَامهمْ، وفي ضمن ذَلِكَ عَدَم التَّسليم عَلَيهم.

وهَذَا دليلٌ عَلَىٰ أنَّ أَهْل البدع يَنْبغي أن يَشْعروا بأنَّ ما هُمْ عَلَيه باطلٌ، فيُترَكَ السَّلام عَلَيهم من أَجْل ذلك، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

باب ترك السلام عَلَى أهل الأهواء

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٦٠١- حدَّثنا مُوسَىٰ بن إِسْمَاعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، قَالَ: أَخْبَرنا عَطَاء الخُرَاساني، عن يَحْيىٰ بن يَعْمر، عَنْ عَمَّار بن ياسر، قَالَ: قدمتُ عَلَىٰ أهلي وقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَاي، فخلَّقوني بزعفران، فغَدَوْتُ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، فَسلَّمتُ عليه، فلَمْ يَرُدَّ عليَّ، وقَالَ: «**اذْهَبْ، فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ**»(١).

٤٦٠٢- وحدَّثنا مُوسَىٰ بن إِسْمَاعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، عن ثابتٍ البُنَانـيِّ، عن سُميَّة، عن عَائشَةَ: «أنَّه اعتلَّ بعيرٌ لصفيَّة بنت حُيَي، وعند زَيْنب فَضْلُ ظهرٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لزينب: «**أَعْطِيها بَعِيرًا**».

فَقَالَتْ: أَنَا أُعطي تِلْكَ اليهوديَّة؟! فغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ، فهَجَرها ذا الحَجَّة، والمُحرَّم، وبَعْض صَفَر»(٢).



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠١)، حسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٢)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشرح

وهَذَا كَفَرعٍ للباب قَبْله، فالبابُ قَبْله فيه مُجَانَبة أَهْل الأَهْوَاء، ومُجَانبة أَهْل الأَهْوَاء تَشْمل ترك السَّلام وغَيْره، وأَرَاد المُؤلِّف في هَذَا الباب أن يُبيِّن أنَّ تَرْك السَّلام عَلَىٰ أَهْل الأَهْوَاء من الأُمُور المَشْروعَة في الإِسْلَام، أَوْردَ فيه حديثَ يَحْيىٰ بن يَعْمر، عن عَمَّار بن ياسرٍ، قَالَ: «قدمتُ عَلَىٰ أَهْلي وقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَاي، فخلَّقوني»: الخَلُوقُ: نوعٌ من الطِّيب. «**بزعفران**»: الزَّعفران فيه رائحةٌ، وفيه صُفْرةٌ، لذلك نُهي عن التَّزعْفر للرِّجال، ونهي أيضًا عن لُبْس الثِّياب المُزَعْفَرة.

فلمَّا قَدِمَ عَمَّار بن ياسر، ولعلَّه قَدِمَ من الغَزْو، وقَدْ تَشقَّقتْ يَدَاه، فعِنْدَ ذلك خَلَّقه أهلُهُ، فَجَاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ليُسلِّم عَلَيه، فلم يَردَّ عَلَيه النَّبيُّ ﷺ.

وكَمَا جَاءَ في ذلك: الرَّجل الَّذي جَاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وعَلَيه خَاتَم الذَّهب، فألقىٰ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ السَّلامَ، فلم يردَّ عَلَيه، وكذلك أيضًا بعد أَنْ ذَهَب وأَخَذ خاتمًا من حديدٍ، وجاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فلَمْ يردَّ عليه، ثمَّ ذَهَب فأَخَذ خاتمًا من فِضَّةٍ، وجاء فردَّ السَّلامَ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، فردَّ عليه[1].

---

(١) أخرج النسائي (٥٢٠٦) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أقبل رجل من البحرين إلىٰ النبي ﷺ فسلَّم، فلم يَرُدَّ عليه، وكان في يده خاتم من ذهب، وجبة حرير، فألقاهما ثم سَلَّم، فرد عليه السلام، ثم قَالَ: يا رسول الله، أتيتك آنفًا فأعرضت عني، فقال: «**إنَّه كَانَ في يدك جمرة من نار**». قَالَ: لقد جئت -إذًا- بجمرٍ كثيرٍ. قَالَ: «**إنَّ ما جئت به ليس بأجزأ عنَّا من حجارة الحرة، ولكنَّه متاع الحياة الدنيا**». قَالَ: فماذا أتختم؟ قَالَ: «**حلقة من حديد، أو وَرِق، أو صُفر**»، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف الأدب المفرد» (١٦٠)، وأخرج النسائي

وكَذَلك الوَفْد الَّذين جاؤوا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وقَدْ لَبِسُوا الحريرَ، وتَختَّموا بالذَّهَب، فَجَاؤوا، فأَلْقَوا عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ السَّلامَ، فلم يردَّ عليهم، فَذَهبوا يَسْألونَ أَصْحابَ النَّبيِّ ﷺ عن ذلك، فَقِيلَ لَهُمْ: اذْهَبوا، فَاسْتَبدلوا ثيابًا غير هذِهِ الثِّياب، وأَلْقُوا خَوَاتم الذَّهب، ثمَّ ائتوا، فَسَوْف يردُّ عليكم، فذَهَبوا، فَأَلْقَوا تلك الثِّياب، وأَخَذوا غيرها، وأَلْقَوا تِلْكَ الخَوَاتم، وأَخَذوا غَيْرها، فجاؤوا، فَسلَّموا عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، فردَّ عَلَيهم[1].

(**تَرْك السَّلام عَلَىٰ أَهْل الأَهْوَاء**): والمُرَاد بالأَهْوَاء هنا: البدع.

ولمَّا كَانَ في حَجَّة الوَدَاع -قبل أَنْ يسيروا إلىٰ مكَّة- كَانَ لصَفيَّة جملٌ مُعْتلٌّ، فَاضطرَّتْ إلىٰ أَخْذ جَمَل غَيْره، وكَانَ عند زينب فَضْلُ ظَهْرٍ، فأَمَرها النَّبيُّ ﷺ أن تُعْطي صفيَّة جملًا من الَّتي هي مُسْتَغنيةٌ عنها، فَقالَتْ: «أَنَا أُعْطي تِلْكَ اليهوديَّة؟!».

فهَجَرها النَّبيُّ ﷺ بقيَّة شَهْرَ ذي القَعْدة، وذي الحِجَّة، والمُحرَّم، وشيئًا من صفرٍ، ثمَّ إنَّه عَادَ إليها قبل أَنْ يأخذه المرضُ، فأعتقت جاريةً لها شكرًا لله حينما عَادَ إليها النَّبيُّ ﷺ؛ لأَنَّها كَانَتْ تَخْشىٰ أن يغضبَ اللهُ لغَضَبِ رسولِهِ ﷺ.

هذِهِ أدلَّةٌ واضحةٌ عَلَىٰ تَرْك السَّلام عَلَىٰ أَهْل البدع، وبالله التَّوفيق.

=

أيضًا (٥١٨٨) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا قدم من نجران إلىٰ رسول الله ﷺ وعليه خاتم من ذهب، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «**إنَّك جئتني وفي يدك جمرةٌ من نار**»، وصحَّحه لغيره الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٦١).

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢١٢٦)، وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٦٤)، وابن القيم في «زاد المعاد» (٢/ ٥٤٩).

باب النهي عن الجدال في القرآن

❏ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٦٠٣- حدَّثنا أَحْمَد بن حَنْبل، قَالَ: حدَّثنا يزيدُ بن هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرنا مُحمَّد بن عمرٍو، عن أبي سَلَمة، عن أبي هُرَيرة، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**المِرَاءُ في القُرْآن كفرٌ**»(١).



الشرح

المُرَاد بالمِرَاءِ هُنَا: الجدالُ، فلا يَنْبغي الجدالُ في القُرْآن؛ لأنَّ القُرْآنَ كلامُ الله، وكلامُ اللهِ يجب أن نُذْعنَ له، ونؤمنَ به كلَّ الإيمان، ونَحْترمَه كلَّ الاحترام، وقَدْ أنكرَ النَّبيُّ ﷺ عَلَىٰ جَمَاعةٍ من أَصْحَابه حين كَانُوا يَتجَادلُونَ في القُرْآن، فخَرَج عليهم وكأنَّما فُقِئَ حبُّ الرُّمَّان في وَجْهه، فقال: «**أبهَذَا أُمِرْتُمْ؟!**»(٢)،

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حسن صحيح.

(٢) يشير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢١٣٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القَدَر، فغضب حتىٰ احمرَّ وجهه، وحتىٰ كأنَّما =

وأَنْكَرَ عليهم إنكارًا شديدًا.

فقول النَّبيِّ ﷺ في هَذَا الحديث: «**المِرَاءُ في القُرْآن كفرٌ**»؛ يعني أنَّه قَدْ يُؤدِّي إلىٰ الكُفْر؛ لأنَّ التَّماري ربَّما يكون أَحَدُ المُتَماريَيْن يردُّ عَلَىٰ صاحبِهِ، ولا يَسْمع كَلَامه، ولا يُؤْمن بما جَاءَه به، وربَّما أدَّىٰ إلىٰ ذَلِكَ العِنَادُ، وَالعِيَاذُ بالله؛ فمِنْ أَجْل ذَلِكَ حَرَّم اللهُ ﷻ المِرَاءَ في القُرْآن، وحَرَّم الجدالَ فيه، ونَهَىٰ عَنْ ذلك أشدَّ النَّهي.

أمَّا قوله: «**كُفْرٌ**»؛ فلأنَّ الجِدَالَ يُؤدِّي إلىٰ الكُفْر.

فالكُفْر هُنَا لَيْسَ المُرَاد به الكُفْر المُخْرج من المِلَّةِ، ولكن لكونِهِ يُسبِّب الكُفْرَ؛ سُمِّي كفرًا، والأَوْلَىٰ أن نَتْركَ ما جَاءَ عن النَّبيِّ ﷺ عَلَىٰ ما هُوَ عَلَيه حتَّىٰ لا يَسْتخفَّ به الجُهَّال، وحتَّىٰ لا يفهم بَعْض طَلَبة العلم أنَّ كلَّ جدالٍ في القُرْآن يكون كُفْرًا مخرجًا من المِلَّةِ، فلا بدَّ من تَبْيين هَذَا لطُلَّاب العِلْمِ.

قَوْل النَّبيِّ ﷺ: «**المِراءُ في القُرْآن كفرٌ**».

قَالَ المُناوي: «أي: الشَّكُّ في كَوْنه كَلَام الله، أو أَرَاد الخَوْض فيه بأنَّه محدثٌ أو قديمٌ، أو المُجَادلة في الآي المُتَشَابهة، وذلك يُؤدِّي إلىٰ الجُحُود، فَسَمَّاه كفرًا باسم ما يُخَاف عاقبتُهُ».اهـ[1].

=

فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم؟! أم بهذا أُرسِلْت إليكم؟ إنَّما هلك من كَانَ قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه!**»، وحسَّنه الألبانيُّ ﵀ في «المشكاة» (٩٨).

(١) «فيض القدير» (٦/ ٢٦٥).

وَقَال الإمامُ ابْنُ الأثير في «النِّهاية»: «المِرَاءُ: الجدالُ، والتَّمَاري والمُمَاراة: المُجَادلة»[1].

والمهمُّ: أنَّه لا يكون كلُّ جِدَالٍ أو مِرَاءٍ في القُرْآن كفرًا مُخْرجًا من المِلَّةِ، وبالله التَّوفيق.



(١) «النِّهاية في غريب الحديث» (٤/ ٦٨٤).

باب في لزوم السنة

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٦٠٤- حدَّثنا عَبْد الوهَّاب بن نَجْدة، قَالَ: حدَّثنا أبو عَمْرو بن كثير بن دينار، عَنْ حريز بن عُثْمَان، عن عبد الرَّحمن بن أبي عَوْف، عن المقدام بن معديكرب، عَنْ رَسُول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «**ألا إنِّي أُوتيت الكتاب ومثلُهُ مَعَه، أَلَا يوشك رجلٌ شبعان عَلَىٰ أريكتِهِ يقول: عَلَيكم بهَذَا القُرْآن؛ فما وَجَدتُمْ فيه من حَلَالٍ فأَحلُّوه، وما وَجَدتُمْ فيه من حَرَامٍ فحَرِّموه، ألا لا يحلُّ لكم الحمار الأهليُّ، ولا كلُّ ذي ناب من السَّبُع، ولا لُقَطَة مُعَاهد إلَّا أن يَسْتغني عَنْها صَاحبها، ومَنْ نَزلَ بقَوْمٍ فعَلَيهم أَنْ يُقْروه، فإِن لَمْ يُقْروه فَلَه أن يُعْقبهم بمثل قِرَاهُ**»[(١)].

٤٦٠٥- وحدَّثنا أَحْمَد بن مُحمَّد بن حنبل، وعَبْد الله بن مُحمَّد النُّفيلي قَالَا: حدَّثنا سفيان، عن أبي النَّضر، عن عُبَيد الله بن أبي رافع، عَنْ أبيه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**لا ألفينَّ أَحَدكم متَّكئًا عَلَىٰ أريكتِهِ يأتيه الأَمْر من أَمْري ممَّا أمرتُ به، أو نَهَيتُ عَنْه، فيقول: لا نَدْري، ما وَجَدنا في كتاب الله اتَّبعناه**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٦٠٦- حدَّثنا مُحمَّد بن الصَّباح البزاز، قَالَ: حدَّثنا إبراهيم بن سعد، (ح) وحدَّثنا مُحمَّد بن عيسىٰ، قَالَ: حدَّثنا عبد الله بن جعفر المخرمي، وإبراهيم ابن سَعْد، عن سَعْد بن إبراهيم، عن القاسم بن مُحمَّد، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدثَ في أَمْرنا هَذَا ما لَيْس فيه فهُوَ ردٌّ**».

قَالَ ابْنُ عيسىٰ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ صَنَع أمرًا عَلَىٰ غَيْر أَمْرنا فهُوَ ردٌّ**»[1].

٤٦٠٧- حدَّثنا أَحْمَد بن حَنْبل، قَالَ: حدَّثنا الوليدُ بن مسلم، قَالَ: حدَّثنا ثور بن يزيدَ، قَالَ: حَدَّثني خالد بن مَعْدان، قَالَ: حَدَّثني عبد الرَّحمن بن عمرو السُّلمي، وحجر بن حُجْر، قَالَا: أَتينَا العِرْبَاض بن سارية وهُوَ ممَّن نَزلَ فيه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة:٩٢].

فسلَّمنا وقلنا: أَتَينَاك زَائِرينَ وعَائِدِينَ ومُقْتَبسين. فَقَال العرباضُ: صلَّىٰ بنا رَسُولُ الله ﷺ ذاتَ يَوْم، ثمَّ أقبلَ عَلَينا، فَوَعظنا موعظةً بليغةً ذَرَفتْ منها العُيُون، وَوَجِلتْ منها القُلُوب، فقال قائلٌ: يا رَسُولَ الله، كأَنَّ هذِهِ مَوْعظة مُودِّعٍ، فمَاذَا تَعْهد إلينا؟

فقال: «**أُوصِيكُمْ بتَقْوىٰ الله، والسَّمع والطَّاعة، وإن عبدًا حبشيًّا؛ فإِنَّه مَنْ يَعِشْ منكم بَعْدي فسَيَرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعَلَيكم بسُنَّتي، وسُنَّة الخُلَفاء الرَّاشدين المهديِّين، تَمسَّكوا بها، وَعَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكُمْ ومُحْدثات**

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

الأُمُور، فإِنَّ كلَّ مُحْدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[١].

٤٦٠٨- حدَّثنا مُسدَّد، قَالَ: حدَّثنا يَحْيىٰ، عن ابن جريج، قَالَ: حَدَّثني سُلَيمان (يعني: ابن عتيق) عَنْ طَلْق بن حبيب، عن الأَحْنَف بن قيس، عَنْ عبد الله بن مَسْعودٍ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «**أَلَا هَلَكَ المُتنطِّعون**»، ثَلَاث مَرَّاتٍ[٢].



الشرح

(باب في لُزُوم السُّنَّة): أَوْرَدَ فيه حديث المِقْدَام بن مَعْديكرب عَنْ رسول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «**ألا إنِّي أُوتِيتُ الكتاب ومثلُهُ مَعَه**».

المُرَاد بقولِهِ: «**ومثله معه**»: يُرَاد به السُّنَّة، فالسُّنَّة وحيٌ كَمَا أَنَّ القرآنَ وحيٌ، وكَمَا يجبُ عَلَينا أَنْ نَأْخُذَ بالقُرْآن، فإِنَّه يجبُ عَلَينا أن نأخذَ بالسُّنَّة، لذَلِكَ قَالَ النَّبيُّ ﷺ هَذَا القولَ مُنْكِرًا عَلَىٰ أَقْوَامٍ سيأتون فيما بَعْد، فيَقُولُون: نأخُذُ بالقرآن، ونَتْرك السُّنَّة؛ لأنَّها مَشْكوكٌ فيها، هَكَذا زَعَموا.

وأَوَّل مَنْ فَعَل ذلك: الخَوَارج الَّذين قرؤوا القُرْآنَ، وتَرَكوا السُّنَّة، فعُوقِبُوا عَلَىٰ تَرْكهم السُّنَّة بأَنْ أخرجوا العُصَاة من أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ من الإِسْلَام

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إلىٰ الكُفْر، فكَفَّروهم وحَكَموا عَلَيهم بالكُفْر بمُجرَّد المَعَاصي، وحَكَموا عَلَيهم بالخُلُود في النَّار، وأَنْكَروا لذلك الشَّفَاعة نتيجةً لإنكارهم السُّنَّة، فهَذَا أمرٌ خطيرٌ، وقَدْ رأينا من النَّاس مَنْ تراه قارئًا تلّاءً للقرآن، لكنَّك بعد ذلك تكتشف بأنَّه خارجيٌّ، وبأنَّه -والعياذ بالله- يَعْتقد عقيدةَ الخَوَارج، ويكفِّر المُسْلِمِينَ بالذَّنب.

فهَذَا تحذيرٌ من الشَّارع عن تَرْك السُّنَّة «**ألا إنِّي أُوتيت الكِتَاب ومثله مَعَه**»، فالخَوَارج تركوا السُّنَّة كلَّها، أمَّا المُعْتزلة فَقَالوا: نُؤْمن بالمتواتر من السُّنَّة دون غيره، ومن هؤلاء أقوامٌ مِمَّنْ يُزعم لهم بأنَّهم دعاةٌ إلىٰ الحقِّ كالغزاليِّ المُتأخِّر، وأشباهه فمَنْ ترك السُّنَّة حصل له الخذلان -والعياذ بالله، بل تسوء عقيدته، نسأل الله العفو والعافية، ولهَذَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**يوشك رجلٌ شَبْعان عَلَىٰ أريكتِهِ يَقُولُ: عَلَيكم بهَذَا القُرْآن، فَمَا وَجَدتم فيه من حَلَالٍ فَأحلُّوه، وما وَجَدتُمْ فيه من حَرَامٍ فَحَرِّموه**».

الأريكة: هو السَّرير الَّذي عَلَيه الحَجَلة، أو الفِراش والبساط الَّذي يكون عليه.

ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا لَا يحلُّ لَكُمُ الحمار الأهليُّ**»؛ تَحْريم الحمار الأَهْلي واردٌ في السُّنَّة، ولم يَرِدْ في الكتاب «**ولا كلُّ ذي نابٍ من السِّبَاع، ولا كل ذي مِخْلَبٍ من الطَّيْر**»[1]، كلُّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ للإِنْسَان أَنْ يترك العملَ به؛ لأنَّه لم يَرِدْ في القرآن.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٠٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «نهىٰ رسول الله ﷺ عن أكل كلِّ ذي ناب من السبع، وعن كلِّ ذي مخلب من الطير»، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «الإرواء» (٢٤٨٨).

وكَذَلك أيضًا: «**لُقَطة المُعَاهد**» لا يَجُوزُ لَكَ أن تَأْخذها «**إلَّا أن يَسْتغني عنها صَاحبُهَا**»، «**ومَنْ نَزلَ بقَوْم فعَلَيهم أن يُقْرُوه، فإن لم يُقْرُوه فله أن يُعْقِبَهم بمثل قِرَاه**»؛ يعني: أن يأخذ من أموالهم بمثل قِرَاه.

فهَذَا كلُّه مِمَّا لم يرد في القرآن، وإنَّما ورد في السُّنَّة.

ثمَّ في الحديث الآخر من حديث أبي رافعٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «**لا ألفينَّ أحدكم متَّكئًا عَلَىٰ أريكته، يأتيه الأمر من أمري ممَّا أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعْنَاه**».

حُجَّة المُعطِّلين للسُّنَّة أَنَّهم يقولون: إنَّ ما نُقل عن النَّبيِّ ﷺ من السُّنَّة قَدْ يكون صحيحًا، وقَدْ يكون غير صحيحٍ، والقرآنُ حماه الله وحفظه، فلا يستطيع أحدٌ التَّحريف فيه، فلذلك نحن نقول: إنَّ الواجب هو الأَخْذ بالقرآن فقط! هكذا يقولون!

ولكن نقول: إنَّ السُّنَّة هي المصدر الثَّاني للتَّشْريع، ومَنْ تَرَكها فقَدْ تَرَك التَّشريع، أو ترك بعض التَّشْريع الَّذي جَاءَ عن النَّبيِّ ﷺ علمًا بأنَّ القرآن فيه مُجْمَلَاتٌ لم تُبيَّن إلَّا بالسُّنَّة.

وقَدْ أنكر عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ مَنْ قَالَ له: إنَّكم تأتوننا بأحاديثَ ما نجدها في كتاب الله؟! فغضب عَلَيه عمران بن حصين، وقال له: «أتجد في كتاب الله أنَّ الظُّهْر أربع ركعاتٍ، وأنَّ العصر أربعٌ، وأنَّ المغرب ثلاثٌ، وأنَّ

العشاء أربعٌ، وأنَّ الصُّبح ركعتان؟ أتجد في كتاب الله مقاديرَ الزَّكاة؟»[١].

الجواب: أنَّ مقادير الزَّكاة والصَّلَوات لم تُعرف إلَّا من سُنَّة رسول الله ﷺ، فنحن مُخَاطَبون بالأَخْذ بالسُّنَّة كَمَا نحن مُخَاطَبون بالأَخْذ بالقرآن.

أَمَّا قولهم: لا ندري، هل صحَّ هَذَا أم لم يصحَّ؟

فنقول لهم: إنَّ اللهَ تَعهَّد بحِفْظ شرعه، فسهَّل ويَسَّر للحديث أقوامًا يَتتبَّعون السُّنَّة، ويأخذونها عن شُيُوخهم ويُمحِّصُونها، فما وجدوا فيه ضَعْفًا، ضَعَّفوه، يُضعِّفون الرَّجلَ؛ فتُضعَّف كلُّ مَرْويَّاته، ويُعدِّلون الرَّجل، ويَحْكمون له بالعدالة، والثِّقة، والضَّبْط؛ فتصحُّ كلُّ مَرْويَّاته، ويُؤخَذ بها.

فمِنْ حِفْظِ اللهِ للسُّنَّة أَنْ يسَّر لها رجالًا مَحَّصوها وعرفوها، وذَبُّوا عنها من بعد الصَّحابة إلىٰ زمن أحمد بن حنبل، ومَنْ كَانَ معه عَلَىٰ هَذَا المنهج، وكذلك إلىٰ أَزْمِنةٍ بعده، لكن أكثر ما يكون ذلك في القرن الثَّاني والثَّالث، مَحَّص أَهْلُ الحديثِ الحديثَ، وبَيَّنوا صحيحه من ضعيفه، ولذلك فإنَّ هذِهِ الكُتُب دُوِّنت معظمها في أَوَّل القرن الثَّالث أو وسطه، فـ «صحيح البخاري» كَتَبه صاحبه في أوَّل القرن الثَّالث، وكذلك مسلم.

---

(١) أخرج عبد الله بن المبارك في «مسنده» (ص١٤٣) (٢٣٣)، وفي «الزهد» (ص٢٣) (٩٢)، وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٢٣٥) (٦٧) عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنَّ رجلًا أتاه، فسأله عن شيء، فحدَّثه، فقال الرجل: حدِّثوا عن كتاب الله، ولا تحدِّثوا عن غيره! فقال: «إنَّك امرؤ أحمق، أتجد في كتاب الله أنَّ صلاة الظهر أربع لا يُجهر فيها، وعدد الصلوات، وعدد الزكاة ونحوها؟ ثمَّ قَالَ: أتجد هذا مُفسَّرًا في كتاب الله؟ إنَّ الله قد أحكم ذلك، والسُّنَّة تفسِّر ذلك».

البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تُوفِّي في سنة (٢٥٦هـ)، ومسلم رَحِمَهُ اللَّهُ تُوفِّي في (٢٦١هـ)، وأبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ تُوفِّي في سنة (٢٧٥هـ)، والتِّرمذي رَحِمَهُ اللَّهُ تُوفِّي في سنة (٢٧٩هـ)، إلَّا أنَّ النَّسائيَّ -كَانَ آخرهم- تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ في سنة (٣٠٣هـ) بعد عُمُرٍ طويلٍ.

المهمُّ: أنَّ الله هَيَّأَ للسُّنَّة رجالًا مَحَّصوها، وذَبُّوا عنها، وبَيَّنوا الصَّحيح من الضَّعيف فيها، والحمد لله، فمَنْ قَالَ خِلَافَ ذلك فهو مفتونٌ، سواء قَالَ: إنَّا لا نؤمن إلَّا بالمتواتر؛ كالمعتزلة، أو قَالَ: إنَّا لا نؤمن بالسُّنَّة كلِّها كَمَا تقول الخوارج، فهَذَان المَذْهبان مَذْهبَا ضلالةٍ وابتداعٍ، ونسأل اللهَ العفوَ والعافيةَ.

ثمَّ أورد حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**مَنْ أحدث في أمرنا هَذَا ما ليس فيه فهو ردٌّ**».

وكذلك يقول: قَالَ ابْنُ عيسىٰ: قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَنَع أمرًا عَلَىٰ غير أمرنا فهو ردٌّ**».

ثمَّ حديث العرباض بن سارية، وهو أنَّه أَتَاه قومٌ من التَّابعين، وطلبوا منه أَنْ يُحدِّثهم، فقالوا: «أتيناك زائرين، وعائدين، ومقتبسين»، فَحَدَّثهم العرباض بن سارية أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج عليهم ذات يومٍ، فصلَّىٰ بهم صلاة الفجر، ثمَّ أقبل عليهم، فوعظهم موعظةً بليغةً، ذَرَفت منها العيون، وَوَجِلَتْ منها القلوبُ.

فقال قائلٌ: «يا رسول الله، كأنَّ هذِهِ موعظةُ مُودِّعٍ»؛ يعني: كأنَّ أَجَلك قريبٌ فودَّعتنا بهذِهِ الموعظة، «كأنَّ هذِهِ موعظةُ مُودِّعٍ، فماذا تعهد إلينا؟».

قال: «**أوصيكم بتقوىٰ الله**»؛ أي: اتَّقوا الله، وتقوىٰ الله مُتضمِّنةٌ للأَخْذِ بما جَاءَ في كتابه، والأخذ بما جَاءَ في سُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثمَّ قَالَ: «**والسَّمْع والطَّاعة، وإِن عبدًا حبشيًّا**»؛ أي: السَّمع والطَّاعة لوليِّ الأمر، وإِنْ كَانَ وليُّ الأمر عبدًا حبشيًّا؛ «**فإِنَّه مَنْ يَعِشْ منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي**».

لو ما يكون فيه إلَّا هَذَا الحديث في وجوب العمل بالسُّنَّة لكفىٰ «**فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين المَهْديِّين، تَمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ**».

وفي روايةٍ: «**المَهْديِّين الرَّاشدين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ**».

وفي هَذَا إغراءٌ من النَّبيِّ ﷺ يَتَضمَّن الأمر بالتَّمسُّك بالسُّنَّة، وحفظها، ومتابعتها، والمشي في العقيدة والدِّين عَلَىٰ ضوئها.

فقوله: «**عَضُّوا عليها بالنَّواجذ**»، هَذَا إغراءٌ من أشدِّ الإغراء، وحثٌّ من أشدِّ الحثِّ عَلَىٰ لُزُوم السُّنَّة، والإيمان بها، ومتابعتها، وتَرْك المُحْدثات من الأُمُور.

ثمَّ بَيَّن أنَّ كلَّ مُحْدثةٍ في الدِّين بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، والضَّلالة هي الطَّريق أو المتاهة الَّتي يضلُّ فيها الإنسان، فلا يعرف أين اتِّجاهه، وأين مصيره، وذلك أنَّ مَنْ ترك السُّنَّة؛ فإنَّه قَدْ ترك الاتِّجاه الصَّحيح، وصار مثل مَنْ دخل في متاهةٍ لا يدري أين يَتَّجه، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

هَذَا حديثٌ عظيمٌ يجب علينا أَنْ نأخذ به، وأَنْ نَتمسَّك به.

وهل المراد بالبدعة هنا كل ما ابتدع بعد زمنِ النَّبيِّ ﷺ سواءٌ كَانَ في الدِّين أو الدُّنيا؟

لربَّما قَالَ قائلٌ هذا، ولكنَّ المراد بذَلِكَ هُوَ الابتداعُ في الدِّين؛ لأنَّ الدِّين قَدْ كَمُل، وأَخْبَر اللهُ بكمالِهِ حَيْث يَقُول تَعَالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وإذا كَانَ الدِّينُ قَدْ كَمُل، إذًا، فَمَنِ ابْتدَع بدعةً في الدِّين بعد كماله، فإنَّه قَدِ اتَّهم مُحمَّدًا ﷺ بأنَّه كتم شيئًا من الدِّين، وكَذَّب الله في إخباره بكمال الدِّين.

وهناك كُتُبٌ ذكرت البدع، منها كتاب «الاعتصام» للشَّاطبيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الَّذي شرح فيه البدع، وردَّ عليها، وغير ذلك من الكتب، ككتاب «الشَّريعة» للآجرِّي، وكتاب «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة، وكتاب «شرح السُّنَّة» للَّالكائي، وأمثال هذِهِ الكُتُب، وكتب الرُّدود كـ: توحيد ابن خزيمة، والرَّد عَلَىٰ بشر المرِّيسي لعثمان بن سعيد الدَّارمي، والرَّد عَلَىٰ الجهميَّة له، والرَّد عَلَىٰ الجهميَّة لأحمد بن حنبل، وأمثالها.

والحديث الأخير (حديث عبد الله بن مسعودٍ) من رواية الأحنف بن قيس، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**أَلا هَلَك المُتنطِّعون**»، ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

والتَّنطُّع: هو التَّعمُّق في الشَّيء، والتَّكلُّف في البحث عنه، وما أشبه ذلك، فينبغي لطالب العلم أَنْ يكون وَسَطًا بين الغُلوِّ والجَفَاء، وبين التَّنطُّع والتَّكلُّف، وبين التَّساهل.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُوفِّق الجميع لما يحبُّ ويرضىٰ، وأن يُفقِّهنا في السُّنن، وأَنْ يُجنِّبنا البدع، إنَّه جوادٌ كريمٌ، وصلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه.



باب لزوم السنة

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٦٠٩- حدَّثنا يحيىٰ بن أيوب، ثنا إسماعيل (يعني: ابن جعفر)، قَالَ: أخبرني العلاء (يعني: ابن عبد الرَّحمن)، عن أبيه، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: **«مَنْ دعا إلىٰ هدىٰ كَانَ له من الأجر مثل أُجُور مَنْ تَبعَهُ لا ينقص ذلك من أُجُورهمْ شيئًا، ومَنْ دَعَا إلىٰ ضلالةٍ كَانَ عَلَيه من الإِثم مثل آثام مَنْ تَبعَهُ، لا ينقص ذَلِكَ من آثَامِهِمْ شيئًا»**[1].

٤٦١٠- حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا سفيان، عن الزُّهريِّ، عن عامر بن سعد، عن أبيه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إنَّ أَعْظَمَ المُسْلِمِينَ فِي المُسْلِمِينَ جرمًا مَنْ سأل عن أمرٍ لَمْ يحرَّم؛ فَحُرِّم عَلَىٰ النَّاس من أَجْل مسألَتِهِ»**[2].

٤٦١١- حدَّثنا يزيدُ بْنُ خَالد بن يَزيدَ بن عَبْد الله بن مَوْهب الهمداني، قَالَ: حدَّثنا اللَّيث، عَنْ عقيل، عَن ابْنِ شِهَابٍ، أنَّ أَبا إدْريسَ الخَوْلاني عائذ الله، أَخْبَره

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أنَّ يَزِيدَ بن عُمَيرة -وكَانَ من أَصْحَاب مُعَاذ بن جبل- أَخْبَره قَالَ: كَانَ لَا يَجْلسُ مَجْلسًا للذِّكْر حين يَجْلِسُ إلَّا قَالَ: اللهُ حكمٌ قسطٌ، هَلَكَ المُرْتَابُونَ.

فَقَال مُعَاذ بن جبل يومًا: إنَّ مِنْ وَرَائكمْ فتنًا يَكْثُرُ فيها المالُ، ويُفْتَح فِيهَا القُرْآنُ حتَّىٰ يَأْخُذَه المؤمنُ والمُنَافقُ، والرَّجلُ والمرأةُ، والصَّغيرُ والكبيرُ، والعبدُ والحرُّ، فيوشك قائلٌ أَنْ يقولَ: ما للنَّاس لا يَتَّبعوني وقَدْ قرأتُ القُرْآنَ؟ ما هُمْ بمتبعيَّ حتَّىٰ أبتدعَ لهم غيره، فإِيَّاكم وما ابتدعَ؛ فإِنَّ ما ابتدعَ ضلالةٌ، وأُحذِّركم زَيْغة الحكيم؛ فإِنَّ الشَّيطان قَدْ يقول كَلِمَةَ الضَّلالة عَلَىٰ لِسَانِ الحَكِيمِ، وقَدْ يَقُولُ المُنَافق كَلِمَةَ الحقِّ.

قَالَ: قلتُ لمُعَاذٍ: ما يُدْريني -رحمك الله- أنَّ الحكيمَ قَدْ يَقُول كلمةَ الضَّلالة، وأنَّ المنافقَ قَدْ يَقُولُ كلمةَ الحقِّ؟

قَالَ: بَلَىٰ، اجْتَنِبْ من كَلَام الحكيم المُشْتَهراتِ الَّتي يُقَال لها: ما هٰذِهِ، ولا يُثْنِينَّك ذَلِكَ عنه؛ فإِنَّه لعلَّه أن يُرَاجع، وتلقَّ الحقَّ إذا سمعته، فإِنَّ عَلَىٰ الحقِّ نورًا.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ مَعْمر عن الزُّهريِّ في هَذَا الحديث: «ولا يُنْئِيَنَّكَ ذلك عنه»، مكان «يثنينك». وقال صَالِحُ بن كَيْسان عن الزُّهريِّ في هَذَا: «المشبهات»، مكان «المشتهرات»، وقال: لا يثنينك كَمَا قَالَ عقيل. وَقَالَ ابن إسحاق عن الزُّهريِّ قَالَ: بلىٰ ما تَشَابه عليك من قَوْل الحكيم حتَّىٰ تقول ما أَرَاد بهٰذِهِ الكلمة؟[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١١)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد موقوف».

٤٦١٢- حدَّثنا مُحمَّد بن كثير، قَالَ: حدَّثنا ،سفيان قَالَ: كتب رجل إلىٰ عمر ابن عبد العزيز يسأله عن القدر، (ح)، وحدَّثنا الرَّبيع بن سليمان المؤذن، قَالَ: حدَّثنا أسد بن موسىٰ قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد بن دُليل، قَالَ: سمعت سفيان الثَّوري يُحدِّثنا عن النَّضر، (ح)، وحدَّثنا هناد بن السَّري، عن قبيصة، قَالَ: حدَّثنا أبو رجاء، عن أبي الصَّلت، وهَذَا لفظ حديث ابن كثير ومعناهم، قَالَ: كتب رجل إلىٰ عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب:

أمَّا بعد، أوصيك بتقوىٰ الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سُنَّة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سُنَّته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السُّنَّة، فإِنَّها لك -بإِذن الله- عصمةٌ.

ثمَّ اعلم أنَّه لم يبتدع النَّاس بدعةً إلَّا قَدْ مَضَىٰ قبلها ما هو دليلٌ عليها، أو عبرةٌ فيها؛ فإنَّ السُّنَّة إنَّما سنَّها مَنْ قَدْ علم ما في خلافها -ولم يقل ابن كثير: «مَنْ قَدْ علم»- من الخطأ، والزلل، والحمق، والتعمق، فارضَ لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم؛ فإنهم عَلَىٰ علمٍ وقفوا، وببصر نافذٍ كَفُّوا، وَلهُمْ عَلَىٰ كشف الأُمُور كَانُوا أَقْوَىٰ؛ وبفَضْل ما كَانُوا فيها أَوْلىٰ، فإن كَانَ الهدىٰ ما أنتم عَلَيه لقَدْ سبقتموهم إليه. ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم، ما أحدثه إلَّا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السَّابقون، فقَدْ تكلَّموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مُقَصِّرٍ، وَمَا فَوْقَهمْ من مُحْسَرٍ، وقَدْ قصَّر قومٌ دونهم فجَفَوْا، وطمح عنهم أقوامٌ فغَلَوْا، وإنَّهم بَيْنَ ذلك لعَلَىٰ هدىٰ مستقيمٍ.

كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر، فعلىٰ الخبير -بإِذن الله- وقعت، ما أعلم ما أحدث النَّاس من مُحدثةٍ، ولا ابتدعوا من بدعةٍ هي أبين أثرًا، ولا أثبت

أمرًا من الإِقرار بالقدر، لقَدْ كَانَ ذِكْرُهُ فِي الجاهليَّة الجَهْلاء، يتكلمون به فِي كلامهم وفِي شعرهم يعزُّون به أنفسهم عَلَىٰ ما فاتهم، ثمَّ لم يزده الإِسلام بعد إِلَّا شدَّة، ولقَدْ ذَكَره رسول الله ﷺ فِي غير حديثٍ ولا حديثين، وقَدْ سمعه منه المُسْلمونَ، فتكلَّموا به فِي حياتِهِ، وبَعْد وفاتِهِ، يقينًا وتسليمًا لرَبِّهِمْ، وتضعيفًا لأنفسهم أَنْ يكون شيءٌ لَمْ يُحِطْ به علمُهُ، ولَمْ يُحْصه كتابُهُ، ولَمْ يمض فيه قَدَره، وإِنَّه مَعَ ذَلك لفي مُحْكم كتابِهِ: منه اقْتبسُوهُ، ومِنْه تعلَّموه.

ولئن قُلْتم: لِمَ أَنْزلَ اللهُ آيَة كَذَا؟ ولِمَ قَالَ كَذَا؟

لقَدْ قرؤوا منه ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك: كله بكتاب وقدر، وكتبت الشَّقاوة، وما يقدر يكن، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا نَملك لأنفسنا ضرًّا ولا نفعًا، ثمَّ رَغِبوا بعد ذلك ورَهبوا[1].



الشرح

(**باب لزوم السُّنَّة**)، أَوْرَدَ فيه حَديثَ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ دعا إِلىٰ هدًىٰ كَانَ له من الأجر مثل أُجُور مَنْ تَبِعَه لا يَنقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومَنْ دعا إِلىٰ ضلالةٍ، كَانَ عَلَيه من الإِثم مثل آثامِ مَنْ تَبِعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح مقطوع».

«**الهدىٰ**»: هو ما جَاءَ من عند الله، ما جَاءَ به كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ.

«**الضَّلالة**»: هو ما جَاءَ من طريق أصحاب الإحداث الَّذين أحدثوا في الدِّين ما لم يأذن به الله.

ولمَّا كَانَ المُتسبِّب في الشَّيء عَلَيه مِنْ تَبِعَته وإثمه أو من ثوابه وفضله ما يكون جزاءً عَلَىٰ فاعل ذلك السَّبَب، إِنْ كَانَ خيرًا فللمُتسبِّب فيه خيرٌ، وإِنْ كَانَ شرًّا فللمُتسبِّب فيه شرٌّ، فقَدْ صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «**لا تُقتَل نفس ظلمًا إلَّا كَانَ عَلَىٰ ابن آدم الأوَّل من إثمِهِ شيءٌ؛ لأَنَّه أوَّل مَنْ سَنَّ القتلَ**»[1].

لذلك، فإِنَّ مَنْ دعا إلىٰ هدىٰ، وأحيا سُنَّةً وأمر بها، أَمَر بمعروفٍ، ونَهَىٰ عن منكرٍ، فإنَّ له من الأجر مثل أجور مَنْ تابعوه في دعوته تلك، ومَنْ دعا إلىٰ ضلالةٍ، فإنَّ عَلَيه من الإثم مثل ما عَلَىٰ مَنْ عمل بدعوته، والعياذ بالله.

وهَذَا مِمَّا ينبغي للمسلم أن ينظر فيه، وأَنْ يَتبيَّن ذلك الشَّيء الَّذي دعا إليه هل هو من الحقِّ فيُؤجَر ويُثَاب، ويتضاعف ثوابُهُ كلَّما كثر التَّابعون له في أمر دعوته تلك، أم يكون بالعكس من ذلك فيكُف نفسه ويقف، فنحن الآن في زَمَنٍ كثرت فيه الفتن، وَكَثُر فيه دعاة الضَّلال.

فيا عبد الله، إيَّاك وإيَّاهم، فإنَّك إِنْ تابعتهم عَلَىٰ ما هم عَلَيه من الضَّلال، أهلكت نفسك وأوبقتها، وحمَّلتها ما لا طاقة لها به.

انظروا كيف تنفذ هذِهِ الدَّعَوات إلىٰ القُلوب فتُؤثِّر فيها، فيُعْمِي الله بَصَر

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وسَمْعَ ذلك المَدعو الَّذي قَبِلَ هذِهِ الدَّعوة الضَّالَّة، فمثلًا: دعوة التَّكْفير؛ الَّذين يُكفِّرون المُسْلِمِينَ، كيف لم يَرَ مَن تقبَّل هذِهِ الدَّعوة ما عَلَيه المُسلم من الإسلام والعبادة؛ مِنَ الصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، وقراءة القرآن، ومن الأُمُور الأخرىٰ الَّتي يفعلها مُمتثلًا بها أَمْرَ الله، ومُؤدِّيًا بها عبادةً يرجو ثوابها من الله؟ ثمَّ بعد ذلك يأتي هَذَا الأعمىٰ فيَستبيح دَمَه! ما أعظمَها من مُوبقةٍ ومُهْلِكةٍ!

والله تعالىٰ يقول: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

ويستبيح تَبَعًا لذلك عِرْضه وماله، والعياذ بالله.

ثمَّ أورد المؤلف حديث عامر بن سعدٍ عن أبيه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ أعظم المُسْلِمِينَ في المُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سأل عن أمرٍ لم يُحرَّم، فحُرِّمَ عَلَىٰ النَّاس من أجل مسألتِهِ**».

هَذَا السَّائل الَّذي سأل وتَسبَّب فِي شيءٍ كَانَ مسكوتًا عنه، ثمَّ إنَّه حُرِّم من أجل مسألته، يكون من أعظم النَّاس جرمًا، وهَذَا إنَّما كَانَ عند تَنزُّل الوحي، أمَّا بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ وانقطاع الوحي؛ فإنَّ الأحكام الشَّرعيَّة قَدِ اسْتقرَّت عَلَىٰ ما هي عليه.

ثمَّ أورد حديث أبي إدريسٍ الخولاني عائذ الله أخبره أنَّ يزيد بن عميرة -وكان من أصحاب معاذ بن جبل- أخبره قَالَ: كَانَ لا يجلس مجلسًا للذِّكْر حين يجلس إلَّا قَالَ: «الله حكمٌ قسطٌ، هلك المرتابون».

«**الله حكمٌ قسطٌ**»؛ أي: عدلٌ.

«**هلك المرتابون**»؛ أي: الشَّكَّاكون في أوامر الله ونواهيه، في كتابه وسُنَّته.

ثمَّ قَالَ: قَالَ مُعَاذ بن جبلٍ يومًا: «إنَّ مِن ورائِكم فِتَنًا يَكثر فيها المالُ، ويُفْتَحُ فيها القرآنُ حتَّىٰ يَأخذَه المُؤمن والمُنافق، والرَّجل والمرأة، والصَّغير والكبير، والعبد والحرُّ»، كأنَّما وَصَفَ زمانَنا هذا.

«**إنَّ مِن ورائكم فِتَنًا يَكثر فيها المَالُ**»: والمالُ اليوم كثيرٌ.

«**ويُفْتَحُ فيها القرآنُ حتَّىٰ يَأخذَه المُؤمن والمُنافق**»: أي: يَقرؤه المُؤمن؛ لَيتبصَّر به في دينه، ويقرؤه المُنَافق لِيُجادل به المُؤمنين، والعياذ بالله.

وقَدْ جَاءَ حديثٌ في «مسند الطَّيالسي» وتَتَبَّعتُ سنده، فوجدتُ أنَّه عَلَىٰ أقل الأحوال يكون حَسَنًا.

هَذَا الحديث يُعتَبر حديثًا قدسيًّا عن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّه قَالَ: «**وعِزَّتي وجَلَالي، لأُفشينَّه بينهم** (يعني: القرآن) **حتَّىٰ يأخذه الرَّجل والمرأة** -أو قَالَ: الذَّكَر والأنثىٰ- **والصَّغير والكبير، والحرُّ والعبد، فإذا أخذوه، ولَم يَعملوا به- أخذتُهُم بحقِّه عليهم**». هَذَا حديثٌ عظيمٌ، وفيه إنذارٌ ووعيدٌ.

«**فإذا أخذوه ولم يَعْمَلُوا به- أخذتُهم بِحَقِّه عليهم**»: وإنَّك لتعجب أن ترىٰ الفجور عند بعض مَنْ يقال بأنَّهم طُلَّاب علمٍ من الذُّكُور والإناث، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ونسأل الله السَّلامة، ونحن بحاجةٍ إلىٰ أن ندعو الله كثيرًا، ونلجأ إليه لُجْأً عظيمًا أن يُبصِّرنا ويُبصِّر شباب المُسْلِمِينَ الحقَّ، ويُجنِّبهم الشِّرك والبدع والفواحش والفتن، ما ظهر منها وما بطن.

قوله: «**فيوشك قائلٌ أن يقول: ما للنَّاس لا يَتَّبعوني**»: هَذَا يدلُّ عَلَىٰ أنَّ النَّزْعةَ إلىٰ حبِّ الرِّئاسة مُتأصِّلةٌ في الإنسان، والعياذ بالله.

وقوله: «**ما للنَّاس لا يَتَّبعوني وقَدْ قرأتُ القرآن، ما هم بمتبعيَّ حتَّىٰ أبتدع لهم غيره، فإيَّاكم وما ابتدع؛ فإن ما ابتدع ضلالة**»: أي نحن الآن ينبغي أن ننظر في هذِهِ الدَّعَوات الَّتي انتشرت فيمن حولنا هنا وهناك، يجب أن ننظر فيها، فما وافق منها الحقَّ أخذناه، لا اتِّباعًا لها، ولكن اتِّباعًا للحقِّ، وما خالف منها الحقَّ رددناه، هَذَا هو موقف المؤمن.

هَذَا هو موقف الدَّاعية وموقف المدعوِّ إِنْ كَانَ طالبَ علمٍ يريد الحقَّ، وإذا كَانَ معاذ بن جبلٍ يقول هَذَا القول في زمنه، فكيف بعد ذلك؟

ونقول بأنَّه ينبغي أن نُحْسِنَ الظَّنَّ بكلِّ مَنْ دعا -فيما يزعم- إلىٰ الدِّين، فما دعا إلىٰ الدِّين إلَّا وهو يريد الدِّين مخلصًا، وينبغي لنا -كَمَا قلت سابقًا- أن ننظر في هذِهِ الدَّعوات، وألَّا نأخذ بما جَاءَ من عند فلانٍ عَلَىٰ أنَّه حقٌّ كلُّه.

فهَذَا لا يجوز، واللهُ ما كلَّفنا إلَّا باتِّباع رسوله ﷺ، وأنَّه لا تُقبَل صلاتُنَا وأَذَانُنا إلَّا بالشَّهادة لرسول الله ﷺ بالرِّسالة، ونحن حين نشهد له بالرِّسالة، كأنَّما نُعاهِد الله عَلَىٰ اتِّباعِهِ.

فيا إخوة الإسلام، ينبغي أَنْ نعلم أنَّه لا ينجينا عند الله إلَّا متابعة رسوله ﷺ، والأخذ عنه دون غيره، مَنْ قَالَ لَكَ قولًا، أو عرض لك رأيًا، فقل له: ما الدَّليل عَلَىٰ هَذَا القول وهَذَا الرَّأي؟

فإِنْ أَبْدىٰ لك دليلًا، فَخُذْه من أجل الدَّليل، والدَّليل إمَّا من كتاب الله، وإِمَّا من سُنَّة رسول الله ﷺ.

وأيضًا الدَّليل ينبغي أن يُمحِّصه المُمحِّصون مِمَّنْ درسوا العلم، ودرسوا علوم الآلة من أصولٍ ومصطلحٍ، وغير ذلك، ينبغي أن يُمحَّص هَذَا الدَّليل أَوَّلًا من حيث صِحَّته.

وثانيًا: من حيث دلالته. وثالثًا: هل خالفه شيءٌ من الأحكام الشَّرعيَّة المقطوع بها أم لا؟

فإذا وجدت أنَّه صحيحُ السَّنَد، صريحُ الدَّلالة، لم يخالفه شيءٌ من الأحكام الشَّرعيَّة المقطوع بها فخُذه، واحرص عليه، واغتبط به، أمَّا إن كَانَ ذلك الدَّليل ضعيفًا أو غير صريح الدَّلالة، أو خَالَفه من الأَحْكَام الشَّرعيَّة المَقْطوع بها مَا خَالَفه، فهَذَا ينظر فيه أَهْلُ العلم.

قوله: «**فإِيَّاكم وما ابتدع**»؛ أي: اتْرُكُوا بِدْعتَهُ، فمثلًا شخصٌ دَعَا دعوةً سِريَّةً، وطَلَب من المَدْعوِّين البَيْعةَ (بيعة سرِّيَّةً) مع أنَّ في أَعْناقهمْ بيعةً لوليِّ أمرهم، هل يصحُّ هَذَا الكلام؟

الجواب: لا يصحُّ، فإذا كنت أيُّها الشَّخص في عُنُقك بيعةٌ لإمامٍ، فكَيْفَ تُبَايع بيعةً أُخْرَىٰ؟ هل هَذَا من الحقِّ أو من الباطل؟ لا شكَّ أنَّه من الباطل، وهَكَذا نقول: إنَّ الإمارةَ في الحَضَر من هَذَا القبيل.

ومن البدع أيضًا: البَيْعَة الصُّوفيَّة بمعنىٰ أنَّه يجب عَلَيك تنفيذ ما يقول رئيسك من غَيْر نظرٍ، ولا تَفْكيرٍ، علمًا بأنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُبَايع أَصْحابَه عَلَىٰ

السَّمع والطَّاعة فيما اسْتطَاعوا، ويُلقِّنهم أحيانًا، فيقول: «**فيما اسْتَطَعْتَ**».

ولقَدْ جَاءَ في حديث عن إحدىٰ الصَّحابيَّات اللَّاتي بايعن رسول الله ﷺ أنَّهنَّ بايعن رسول الله ﷺ، فقال لَهُنَّ: «**علىٰ السَّمْع والطَّاعة فيما اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ**»، فكانت تلك المرأة تُحدِّث بهَذَا الحديث، وتقول: للهُ ورسولُهُ أرحم بنا من أنفسنا(١).

ومن البدع: أيضًا بدعة حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المُسْلِمِينَ عندما يقول: «نجتمع فيما اتَّفقنا عَلَيه، ويعذر بَعْضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، وهو بذلك يعطل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعياذ بالله.

قوله: «**فإِيَّاكم وما ابتدع، فإِنَّ ما ابتدع ضلالةٌ**»؛ أي: ما وجدتم من البدع في مقالته ودعوته فاتركوه، فإنَّه ضلالةٌ، وَاتَّبِعوا كتاب الله وسُنَّة رسوله.

قوله: «**وأُحذِّركم زَيْغة الحكيم؛ فإِنَّ الشَّيْطان قَدْ يقول كلمة الضَّلالة عَلَىٰ لسان الحكيم، وقَدْ يقول المنافق كلمة الحقِّ.**

قال: قلتُ لمعاذٍ: ما يدريني -رحمك الله- أنَّ الحكيم قَدْ يقول كلمة الضَّلالة، وأنَّ المنافق قَدْ يقول كلمة الحقِّ؟

قال: بلىٰ، اجتنب من كلام الحكيم المشتهراتِ»؛ يعني: الكلمات الَّتي تكون مشتهرةً، ويقول السَّامع لها: ما الَّذي أراده قائلها؟

---

(١) أخرجه الترمذي (١٥٩٧)، من حديث أميمة بنت رقيقة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٤١٨١)، وابن ماجة (٢٨٧٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٥٢٩).

«**الَّتي يُقَال لها: ما هذه؟ ولا يُثنينَّك ذلك عنه**»؛ يعني: عن الحكيم.

«**وتلقَّ الحقَّ إذا سمعته؛ فإِنَّ عَلَىٰ الحقِّ نورًا**»: الحقُّ واضحٌ ونيِّرٌ، عَلَيه علاماته كعَلَامات الطَّريق الواضحة، ولكن يَخْفىٰ ذلك عَلَىٰ العُميان، أو يجحدون الحقَّ وهم يرونه، كَمَا قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل:١٤].

وقَدْ يقول المشترك في حزبٍ من الأحزاب حينما يدعوه داعي الله إلىٰ الحقِّ، يقول في نفسه: أنا مع جماعتي ولا أَتخلَّىٰ عنهم، أو ما أشبه ذلك من الأعذار، أو أنَّه قَدْ وُعد برُتْبةٍ سيخسرها إِنْ هو اتَّبَع الحقَّ، فيثنيه الشَّيْطان عن إجابة داعي الحق، فيا من ترجو ثواب الله، أعرض عن الباطل حتَّىٰ لا تخسر درجةً في الجنَّة؛ والَّتي هي خيرٌ لك من الدُّنْيا وما عليها.

ثمَّ أورد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأثر عن عمر بن عبد العزيز، قَالَ: «**كتب رجلٌ إلىٰ عمر بن عبد العزيز يسأله عن القَدَر، فكتب عمر بن عبد العزيز: أمَّا بعد، أوصيك بتقوىٰ الله، والاقتصاد في أمره، واتِّباع سُنَّة نَبيِّه**».

قوله: «**أوصيك بتقوىٰ الله**» تَقْوىٰ الله مَعْناها معروفٌ.

قوله: «**الاقتصاد في أمره**»: بأن تعمل بأمر الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ طريقة الاقتصاد، والاقتصاد هو ألا تُحمِّل نفسك فوق طاقتها، ولا تدخل في شيءٍ من العبادات قَدْ يعجزك ويُكرِثك، ولكن اعمل بما قدرت عليه، وارْجُ ربَّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «**واتِّباع سُنَّة نَبيِّه** ﷺ»: اتِّباع السُّنَّة؛ يعني: بأن تعمل عملًا ترىٰ أنَّ ذلك المبتدع عمل أكثر منك، وأجهد نفسه في العبادة أكثر منك، فأنت لا

تغبطُه، إذا كنت أنت عَلَىٰ سُنَّةٍ وهو عَلَىٰ بدعةٍ، لا تغبطه.

فالَّذي يعيش عَلَىٰ السُّنَّة، ويموت عَلَىٰ السُّنَّة خيرٌ مِمَّنْ أجهد نفسه في الدَّعَوات الضَّالَّة الَّتي خلطت بين الحقِّ والباطل، تجد فيها حقًّا لكنَّها ملتبسةٌ بباطلٍ، قَدْ يَغرُّك من أولئك المبتدعة سَمْتُهُم أو سَمْتُ بعضِهم بأَنْ يكون مُعْفِيًا للحيته، رافعًا لثيابه عن المحظور، وعاملًا بالسُّنَّة في بعض الأُمُور من الفضائل، ولكنَّه قَدْ ترك من العقائد ما ترك ممَّا هو أفضل بكثيرٍ من الأُمُور الَّتي عملها، فحينئذٍ لا تغبط المبتدع.

قوله: «**وترك ما أَحْدث المُحْدثون**»: اترك ما أَحْدَثه المحدثون.

«**بعدما جرت به سُنَّته**»: يعني: سُنَّة النَّبيِّ ﷺ، يأتون إلىٰ سُنَّةٍ، ويُحْدِثون فيها، فيزيدون فيها ما يُحوِّلها إلىٰ بدعةٍ، فمثلًا: صوم ثلاثة أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ، يأتي هؤلاء، ويقول أميرُهم: نَصوم غدًا صومًا جَمَاعيًّا، ونُفْطِر فِطْرًا جماعيًّا عند فلان. فهل الصَّوم الجماعيُّ والفطر الجماعيُّ وَرَدَتْ به سُنَّةٌ؟

ابحثوا في الكُتُب؛ هل تجدون أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لأَصْحَابه: نَصُوم صومًا جماعيًّا، ونُفْطر فطرًا جَماعيًّا؟

الجواب: لا.

وهل تجدون أيضًا أنَّ النَّبيَّ ﷺ ذَهَب في الخَلَوَات في اللَّيل؟ ردًّا عَلَىٰ مَنْ يزعمون أنَّهم يَذْهبون للعِبَادَة ولقِرَاءَة القُرْآن، وقَدْ كذبوا، فإنَّهم يريدون أَنْ يَتخفَّوْا بأُمُورٍ تُنكَر عليهم لَوْ ظَهَرتْ، فإِذَا كَانُوا يُرِيدُونَ قِرَاءةَ القُرْآن، فَلْيَجْلسُوا في المَسْجد، وليَقْرؤوا فيه، أمَّا أنَّهم يَذْهبون إلىٰ الخَلَوات، إلىٰ

المكان البعيد... ويَأْتُونَ بأَنَاشيدَ وتَمَاثيل وغَيْرها من البدع، فهَذَا لا شكَّ أنَّها بدعٌ، فلْتُحذَر.

وقوله: «**وتَرْك ما أَحْدَث المُحْدثون بعدما جَرَتْ به سُنَّته، وكفوا مُؤْنته**»: المُشرِّع قَدْ شرَّع، شرع الله الدِّين الإسلاميَّ عَلَىٰ لسان رسوله بواسطة جبريل ﷺ، وعمل به أصحابُهُ، ونَقَلوه إلينا من غَيْر زيادةٍ ولا نقصٍ، أفيأتي هَؤُلَاء المُبْتدعونَ، فيَزيدُونَ في السُّنَّة حتَّىٰ يُحوِّلوها إلىٰ بدعةٍ؟! هَذَا لا يجوز، وهَذَا مِمَّا يجب أن يُحذَر منه.

قوله: «**فعَلَيك بلزوم السُّنَّة**»: أَيْ عَلَيك بلُزُوم السُّنَّة، وتَرْك البدعة.

«**فإنَّها لك -بإذن الله- عصمةٌ**»: إذا لزمت سُنَّة رَسُول الله ﷺ، جَعَلها الله لك عِصْمةً من الزَّلَل، وَوَقَاك بها من الوُقُوع في الخطل[1] فيما يجلب لَكَ الإثم، والعِيَاذُ بالله.

قولُهُ: «**ثمَّ اعْلَمْ أَنَّه لَمْ يَبْتدع النَّاسُ بدعةً إلَّا قَدْ مَضَىٰ قَبْلها ما هو دليلٌ عَلَيها، أو عِبْرةٌ فيها؛ فإنَّ السُّنَّة إنَّما سَنَّها مَنْ قَدْ عَلِم ما في خِلَافِهَا...**».

يَعْني: الرَّسول ﷺ، فالله ﷻ سنَّ عَلَىٰ لسانِهِ ﷺ هذِهِ السُّنَن.

«**فإنَّ السُّنَّة إنَّما سَنَّها مَنْ قَدْ علم ما في خِلَافِهَا من الخطأ، والزَّلل، والحُمْق، والتَّعمُّق**»: التَّعمُّق: الزِّيادة.

---

(١) **الخَطَلُ**: المنطق الفاسد المضطرب، وقد خَطِلَ في كلامه من باب طرِب. **وأخْطَلَ** أي: أفحش. «مختار الصحاح» (١/ ٧٦).
الخَطَل: خفَّة وسرعة. والخاطل: الأَحمق العَجِل، وهو أَيضًا السَّريع الطَّعنِ العَجِلُهُ. «لسان العرب» (١١/ ٢٠٩).

قوله: «**فارضَ لنَفْسِكَ ما رَضِيَ به القوم لأنفسهم؛ فإِنَّهم عَلَىٰ علمٍ وَقفوا، وببصر نافذٍ كَفُّوا، وَلهُمْ عَلَىٰ كَشْف الأُمُور كانوا أَقْوَىٰ**».

يعني لو كَانَ هُنَاك شيءٌ زائدٌ عمَّا شَرَعه الله عَلَىٰ لسان رسولِهِ، وفيه فضلٌ، لَمَا تركه الصَّحابة، الصَّحَابة لم يَتْركوا خيرًا إلَّا عَملُوهُ، ولا شرًّا إلَّا حذروه، وحذَّروا منه.

قوله: «**وبفَضْل ما كانوا فيها أَوْلَىٰ، فإِنْ كَانَ الهُدَىٰ ما أنتم عَلَيه لقَدْ سَبَقتموهُمْ إِلَيْه**»، أي: الصَّحابة هُمْ أَهْل الفَضْل، وهم أتباعُ النَّبيِّ ﷺ، سَارُوا مَعَه في السَّفر، وعَايَشوه في الحَضَر، وغَزَوْا معه، وقَاتَلوا الأَعْداءَ مَعَه، وشهدوا تَنزُّل القرآن، وتنزُّل الوحي.

فلذلك هُمْ كانوا أَجْدرَ لَوْ كَانَ هناك زيادةٌ عمَّا نُقِلَ لفَعَلوها.

«**ولئن قلتم: إنَّما حَدَث بَعْدَهمْ، ما أَحْدَثَه إلَّا مَنِ اتَّبَع غَيْر سَبيلهم**»؛ يَعْني -مثلًا- عندما خَرَج أبو مُوسَىٰ الأشعريُّ ومَنْ مَعَه إلىٰ المَسْجد، فوَجَدوا فيه حِلقًا (قَدْ تَحلَّقوا)، وكلُّ حلقةٍ فيها واحدٌ يَقُولُ لهم: سَبِّحوا مئة، فيُسبِّحون مئةً، كَبِّروا مئةً، فيُكبِّرون مئةً، هَلِّلوا مئةً، فيُهلِّلون مئةً، فذَهَبوا إلىٰ عبد الله بن مَسْعودٍ، وكان ما زَالَ في منزلِهِ، فخرج عَلَيهم بعدما قَالَ له أبو مُوسَىٰ: يا أبا عبد الرَّحمن، إنَّه قَدْ حَدَث في المَسْجد أمرٌ.

قال: وما هُوَ؟

قَالَ: إِنْ عِشْتَ فسَتَراه، فذَهَبوا يَمْشون، فَلمَّا دخلوا المَسْجدَ، وَجَدوا تلك الحلقَ، فقَال لهم عَبْد الله بن مسعودٍ: «ما هَذَا الَّذي أَحْدَثتمْ؟ هذِهِ ثيابُ

رسول الله ﷺ لم تَبْلَ، وهؤلاء أصحابُهُ مُتَوافرونَ، ما أَسْرعَ هَلَكتكمْ يا أُمَّة مُحمَّدٍ! إمَّا إنَّكم لأفضل من أَصْحَاب رسول الله، أو مُفْتتحو باب ضَلَالةٍ»، أو كَمَا قَالَ رِضْوَانُ الله تَعَالىٰ عليه.

يقول الرَّاوي: «ولقَدْ رأينا كثيرًا من أُولَئك يُطَاعنونا يَوْمَ النَّهْروان»، أي: في يَوْم مَوْقعة حَرُورَاء، المَوْقعة الَّتي كانت بَيْنهُمْ وبَيْنَ عليٍّ بن أبي طالبٍ رِضْوَان الله عَلَيه[1].

فالمهمُّ: أنَّ الإحداث شَيْنٌ، وأنَّ البِدْعةَ شؤمٌ، فيجب أَنْ نحذرها، وأَنْ نَتمسَّك بالسُّنَّة الَّتي وَرَدتْ، ولهَذَا قَالَ عُمَر بن عبد العزيز: «**ولئن قلتم: إنَّما حَدَث بعدهم**»؛ أي: فنقول لكم: «**ما أَحْدثَه إلَّا مَنِ اتَّبَع غير سَبيلِهِمْ، ورَغَب بنفسِهِ عَنْهم**»؛ يعني: كأنَّه يرىٰ أنَّ عبادةَ الصَّحابة كَانَتْ أقلَّ، وجُهْدَهم كَانَ أَضْعَف، وأنَّ هَذَا يذهب بنفسِهِ إلىٰ أنَّه سيعمل أَفْضَل من عَمَلهمْ.

قوله: «**ورغب بنفسِهِ عنهم، فإنَّهم هم السَّابقون، فقَدْ تَكلَّموا فيه بما يَكْفي، ووَصَفوا منه ما يَشْفي، فما دُونَهمْ من مُقَصِّرٍ، وما فَوْقهم من مُحْسَرٍ، وقَدْ قصَّر قومٌ دُونَهم فجَفَوْا، وطَمَح عنهم أقوامٌ فغَلَوْا، وإنَّهم بَيْن ذلك لعَلَىٰ هدىً مُسْتقيمٍ**».

قَالَ هنا: «**فَمَا دُونَهمْ مِنْ مُقصِّرٍ**»، والظَّاهر يَعْني مَنْ دونهم، فهُوَ مُقصِّرٌ.

وقوله: «**ومَا فَوْقهم فهو مُحْسَرٌ**»؛ أي: أنَّه سيحسر.

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢١٠) عن عمرو بن سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٢٠٠٥).

وقوله: «**وقَدْ قصَّر قومٌ دُونَهمْ فجَفَوْا**[١]»: جَفَا يَجْفو، إذا لحقت وَاوُ الجَمَاعة بالفِعْلِ المَاضِي الَّذي آخرُهُ ألفٌ؛ فإنَّه يُحذَف حرفُ العلَّة، ويُفتَح ما قبله، ويَتَّصل بالواو، يُقَال: جفَوا وعفَوا.

وقوله: «**وطَمَح عَنْهم أقوامٌ فغَلَوْا**» أي: طمح عَنْهم أقوامٌ، وأَرَادُوا أن يَزيدُوا عَنْهم، فدَخَلوا في الغلوِّ الَّذي نَهَىٰ الله عنه، ولَيْسَ ببعيدٍ عن أَذْهَاننا ما وَرَد في «الصَّحيحين» أنَّ ثلاثةَ رهطٍ جَاؤوا إلىٰ بُيُوت النَّبيِّ ﷺ، وَسَألوا عن عبادتِهِ، فكأنَّهم تَقالُّوها، فَقَالوا: وأَيْنَ نَحْن من النَّبيِّ ﷺ؟ قَدْ غفر له ما تَقدَّم من ذنبِهِ ومَا تأخَّر.

قَالَ أَحدُهُمْ: أمَّا أنا، فإنِّي أُصلِّي اللَّيل أبدًا.

وَقَالَ الآخر: أنا أصوم الدَّهر ولا أُفطر.

وقَالَ آخر: أنا أعتزل النِّساء، فلا أَتزوَّج أبدًا.

فجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ إليهم، فقَالَ: «**أنتم الَّذين قُلْتم كَذَا وكَذَا، أَمَا والله إنِّي لأَخْشَاكُمْ لله، وأَتْقَاكُمْ له، لكنِّي أَصُومُ وأُفطر، وأُصلِّي وأَرْقد، وأَتزوَّج النِّساء، فمَنْ رغب عن سُنَّتي فلَيْسَ منِّي**»[٢].

قوله: «**كتبت تسأل عن الإقرار بالقَدَر، فعَلَىٰ الخبير -بإِذن الله- وَقَعْتَ، ما أَعْلم ما أحدث النَّاس من مُحدثةٍ، ولا ابْتَدعوا من بدعةٍ هي أبين أثرًا، ولا**

---

(١) «**فجفوا**»، أي: لم يلزموا مكانهم الواجب قيامهم فيه من جفا جفاء إذا لم يلزم مكانه، أي: انحدروا وانحطوا من علو إلىٰ سفل بهذا الفعل، وهو زيادة القصر. انظر: «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١٢/ ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَثْبَت أمرًا من الإِقْرَار بالقَدَر، لقَدْ كَانَ ذِكْره فِي الجاهليَّة الجَهْلاء، يَتكلَّمون به فِي كَلَامهم، وفِي شِعْرهم، يُعَزُّون به أنفسهم عَلَىٰ ما فَاتَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يزده الإِسلامُ بَعْدُ إِلَّا شدَّةً، ولقَدْ ذَكَره رسولُ الله ﷺ فِي غَيْر حديثٍ، وَلَا حَدِيثَيْنِ.

وقَدْ سَمِعَهُ منه المُسْلمونَ، فَتكلَّموا به فِي حياتِهِ، وبعد وفاتِهِ، يقينًا وتسليمًا لربِّهم، وتضعيفًا لأنفسهم أن يكون شيءٌ لم يُحِطْ به علمُهُ، ولَمْ يحصه كتابُهُ، ولم يَمْضِ فيه قدرُهُ».

أي أنَّ الَّذين يقولون: «لا قَدَر»، هؤلاء يَتَّهمون اللهَ بأنَّه يَقَع فِي ملكه غير ما يريد، وهَذَا تَنقُّصٌ لله ﷻ، والواجبُ عَلَيهم أَنْ يؤمنوا بالقَدَر حتَّىٰ يكونَ لله ﷻ -فِي عقيدتهم- ما هو أَهْلٌ لَهُ من الإحَاطَة بملكِهِ وإحاطة علمِهِ بما سيكون من عبادِهِ، ومُجَازاتهم عَلَيه بالعَدْل.

أَمَّا إذ قَالُوا ما قَالُوا، ونَفَوْا القَدَر عن شَرْع الله ﷻ؛ فإنَّهم حينئذٍ قَدْ لزمَ مِنْ قَوْلهم تَنقُّصُ لله ربِّ العَالَمين، فكَانَ فِي ضمن كَلَامهم واعْتقَادِهِمْ اتِّهامه بقُصُور العلم، واتِّهامه بالعَجْز، وهَذَا أمرٌ لا تُقرُّهم عَلَيه شريعةٌ، وإنَّما هو من الشَّيطان والعياذ بالله، وعلىٰ كلِّ مُسْلمٍ أَنْ يؤمنَ بالقَدَر؛ خيرِهِ وشَرِّه، واللهُ تَعَالىٰ يَقُول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وَيَقُولُ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢].

وَيَقُولُ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١].

وفي حَدِيثِ جِبْريل وغَيْره: «**وتُؤْمن بالقَدَر؛ خيرِهِ وشَرِّه**»[١].

قوله: «**وإنَّه مَعَ ذلك لفي مُحْكم كتابِهِ: مِنْهُ اقْتَبسوه**»؛ يَعْني: الصَّحابة في إِقْرَارهِمْ بالقَدَر.

قوله: «**مِنْهُ اقْتَبسوه، ومِنْهُ تَعلَّموه، ولئن قلتم: لِمَ أنزلَ اللهُ آيةَ كَذَا؟ ولِمَ قَالَ كَذَا؟ لقَدْ قَرَؤوا منه ما قَرَأتم، وعلموا من تأويلِهِ ما جَهلتُمْ، وَقَالوا بَعْد ذلك: كلُّه بكتابٍ وقَدَرٍ، وكتبت الشَّقاوة، وما يُقَدَّر يكن، وما شَاءَ الله كَانَ، ومَا لَمْ يَشَأْ لم يكنْ، ولا نَمْلك لأنفسنا ضرًّا ولا نفعًا، ثمَّ رغبوا بَعْد ذلك ورهبوا**»، سُبْحَانَ الله العظيم! هَذَا كتابٌ عجيبٌ عظيمٌ، اللَّهمَّ صلِّ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه.



(١) أخرجه مسلم (٨)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تابع باب لزوم السنة

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٦١٣- حدَّثنا أحمد بن حنبل، قَالَ: حدَّثنا عبد الله بن يزيد، قَالَ: حدَّثنا سعيد؛ (يعني: ابن أبي أَيُّوب)، قَالَ: أَخْبرني أبو صخر عن نافع، قَالَ: كَانَ لابن عُمَر صديقٌ من أَهْل الشَّام يُكَاتبه، فكَتَب إليه عَبْد الله بن عُمَر: إنَّه بَلَغني أَنَّك تَكلَّمت في شيءٍ من القَدَر، فإِيَّاك أن تكتبَ إليَّ، فإِنِّي سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «**إنَّه سَيَكون في أُمَّتي أقوامٌ يكذبون بالقَدَر**»[1].

٤٦١٤- حدَّثنا عَبْد الله بن الجرَّاح، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد بن زيد، عَنْ خالد الحذَّاء، قَالَ: قلتُ للحَسَن: يا أبا سعيدٍ، أَخْبرني عن آدَمَ، أللسَّماء خُلِقَ أم للأرض؟

قال: لا، بَلْ للأَرْض.

قلت: أرأيتَ لَو اعْتصَمَ فلَمْ يأكل من الشَّجَرة؟

قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ منه بدٌّ. قلتُ: أَخبرني عن قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٢، ١٦٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٣)، وحسنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ: إنَّ الشَّياطينَ لا يَفْتِنونَ بضَلَالتهم إلَّا مَنْ أَوْجبَ اللهُ عَلَيه الجحيم[١].

٤٦١٥- حدَّثنا مُوسَىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، قَالَ: حدَّثنا خالد الحذَّاء، عن الحَسَن في قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قَالَ: «خلق هَؤُلَاء لهذِهِ، وهَؤُلَاء لهذِهِ»[٢].

٤٦١٦- حدَّثنا أبو كامل، قَالَ: حدَّثنا إسماعيل، قَالَ: أَخْبَرنا خالد الحذَّاء، قَالَ: قلتُ للحَسَن: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٢، ١٦٣]. قَالَ: إلَّا من أَوْجَب الله تَعَالىٰ عَلَيه أَنَّه يَصْلىٰ الجَحِيمَ[٣].

٤٦١٧- حدَّثنا هلال بن بشر قَالَ: حَدَّثنا حَمَّاد، قَالَ: أَخْبَرني حميدٌ، قَالَ: كَانَ الحسنُ يَقُول: «لأَنْ يَسْقط من السَّماء إلىٰ الأرض أحبُّ إليه من أن يَقُولَ: الأمر بيدي»[٤].

٤٦١٨- حدَّثنا مُوسَىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حَدَّثنا حَمَّاد، قَالَ: حدَّثنا حميد، قَالَ: قَدِمَ عَلَينا الحَسَنُ مكَّة، فكَلَّمني فقهاء أَهْل مكَّة أن أُكلِّمه في أَنْ يجلس لهم يومًا يَعِظُهُمْ فيه، فقَالَ: نعم، فَاجْتَمعوا فَخَطبهم، فما رأيتُ أَخْطَبَ منه، فقَالَ رجلٌ: يَا أَبَا سعيدٍ، مَنْ خَلَق الشَّيطان؟

فقال: سُبْحان الله! ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣]، خَلَق اللهُ الشَّيطانَ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ «حسن الإسناد مقطوع».
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٥)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ «حسن الإسناد مقطوع».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦١٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ «حسن الإسناد مقطوع».
(٤) أخرجه أبو داود (٤٦١٧)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ «حسن الإسناد مقطوع».

وخَلَق الخيرَ، وخَلَق الشَّرَّ. قال الرَّجلُ: قَاتَلهم اللهُ! كَيْف يَكْذبون عَلَىٰ هَذَا الشَّيخ؟[١].

٤٦١٩- حدَّثنا ابن كثير، قَالَ: أَخْبَرنا سفيان، عن حُمَيد الطَّويل، عن الحَسَن ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر:١٢]. قَالَ: الشِّرك[٢].

٤٦٢٠- حدَّثنا مُحمَّد بن كثير، قَالَ: أَخْبَرنا سفيان، عن رجل قَدْ سَمَّاه غير ابن كثير، عن سُفْيَان، عَنْ عُبَيدٍ الصِّيد، عن الحَسَن في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤]. قَالَ: بَيْنهم وبَيْنَ الإِيمان[٣].

٤٦٢١- حدَّثنا مُحمَّد بن عبيد، قَالَ: حدَّثنا سليم، عن ابن عون، قَالَ: كُنْتُ أسير بالشَّام، فنَادَاني رجلٌ من خَلْفي، فالتفتُّ، فإِذَا رَجَاء بن حَيْوة، فقال: يابن عَوْن، ما هَذَا الَّذي يَذْكرون عن الحَسَن؟

قال: قلتُ: إنَّهمْ يَكْذبون عَلَىٰ الحَسَن كثيرًا[٤].

٤٦٢٢- حدَّثنا سُلَيمان بن حرب، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد قَالَ: سمعتُ أَيُّوب يقول: كَذَب عَلَىٰ الحسن ضَرْبان من النَّاس: قومٌ القَدَرُ رَأْيُهُمْ وهم يريدون أن يُنفقُوا بذلك رأيَهم، وقومٌ له في قُلُوبهم شَنَآنٌ وبُغضٌ، يَقُولون: أَلَيْسَ من قولِهِ كَذَا؟ أليس من قولِهِ كَذَا؟[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٨)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح مثله».
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٩)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح مثله».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٢٠)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح مثله».
(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٢١)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح مثله».
(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٢٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح مثله».

٤٦٢٣- حدَّثنا ابن المُثنَّىٰ، أنَّ يحيىٰ بن كثير العَنْبري حَدَّثهم، قَالَ: كَانَ قرَّة بن خالدٍ يَقُول لنا: يا فِتْيان لا تُغْلَبُوا عَلَىٰ الحَسَن، فإِنَّه كَانَ رأيه السُّنَّة والصَّواب[1].

٤٦٢٤- حدَّثنا ابن المُثنَّىٰ وابن بشَّار، قالا: حدَّثنا مؤمل بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد بن زيدٍ، عن ابْن عَوْن، قَالَ: لو علمنا أنَ كَلمَة الحَسَن تَبْلغ ما بَلَغت، لكَتَبنا برُجُوعِهِ كتابًا، وأَشْهدنا عَلَيه شُهُودًا، ولكنَّا قلنا: كلمةٌ خَرَجت لا تُحْمَل[2].

٤٦٢٥- وحدَّثنا سُلَيمان بن حرب، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد بن زيدٍ، عَنْ أيُّوب، قَالَ: قَالَ لي الحَسَنُ: ما أنا بعائدٍ إلىٰ شيءٍ منه أبدًا[3].

٤٦٢٦- حدَّثنا هلال بن بشر، قَالَ: حدَّثنا عُثْمان بن عُثْمان، عن عُثْمَان البَتِّي قَالَ: ما فسَّر الحَسَن آيةً قطُّ إلَّا عَلَىٰ الإثبات[4].



الشرح

قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللهُ في الحديث رقم (٤٥٨٩): **حدَّثنا أَحْمَد بن حَنْبل، قَالَ: أَخْبَرنا عَبْد الله بن يزيدَ، قَالَ: أَخْبَرنا سعيد (يَعْني: ابن أبي أيُّوب)، قَالَ:**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٢٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح مثله».
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٢٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح مثله».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٢٥)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح مثله».
(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٢٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح مثله».

أَخْبَرَنِي أبو صَخْرٍ عَنْ نافعٍ: كَانَ لابن عُمَر صديقٌ من أَهْل الشَّام يُكَاتبه، فكَتَب إليه عَبْد الله بن عُمَر: إنَّه بَلَغني أنَّك تكلَّمت في شيءٍ من القَدَر، فإيَّاك أن تكتبَ إليَّ، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّه سَيكون في أُمَّتي أقوامٌ يُكذِّبون بالقَدَر»؛ أي: أنَّ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لمَّا سمع عن هَذَا الرَّجل أنَّه تكلَّم في القَدَر، وكانت بَيْنهما مُكَاتبةٌ، فحذَّره من الكتابة إِلَيْه، وقَالَ لَهُ: «بلغني أنَّك تكلَّمت في شيءٍ من القَدَر»، والكَلَام في القَدَر بدعةٌ وسوءٌ، وقَدْ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّه سَيكون في أُمَّتي أقوامٌ يُكذِّبون بالقَدَر».

ثمَّ أَوْرَدَ المُؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ حديث خالد الحذَّاء، قَالَ: «قلتُ للحَسَن: يا أبا سعيدٍ، أَخْبرني عَنْ آدَمَ، أللسَّماء خُلِقَ أَمْ للأَرْض؟

قَالَ: لا، بَلْ للأَرْض. قلت: أرأيت لَوِ اعْتصَم فلَمْ يَأْكل من الشَّجَرة؟

قَالَ: لَمْ يكنْ له منه بدٌّ»؛ يعني: أنَّ القَدَر لا بدَّ أن يكونَ، إذًا، فلابدَّ أن يقعَ ما قَدَّره الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: «قلت: أَخْبرني عَنْ قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٢، ١٦٣]. قَالَ: إنَّ الشَّياطين لا يفتنون بضلالتهم إلَّا مَنْ أَوْجبَ اللهُ عَلَيه الجحيمَ».

وأقول: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبرنا بأنَّ الشَّياطين وأصحاب الشَّرِّ لا يَفْتِنون إلَّا مَنْ كتب الله عَلَيه الفتنة، أمَّا مَنْ لَمْ يَكْتب الله عَلَيه الفتنةَ، فَلَيْسوا قَادِرينَ بأَنْ يَفْتنوه.

ثمَّ أَوْردَ حديثَ مُوسَىٰ بن إسماعيل، قَالَ: «أخبرنا حمَّاد» يعني:

ابن سَلَمة «**أَخْبَرنا خَالد الحذَّاء**»، يُقَال: إنَّه ما كَانَ يبيع الحِذيان، ولَكنْ كَانَ يَجْلس عند قَوْم يَبيعُونَ الحذيان، فسُمِّي خالد الحذَّاء، «**عن الحَسَن في قولِهِ تَعَالىٰ:** ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قَالَ: «**خَلَق هَؤُلاء لهذِهِ، وهَؤُلَاء لهذِهِ**».

هذِهِ الآيَة ذُكرت في آخر سُورَة هُود، وذُكر فيها الاخْتلَافُ، وأنَّ الله خَلَقهم لذَلِكَ، وأنَّ الاختلافَ لا بدَّ أن يكونَ في بني آدمَ، إذًا، فالاختلافُ كَتَبه الله قَدَرًا، ومَنَعه شَرْعًا، وما كُتب قَدَرًا فلا بدَّ أن يكونَ، فالاختلافُ بَيْنَ المُؤْمنينَ والكُفَّار والمُنَافقينَ، والاختلافُ أيضًا بين الكُفَّار بَعْضهم مع بعضٍ، وبين المُسْلِمِينَ بَعْضهم مع بَعْضٍ، هَذَا كَتبَه الله قَدَرًا، لكنَّه نَهَىٰ عن الاختلاف، وذَمَّه، وأَمَر بالاتِّحاد شَرْعًا.

فاللهُ ﷻ أَمَرَ المُسْلِمِينَ أن يكونوا أُمَّةً واحدةً، وأنْ يعبدوا إلهًا واحدًا، وأَنْ يتَّبعوا رسولًا واحدًا، وأَنْ يكونَ شَأْنهم الإِخْلَاص والمُتَابعة، ولكنَّ الشَّياطين لَمْ تَتْركهم، فحَصَل ما حَصَل من الاخْتلَافِ.

قال: «**حَدَّثنا أبو كامل**»، هَذَا يُقَال له: الجحدريُّ، «**حَدَّثنا إسماعيل، قَالَ: أَخْبَرنا خَالدُ الحذَّاء، قَالَ: قلتُ للحَسَن:** ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٢، ١٦٣]، قَالَ: «**إلَّا مَنْ أَوْجبَ اللهُ تَعَالىٰ عَلَيه أنَّه يَصْلىٰ الجَحيم**».

أقول: مَنْ كَتَب اللهُ عَلَيه ذَلِكَ، فلا بدَّ أَنْ يكونَ، وقَدْ سبق لنا عِدَّة مَرَّاتٍ أنَّ لله في عبادِهِ الحكمةَ البالغةَ، ولَه عَلَيهم الحُجَّة الدَّامغة، فلا يُعذِّب الله عبدًا إلَّا بذنبٍ، وقَدْ صحَّ عن بَعْض الصَّحابة أنَّهم قالوا: «لو عَذَّب اللهُ أَهْلَ

سماواتِهِ، وأَهْل أَرْضه لعَذَّبهمْ وهو غير ظالم لهم»[1]، فهم عبيدُهُ، خَلَقهم، ورَزَقهم، وهَيَّأهم، وله في ذلك الحِكْمَةُ العظيمةُ الَّتي لا يُدْركها البَشَر.

قال: «**حدَّثنا هلال بن بشرٍ، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، قَالَ: أخبرني حميد، قَالَ: كَانَ الحسن يقول: لأَنْ يَسْقط من السَّماء إلىٰ الأرض، أحبُّ إليه من أن يقول: الأمر بيدي**».

أقول: كون الإنسان يقول: «الأمر بيدي»، هَذَا خطأٌ، فالأمر بيد الله عَزَّوَجَلَّ، السَّعادة والشَّقَاوة بيده، والإيمان والكفر، والجنَّة والنَّار، والغنىٰ والفقر، كلُّها بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فلا ينبغي للإنسان أن يقول: الأمر بيدي.

ثمَّ أورد حديث موسىٰ بن إسماعيل قَالَ: «**حدَّثنا حَمَّاد**»: المشهور أنَّ موسىٰ ابن إسماعيل قَدْ أكثر عن حَمَّاد بن سلمة «قال: **حدَّثنا حُميد، قَالَ: قَدِم علينا الحسن مَكَّة، فكَلَّمني فقهاء أَهْل مكَّة أَنْ أُكلِّمه في أن يجلس لهم يومًا يعِظهم فيه، فقال: نعم، فَاجْتَمَعوا، فَخَطبهم، فَقَال: فما رأيت أخطب منه**».

أقول: كَانَ الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطيبًا مُفوَّهًا، ولذلك فإنَّه شاع ذِكْره بسبب هذا.

قوله: «**فقال رجلٌ: يا أبا سعيدٍ، مَنْ خَلَق الشَّيْطان؟**

قال: سبحان الله ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣]، **خلق الله الشَّيْطان، وخلق الخير، وخلق الشَّرَّ**.

قال **الرَّجل: قاتلهم الله! كيف يكذبون عَلَىٰ هَذَا الشَّيخ؟!**»؛ يعني: في هَذَا تبرئةٌ للحسن من قولهم بأنَّه كَانَ يقول بالقَدَر، ويخوض فيه.

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٠٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٤٢٨) (٣/ ٤٧٢) من حديث ابن الديلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«صحيح ابن حبان» (٧٢٨) (٣/ ٤٤٩)، و«مسند الطيالسي» (٦١٣) (٢/ ١٥٠).

ثمَّ أورد المؤلف حديث سفيان «**عن حميدٍ الطَّويل، عن الحسن** ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الحجر:١٢]. **قَالَ: الشِّرك**».

أقول: في هَذَا نظرٌ، ولكنَّ المراد بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾؛ أي: القرآن ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، يعني: أنَّ القرآن يمرُّ في قُلُوبهم فلا يستقرُّ فيه، ولا يؤمنون به حقَّ الإيمان، والعياذ بالله.

ثمَّ أورد حديثًا من طريق مُحمَّد بن كثيرٍ «**قال: أخبرنا سفيان**»، الظَّاهر أنَّه ابن عيينة «**عن رجلٍ قَدْ سمَّاه غير ابن كثيرٍ، عن سُفْيان، عن عبيدٍ الصِّيد، عن الحَسَن في قَوْل الله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ **قَالَ: بَيْنهم وبَيْن الإيمان**».

أقول: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له في عبادِهِ الحكمةُ البالغةُ، ولَهُ عَلَيهم الحُجَّةُ الدَّامغةُ، فهُوَ إذَا عَاقبَ أحدًا بالخِذْلَانِ، فإنَّما يُعَاقبه بذلك نتيجةً لعملِهِ، فقَدْ أَخْبَرنا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أنَّه يُعَاقب عَلَىٰ الإعْرَاض، ويُعَاقب عَلَىٰ الزَّيْغ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف:٥].

وفِي حَدِيثِ الثَّلاثة: «**وأَمَّا الثَّالثُ، فأَعْرَض، فأَعْرَض اللهُ عَنْه**»[١]؛ وإنَّك لترىٰ الرَّجل يُعْرِض عن السُّنَّة، ولا يَسْتمع إليها، ولا يَجْلس إلىٰ مَنْ يُلْقيها، ثمَّ إنَّه بَعْد ذلك يُعاقَب، فيزيغ قلبُهُ، ويُفتَن ويَتَّبع أَهْل الضَّلال -والعياذ بالله- عقوبةً له عَلَىٰ ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٦٤)، ومسلم (٤٠٤٢) من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠].

فإذا نَزَلَ الموتُ بالعَبْد، نَدِمَ واشْتَهىٰ الإيمانَ، وأَرَاده، وعرف أنَّه كَانَ عَلَىٰ خطأ، ولكن بسَبَب إعراضِهِ، وبسَبَب زَيْغِه عُوقِبَ بذلك، فمُنِعَ من الإيمان عندما اشْتَهاه.

ثمَّ أَوْرَد حديثَ ابْنِ عَوْن قَالَ: «**كنتُ أَسِيرُ بالشَّام، فنَادَاني رجلٌ من خَلْفي، فالتفتُّ، فإِذَا هو رَجَاء بن حَيْوة، فقال: يابْنَ عَوْن، ما هَذَا الَّذي يَذْكُرُونَ عن الحَسَن؟ قَالَ: قلت: إنَّهم يَكْذبونَ عَلَىٰ الحَسَن كثيرًا**».

أقول: ما أَشْبَه اللَّيلة بالبَارحَة، تجد أَهْل البدع يَكْذِبُونَ عَلَىٰ الرَّجُل المَشْهور، فيقولون مثلًا: إنَّ الشَّيخَ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ معنا وأَيَّدنا، وقَدْ يَجِدُونَ له كلمةً قديمةً قَبْل أن يَعْرفهم، وقَبْل أن يَبْلغه عَنْهم ما بَلَغه مُؤَخَّرًا، فكان يُحْسِن بهم الظَّنَّ في ذلك الزَّمَن، وفي تلك الحِقْبَة، فَزَكَّاهم وأَثْنَىٰ عليهم خيرًا، ثمَّ جاءت الأُمُور، وَانْتَشَرت الأَخْبَار، وبَلَغه عَنْهم من البدع ما بَلَغه، فَاخْتلَفَ حُكْمُهُ عَلَيهم في الأَخير عَنْ حُكْمه عَلَيهم في الأوَّل.

فهُمْ يَتْركونَ الحُكْمَ الثَّاني الَّذي لَيْسَ في صَالِحِهمْ، ويَأْخُذُونَ بالحُكْم الأوَّل الَّذي يَزْعمون بأنَّه في صَالِحِهمْ، وهَذَا من الكَذِبِ والدَّجَل والتَّضْليل، وإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

ثمَّ أَوْردَ حديثَ سُلَيمان بن حَرْب، قَالَ: «**حَدَّثنا حَمَّاد، قَالَ: سمعتُ أيُّوب يقول: كَذَبَ عَلَىٰ الحَسَن ضَرْبانِ من النَّاس**»؛ أي: فِئتَان من النَّاس.

«**قومٌ القَدَر رأيهم، وهُمْ يُرِيدون أَنْ يُنفِّقُوا بذلك رأيهم، وقومٌ له في قُلُوبهم شَنَآن وبُغْضٌ، يقُولون: أَلَيْسَ من قولِهِ كَذَا؟ أَلَيْسَ من قولِهِ كَذَا؟**»؛ فهَاتَان الفِئتَان مِنَ النَّاس كَذَبت عَلَىٰ الحَسَن، والمهمُّ أَنَّه إذا كانت قَدْ حَصَلت منه هفوةٌ وتراجعٌ عَنْهَا؛ فإنَّه لا يَجُوز أن يُحْكَم عَلَيه بها.

وكَذَلك الآن، لَوْ أَنَّ رجلًا وَقَعتْ منه هفوةٌ خلافَ ما هو معروفٌ عنه، ثمَّ رَاجَع الأمر وتَابَ؛ فإنَّه في هذِهِ الحالة لا يُحْكَم عَلَيه بأَنَّه مبتدعٌ، بل يُقَال فيه بأَنَّه سلفيٌّ، ولم يَخْرج عن سَلفيَّته إلَّا إذا أصرَّ عَلَىٰ الباطل.

ثمَّ أَوْرَد أيضًا حديث ابن المثنىٰ: «**أَنَّ يحيىٰ بن كثير العَنْبري حدَّثهم، قَالَ: كَانَ قُرَّة بن خالد يَقُول لنا: يا فِتيان، لا تُغْلَبُوا عَلَىٰ الحسن، فإنَّه كَانَ رأيه السُّنَّة والصَّوَاب**».

أي: يُوصِيهم بمُلَازمتِهِ والأَخْذ عنه؛ لأَنَّ رأيه السُّنَّة والصَّواب، ولا يصدُّهم عنه ما أُشِيعَ من القَوْل بالقَدَر، فإنَّ ذلكَ لَا يصحُّ البَقَاء عَلَيه.

ثمَّ أَوْرَد حديثَ مُؤمل بن إسماعيل: «**قَالَ: حَدَّثنا حَمَّاد بن زَيْد عن ابْنِ عونٍ، قَالَ: لَوْ علمنا أَنَّ كلمةَ الحَسَن تَبْلغ ما بَلَغتْ لكَتَبنا برُجُوعه كتابًا، وأَشْهَدنا عَلَيه شُهُودًا، ولكنَّا قلنا: كلمة خَرَجتْ لا تحمل**».

أقول: ولكنَّ أَهْلَ الشَّرِّ حتَّىٰ لو خَرَجتْ كلمةٌ واحدةٌ من الرَّجل المَشْهور بالسُّنَّة، فأَهْل الشَّرِّ لا يَتْركونَه، بَلْ إنَّ مَنْ لهم هَوىٰ يَنْشرون تِلْكَ الكَلِمَةَ رغبةً مِنْهم في أَنْ يكونَ مَعَهم، ويأتي أناسٌ آخَرُونَ من المُبْغضين له، فيَنْشرونها عنه عَلَىٰ سبيل المَذمَّة له.

ثمَّ أَوْردَ حديثَ سُلَيمان بن حرب، قَالَ: «**حَدَّثنا حمَّاد بن زيدٍ، عن أيُّوب، قَالَ: قَالَ لي الحَسَن: ما أنا بعائدٍ إلىٰ شيءٍ منه أبدًا**»؛ يعني: ما هُوَ بِعَائدٍ إلىٰ الكَلَام الَّذي حَصَل منه.

كذَلِكَ الأَثَرُ الأَخِيرُ: «**ما فسَّر الحَسَن آيةً قطُّ إلَّا عَلَىٰ الإثبات**»، أي: عَلَىٰ إثبات القَدَر، وبالله التَّوفيق.



باب في التفضيل

❐ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٦٢٧- قَالَ: حدَّثنا عثمان بن أبي شَيْبة، قَالَ: حدَّثنا أسود بن عامر، قَالَ: حدَّثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قَالَ: «كنَّا نقول في زمن النَّبيِّ ﷺ: لا نَعْدل بأبي بكر أحدًا، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ نترك أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ لا تفاضل بَيْنهم»[(١)].

٤٦٢٨- وقَالَ: حدَّثنا أحمد بن صالح، قَالَ: حدَّثنا عنبسة، قَالَ: حدَّثنا يونس، عن ابن شهاب، قَالَ: قَالَ سالم بن عَبْد الله أنَّ ابْنَ عُمَر، قَالَ: «كنَّا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّة النَّبيِّ ﷺ بعده: أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»[(٢)].

٤٦٢٩- وقال: حدَّثنا مُحمَّد بن كثير، قَالَ: حدَّثنا سفيان، قَالَ: حدَّثنا جامع بن أبي راشد، قَالَ: حدَّثنا أبو يعلىٰ، عن مُحمَّد بن الحنفية، قَالَ: قلت لأبي: «أيُّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٢٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٢٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: أبو بكر.

قال: قلت: ثمَّ من؟

قال: ثمَّ عمر.

قال: ثمَّ خشيت أن أقول: ثمَّ من؟ فيقول: عثمان.

فقلت: ثمَّ أنت يا أبتِ؟

قال: ما أنا إلَّا رجل من المُسْلِمِينَ»(١).

٤٦٣٠- وقال: حدَّثنا مُحمَّد بن مسكين، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد (يعني: الفريابي)، قَالَ: سمعت سفيان يقول: «مَنْ زعم أن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ أحقَّ بالولاية منهما فقَدْ خطَّأ أبا بكر، وعمر، والمُهَاجرين، والأنصار، رَضِيَ اللهُ عَنْ جَميعِهِمْ، وما أراه يرتفع له مع هَذَا عملٌ إلىٰ السَّماء»(٢).

٤٦٣١- وقال: حدَّثنا مُحمَّد بن يحيىٰ بن فارس، قَالَ: حدَّثنا قبيصة، قَالَ: حدَّثنا عبَّاد السماك، قَالَ: سمعت سفيان الثَّوري يقول: «الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُم»(٣).



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٢٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٣٠)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٣١)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «ضعيف الإسناد مقطوع».

الشرح

(باب في التَّفضيل)؛ أورد فيه حديث عثمان بن أبي شيبة، قَالَ: «**حدَّثنا أسود بن عامر، حدَّثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن عبيد الله، عن نافعٍ، عن ابن عمر، قَالَ: «كنَّا نقول في زمن النَّبيِّ ﷺ: لا نعدل بأبي بكرٍ أحدًا، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ نترك أصحاب النَّبيِّ ﷺ لا تفاضل بينهم**».

ثمَّ أورد الحديث أيضًا من طريق يونس، «**عن ابْنِ شهابٍ، قَالَ: قَالَ سالم ابن عبد الله أنَّ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كنَّا نقول ورَسُولُ الله ﷺ حيٌّ: أفضل أُمَّة النَّبيِّ ﷺ بعده: أبو بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**».

أقول: اتَّفَقت الأُمَّة (والمقصود بهم: أَهْل السُّنَّة والجماعة) عَلَىٰ أنَّ أفضل الأُمَّة بعد النَّبيِّ ﷺ: أبو بكرٍ، فقَدْ وردت في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ، مثل حديث: «**سدُّوا كلَّ خوخةٍ إلَّا خوخة أبي بكرٍ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصبًا رأسه بخرقة، فقعد علىٰ المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قَالَ: «**إنَّه ليس من الناس أحد أَمَنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذًا من الناس خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن خُلة الإسلام أفضل، سُدُّوا عني كل خوخة في هذا المسجد، غير خوخة أبي بكر**»، ومسلم (٢٣٨٢) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ جلس علىٰ المنبر، فقال: «**عبدٌ خيَّره الله بين أن يُؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، فبكىٰ أبو بكر وبكىٰ، فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال فكان رسول الله ﷺ هو المُخير، وكان أبو بكر أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أَمَنَّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أُخوة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر**». .

ومنها أيضًا قوله ﷺ: «**لو كنتُ مُتَّخذًا خليلًا، لاتَّخذت أبا بكرٍ خليلًا، ولكنَّه أخي وصاحبي، وقَدِ اتَّخَذ الله** عَزَّوَجَلَّ **صاحبكم خليلًا**»[١]، إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الدَّالَّة عَلَىٰ فضيلة أبي بكرٍ، والدَّالَّة عَلَىٰ فضيلة عمر.

وهذِهِ الأحاديث عمل بها أَهْل السُّنَّة والجماعة، وحتَّىٰ الخوارج الَّذين كَفَّروا الصَّحابة جميعًا اسْتَثْنَوا منهم أبا بكرٍ وعمر، ولكنَّ الرَّافضة -عليهم من الله ما يستحقون- بدؤوا بهما، فكَفَّروهما وسَبُّوهما وانتقصوهما، والعياذ بالله، لكن لا يُنظر إلىٰ أَهْل البدع، وإنَّما القول قول أَهْل السُّنَّة والجماعة وأنَّ أفضل الأُمَّة بعد النَّبيِّ ﷺ: أبو بكرٍ، ثمَّ بعده في المرتبة الثَّانية: عمر، ثمَّ بعده في المرتبة الثَّالثة: عثمان، ثمَّ بعده في المرتبة الرَّابعة عند أَهْل السُّنَّة والجماعة: عليُّ بن أبي طالبٍ.

وعليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الرَّابع عند أَهْل السُّنَّة والجماعة، بل هو إجماعٌ من الصَّحَابة عَلَىٰ ذلك وأنَّهم أجمعوا عَلَىٰ تقديم عثمان، فَقدَّموه، ولم يخالف في ذلك أحدٌ، حتَّىٰ علي بن أبي طالبٍ، وكان مِنْ أَوَّل مَنْ بايع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذًا؛ فمَنْ يُقدِّم عليًّا عَلَىٰ عثمان من الشِّيعة أو مِنْ غيرهم مِمَّنْ يميلون إلىٰ قول الشِّيعة وهم ينتمون إلىٰ السُّنَّة فإنَّه مخطئٌ، ثمَّ من حيث المفاضلة بين الصَّحَابة عَلَىٰ العموم، يُقَال: أفضل الصَّحابة مَنْ بايع البيعتين: (مَنْ بايع بيعة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٦)، ومسلم (٢٣٨٣)، واللفظ له ، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

العقبة، ومَنْ بايع بيعة الرِّضوان)، وأفضل الصَّحَابة بعد هؤلاء: أَهْل بدرٍ، ثمَّ بعد أَهْل بدرٍ: أَهْل بَيْعَة الرِّضوان و(هي بيعة الحديبية)، ثمَّ مَنْ أسلمَ قبل الفتح وقاتل، ثمَّ مَنْ أسلمَ بعد الفتح وقاتل، هَذَا التَّفضيل من حَيْث العُمُوم.

أمَّا من حَيْث التَّخْصيص بعد الأربعة: السِّتَّة الَّذين جعل فيهم عمر بن الخطاب الشُّورَىٰ، ومنهم: أبو عبيدة بن الجَرَّاح، وأبو عبيدة بن الجَرَّاح تُوفِّي في طاعون عمواس في سنة ثماني عشرة، وهو من العشرة الَّذين أَخْبَر النَّبيُّ ﷺ أنَّهم من أَهْل الجنَّة[1].

ثم أورد حديث مُحمَّد بن الحنفيَّة قَالَ: قلت لأبي يعني: «**أيُّ النَّاس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟**

قال: أبو بكرٍ.

قال: قلت: ثمَّ مَنْ؟

قال: ثمَّ عمر.

قال: ثمَّ خشيت أَنْ أقول: ثمَّ من؟ فيقول عثمان.

فقلت: ثمَّ أنت يا أبتِ؟

قال: ما أنا إلَّا رجلٌ من المُسْلِمِينَ».

---

(١) أخرج الترمذي (٣٧٤٧) عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنَّة، وعمر في الجنَّة، وعثمان في الجنَّة، وعلي في الجنَّة، وطلحة في الجنَّة، والزبير في الجنَّة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنَّة، وسعد في الجنَّة، وسعيد في الجنَّة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنَّة**»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترمذي» (٢٩٤٦).

قلت: ولمَّا طُعن عمر، ودَخَل النَّاس عليه، يقول عبد الله بن عَبَّاسٍ: «بينما أنا واقفٌ عَلَىٰ عمر بعد أَنْ طُعِن، فإذا رجلٌ قَدْ وَضَع يده عَلَىٰ منكبي، **فإذا علي بن أبي طالب، فترحَّم عَلَىٰ عمر**، وقال: «ما خلَّفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقىٰ الله بمثل عمله منك»[1].

يعني: ما خَلَّفت أحدًا غيرك أحبُّ أَنْ أَلْقَىٰ الله بمثل عمله، أي أنَّه يقول في عمر: إنَّه يحبُّ أن يَلْقىٰ الله بمثل عمله.

وهكذا الأدلَّة دالَّةٌ عَلَىٰ تفضيل أبي بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ علي، رضي الله عنهم جميعًا.

ثمَّ أورد حديث مُحمَّد بن مسكين قَالَ: «**قال: حدَّثنا مُحمَّد (يعني: الفريابي)، قَالَ: سمعت سفيان يقول: مَنْ زَعَم كَمَا تَزْعم الشِّيعة أَنَّ عليًّا كَانَ أحقَّ بالولاية منهما** (يعني: من أبي بكرٍ وعمر)، **فقَدْ خطَّأَ أبا بكرٍ، وعمر، والمهاجرين، والأنصار، رضي الله عن جميعهم، وما أراه يرتفع لهَذَا الزَّاعم الباطل والعقيدة الفاسدة عملٌ صالح إلىٰ السَّماء كَمَا في قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾** [فاطر:١٠]».

ثمَّ أورد الحديث الأخير: «**حَدَّثنا قبيصة، قَالَ: حدَّثنا عبَّاد السَّمَّاك قَالَ:**

---

(١) أخرج البخاري (٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩) عن ابن أبي مليكة أنَّه سمع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «وضع عمر علىٰ سريره، فتكنفه الناس، يدعون ويُصلون قبل أن يُرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب فترحم علىٰ عمر، وقال: «ما خلَّفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقىٰ الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنِّي كنت كثيرًا أسمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر، وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**».

سمعت سفيان الثَّوريَّ يقول: الخلفاء خمسةٌ: أبو بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، وعمر بن عبد العزيز».

عمر بن عبد العزيز أُلحق بالأربعة لِمَا كَانَ فيه من الخير، والصَّلاح، وردِّ المظالم، وبالله التَّوفيق.



باب في الخلفاء

❏ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٦٣٢- حدَّثنا مُحمَّد بن يحيىٰ بن فارس، قَالَ: حدَّثنا عبد الرَّزَّاق، قَالَ مُحمَّد: كتبته من كتابِهِ، قَالَ: أَخْبَرنا معمر، عن الزُّهريِّ، عن عُبَيد الله بن عبد الله، عن ابْن عبَّاس،قَالَ: كَانَ أبو هُرَيرة يحدِّث أنَّ رجلًا أتىٰ إلىٰ رَسُول الله ﷺ، فقَالَ: إنِّي أَرَىٰ اللَّيلة ظلَّةً يَنْطف منها السَّمن والعَسَل، فأرىٰ النَّاس يتكفَّفون بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، وأرىٰ سببًا واصلًا من السَّماء إلىٰ الأرض، فأَرَاك يا رَسُولَ الله أَخَذت به فَعَلَوْت، ثمَّ أَخَذ به رجلٌ آخر فعَلَا به، ثمَّ أَخَذ به رجلٌ آخر فَعَلَا به، ثمَّ أخذ به رجلٌ آخر فَانْقطَعَ، ثمَّ وصلَ فَعَلَا به.

قال أبو بكر: بأبي وأُمِّي، لتدعنِّي فلأعبِّرنَّها. فقال: «**اعبرها**». قَالَ: أَمَّا الظلَّة فظلَّة الإِسلام، وأمَّا ما يَنْطِفُ من السَّمن والعَسَل فهُوَ القُرْآن: لينه وحَلَاوته، وأمَّا المُسْتكثرُ والمستقلُّ فهو المُسْتكثر من القرآن، والمُسْتقلُّ منه، وأمَّا السَّبب الواصل من السَّماء إلىٰ الأَرْض فهو الحقُّ الَّذي أَنْتَ عليه: تأخُذُ به فيُعْليك الله، ثمَّ يَأْخذ به بَعْدك رجلٌ فيَعْلو به، ثمَّ يأخُذُ به رجلٌ آخر فيَعْلو به، ثمَّ يأخُذُ به رجلٌ آخر فيَنْقطع، ثمَّ يُوصَل له فيَعْلو به؛ أي رسول الله، لتحدثني أصبت أم أخطأت،

فَقَالَ: «**أصبت بعضًا، وأَخْطَأت بعضًا**». فقَالَ: أقسمتُ يا رَسُولَ الله، لتُحدِّثني ما الَّذي أخطأت، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تُقْسم**»(١).

٤٦٣٣- حدَّثنا مُحمَّد بن يحيىٰ بن فارس، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد بن كثير، قَالَ: حدَّثنا سليمان بن كثير، عن الزُّهريِّ، عن عُبَيد الله بن عبد الله، عن ابن عَبَّاس، عن النَّبيِّ ﷺ بهذِهِ القصَّة قَالَ: فأَبَىٰ أَنْ يخبره(٢).

٤٦٣٤- حدَّثنا مُحمَّد بن المُثنَّىٰ، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد بن عبد الله الأَنْصَاري، قَالَ: حدَّثنا الأشعث، عن الحَسَن، عن أبي بَكْرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ ذات يَوْم: «**مَنْ رأىٰ منكم رُؤْيا؟**».

فقال رجلٌ: أنا، رأيتُ كأَنَّ ميزانًا نَزَلَ من السَّماء، فوُزِنْتَ أنت وأبو بكر، فرَجَحتَ أنت بأبي بكر، ووُزِنَ عُمَر وأبو بكر، فرَجَح أبو بكر، ووُزِنَ عُمَر وعُثْمان، فرَجَح عُمَر، ثمَّ رُفِعَ الميزانُ»، فرأينا الكَرَاهية في وَجْه رَسُولِ الله ﷺ(٣).

٤٦٣٥- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، عن علي بن زيد، عن عبد الرَّحمن بن أبي بكرة، عن أبيه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ ذات يوم: «**أيكم رأىٰ رؤيا؟**»، فذكر معناه، ولم يذكر الكراهية، قَالَ: فاستاء لها رسول الله ﷺ (يعني: فَسَاءه ذلك)، فقَالَ: «**خِلَافَة نُبوَّةٍ، ثمَّ يُؤتِي اللهُ المُلْكَ مَنْ يَشَاء**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٣٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «ضعيف الاسناد».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٣٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٣٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

٤٦٣٦- حدَّثنا عَمْرو بن عثمان، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد بن حَرْب، عن الزُّبَيدي، عن ابْن شِهَابٍ، عَنْ عَمْرو بن أبان بن عُثمَان، عن جابر بن عَبْد الله أَنَّه كَانَ يُحدِّث أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**أُرِيَ الليلة رجلٌ صالحٌ أَنَّ أبا بكرٍ نيط برَسُولِ الله ﷺ، ونِيطَ عُمَر بأبي بكرٍ، ونِيطَ عُثْمان بعُمَر**».

قال جابرٌ: فلمَّا قمنا من عند رَسُول الله ﷺ قُلْنا: أَمَّا الرَّجل الصَّالح فرَسُولُ الله ﷺ، وأمَّا تَنوُّطُ بَعْضهم ببعض، فهُمْ وُلَاة هَذَا الأمر الَّذي بَعَث الله به نبيَّه ﷺ.

قال أبو داود: رواه يونس وشعيب، لم يذكرا عمرو بن أبان[1].

٤٦٣٧- حدَّثنا مُحمَّد بن المُثنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثني عفان بن مسلم، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد بن سلمة، عن أشعث بن عبد الرَّحمن، عن أبيه، عن سمرة بن جندب أن رجلًا قَالَ: يا رسول الله، إني رأيت كأن دلوًا دُلِّيَ من السَّماء، فجاء أبو بكرٍ، فأخذ بعراقيها، فشرب شربًا ضعيفًا، ثمَّ جَاءَ عُمَر، فأخذ بعراقيها، فشرب حتَّىٰ تضلَّع، ثمَّ جَاءَ عثمان، فأخذ بعراقيها، فشرب حتَّىٰ تضلَّع، ثمَّ جَاءَ عليٌّ، فأَخَذ بعراقيها، فانتشطت، وانتضح عَلَيه منها شيء[2].

٤٦٣٨- حدَّثنا عليُّ بن سهل الرَّملي، قَالَ: حدَّثنا الوليد، قَالَ: حدَّثنا سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول قَالَ: «لتمخرنَّ الرُّوم الشَّام أربعين صباحًا، لا يمتنع منها إلَّا دمشق وعمان»[3].

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٦)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٣٧)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٣٨)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعيف الإسناد مقطوع» (١٠٠٥).

٤٦٣٩- حدَّثنا موسىٰ بن عامر المرِّي، قَالَ: حدَّثنا الوليد، قَالَ: حدَّثنا عبد العزيز بن العلاء أنَّه سمع أبا الأعيس عبد الرَّحمن بن سلمان يقول: «سيأتي مَلِكٌ من مُلُوك العَجَم، يَظْهر عَلَىٰ المدائن كُلِّها إلَّا دمشق»[١].

٤٦٤٠- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، قَالَ: أخبرنا بُرْدٌ أبو العلاء، عن مكحول، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَوْضعُ فسطاط المُسْلِمِينَ في المَلَاحم أرضٌ يُقَال لها: الغوطة**»[٢].

٤٦٤١- حدَّثنا أبو ظفر عبد السَّلام، قَالَ: حدَّثنا جَعْفر، عن عَوْفٍ، قَالَ: سمعتُ الحَجَّاج يخطب وهُوَ يَقُولُ: إنَّ مَثَل عثمان عند الله كمَثَل عيسىٰ ابن مَرْيم، ثمَّ قَرأَ هذِهِ الآية يَقْرؤها ويُفسِّرها: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يُشير إِلَيْنا بيدِهِ، وإلىٰ أَهْل الشَّام[٣].

٤٦٤٢- حدَّثنا إِسْحَاق بن إِسْمَاعيل الطَّالقاني، قَالَ: حدَّثنا جرير، (ح)، وحدَّثنا زُهَير بن حَرْب، قالا: حدَّثنا جرير، عن المُغيرَة، عن الرَّبيع بن خالد الضَّبِّي، قَالَ: سمعتُ الحَجَّاج يخطب، فَقَال في خطبتِهِ: رَسُولُ أَحَدكم في حاجتِهِ أَكْرم عليه، أم خليفتُهُ في أهلِهِ؟ فقلتُ في نَفْسي: لله عليَّ أَلَّا أصلِّي خَلْفك صلاةً أبدًا، وإِنْ وجدتُ قومًا يُجَاهدونك لأجاهدنَّك معهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٩)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤١)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعيف مقطوع» (١٠٠٦).

زاد إسحاق في حديثِهِ، قَالَ: فقاتل في الجَمَاجم حتَّىٰ قتل[١].

٤٦٤٣- حدَّثنا مُحمَّد بن العلاء، قَالَ: حدَّثنا أبو بكر، عن عاصم، قَالَ: سمعتُ الحَجَّاج وهو عَلَىٰ المِنْبر، يقول: اتَّقوا الله ما اسْتَطعتُمْ، لَيْس فيها مثنويَّة، وَاسْمَعوا وأَطيعُوا، لَيْس فيها مثنويَّة لأمير المُؤْمنينَ عَبْد الملك، واللهِ، لو أمرتُ النَّاسَ أن يَخْرجوا من بابٍ من أَبْواب المَسْجد، فخَرَجوا من بابٍ آخر، لحلَّتْ لي دماؤهم وأَمْوالهم، واللهِ، لَوْ أخذت ربيعة بمُضَر لَكانَ ذلك لي من الله حلالًا، ويا عذيري من عَبْد هذيل يَزْعم أنَّ قِرَاءتَه من عند الله، واللهِ، ما هي إلَّا رجزٌ من رجز الأَعْرَاب، ما أَنْزلَها الله عَلَىٰ نَبيه ﷺ، وعذيري من هذِهِ الحَمْراء يَزْعم أَحَدهُمْ أنَّه يَرْمي بالحَجَر، فيَقُولُ: إِلَىٰ أَنْ يَقعَ الحَجَر قَدْ حَدَث أمرٌ، فوالله لأدعنَّهُم كالأمس الدَّابر.

قَالَ: فَذَكرته للأَعْمَش، فَقَالَ: أنا -والله- سمعتُهُ منه[٢].

٤٦٤٤- حدَّثنا عُثْمان بن أبي شَيْبَةَ، قَالَ: حدَّثنا ابن إدريس، عن الأعمش قَالَ: سمعتُ الحَجَّاج يقول عَلَىٰ المنبر: هذِهِ الحمراء هَبْرٌ هبْرٌ، أما والله، لو قَدْ قَرَعتُ عصًا بعصًا لأذرنَّهم كالأَمْس الذَّاهب (يَعْني: المَوَالي)[٣].

٤٦٤٥- حدَّثنا قطن بن نسير، قَالَ: حدَّثنا جعفر (يَعْني: ابن سليمان)، قَالَ: حدَّثنا دَاوُد بن سُلَيمان، عن شريك، عن سُلَيمان الأعمش قَالَ: جَمَّعت مَعَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد مقطوع» (١٠٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد إلىٰ الحجاج، وهو الظالم المبير».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح أيضًا».

الحَجَّاج فخَطَب، فذَكَر حديث أبي بكر بن عيَّاش، قَالَ فيها: فَاسْمَعوا وأَطيعُوا لخَلِيفَةِ الله وَصفيِّه عَبْد الملك بن مَرْوَان، وسَاقَ الحديث. قَالَ: ولَوْ أخذت ربيعة بمُضَر، ولَمْ يَذْكر قصَّة الحَمْراء[(١)].

٤٦٤٦- حدَّثنا سوار بن عبد الله، قَالَ: حدَّثنا عبد الوارث بن سعيد، عن سعيد بن جُمْهان، عن سَفِينَة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خلافة النُّبوَّة ثلاثون سنةً، ثمَّ يُؤْتي اللهُ المُلْكَ** -أو: ملكه- **مَنْ يَشَاء**».

قال سعيد: قَالَ لي سفينة: أَمْسك عَلَيك: أبا بكر سنتين، وعمر عشرًا، وعثمان اثنتي عشرة، وعليٌّ كذا. قَالَ سعيد: قُلْتُ لسَفينةَ: إنَّ هَؤُلَاء يَزْعمون أنَّ عليًّا لَمْ يكنْ بخليفةٍ. قَالَ: كذبت أستاه بني الزَّرقاء (يَعْني: بني مروان)[(٢)].

٤٦٤٧- (ح) وحدَّثنا عمرو بن عون، قَالَ: حدَّثنا هشيم، عن العوام بن حوشب، المعنىٰ جميعًا، عن سعيد بن جمهان، عن سفينة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خلافة النُّبوَّة ثلاثون سنةً، ثمَّ يُؤتِي اللهُ المُلْكَ مَنْ يَشَاء**»، أو: «**مُلْكَه مَنْ يَشَاء**»[(٣)].

٤٦٤٨- حدَّثنا مُحمَّد بن العلاء، عن ابن إدريس، قَالَ: أخبرنا حصين، عن هلال بن يساف، عن عبد الله بن ظالم المازني، وسفيان عن منصور، عن هلال ابن يساف، عن عبد الله بن ظالم المازني، قَالَ: ذكر سفيان رجلًا فيما بينه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٥)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح إلىٰ الحجاج الظالم».
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦)، قال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «حسن صحيح ».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٧)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «حسن صحيح».

وبين عبد الله بن ظالم المازني، قَالَ: سمعتُ سَعيدَ بْنَ زيد بن عَمْرو بن نُفَيل، قَالَ: لمَّا قدم فلانٌ إلىٰ الكوفة، أقام فلانٌ خطيبًا، فأَخَذ بيدي سعيد بن زيد، فقَالَ: أَلَا تَرَىٰ إلىٰ هَذَا الظَّالم، فأشهد عَلَىٰ التِّسعة إنَّهم في الجنَّة، ولَوْ شهدت عَلَىٰ العاشر لَمْ أَيْثَمْ.

قال ابن إدريس: والعَرَبُ تَقُول: آثمُ.

قلت: ومن التِّسعة؟

قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ وهو عَلَىٰ حراء: «**اثْبُتْ حِرَاء؛ إنَّه لَيْس عَلَيك إلَّا نبيٌّ، أو صِدِّيقٌ، أَوْ شهيدٌ**».

قلت: ومن التِّسعة؟

قال: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقَّاص، وعبد الرَّحمن بن عوف. قلت: ومن العاشر؟ فتلكأ هنية، ثمَّ قَالَ: أنا».

قال أبو داود: رواه الأشجعي عن سفيان، عن منصور عن هلال بن يساف، عن ابن حيان، عن عبد الله بن ظالم بإِسناده نحوه(١).

٤٦٤٩- حدَّثنا حفص بن عمر النَّمري، قَالَ: حدَّثنا شعبة، عن الحر بن الصَّيَّاح، عن عبد الرَّحمن بن الأخنس أنَّه كَانَ في المَسْجد، فذكر رجلٌ عليًّا، فقام سعيد بن زيد، فقال: أشهد عَلَىٰ رسول الله ﷺ أنِّي سمعته وهو يقول:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

«**عشرةٌ في الجنَّة: النَّبيُّ ﷺ في الجنَّة، وأبو بكرٍ في الجنَّة، وعمر في الجنَّة، وعثمان في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطلحة في الجنَّة، والزبير بن العوام في الجنَّة، وسعد بن مالك في الجنَّة، وعبد الرَّحمن بن عوفٍ في الجنَّة**».

ولو شئت لسَمَّيتُ العاشر.

قال: فقالوا: من هو؟ فسكت.

قال: فقالوا: من هو؟

قال: هو سعيد بن زيد(١).

٤٦٥٠- حدَّثنا أبو كامل، قَالَ: حدَّثنا عبد الواحد بن زياد، قَالَ: حدَّثنا صدقة بن المثنىٰ النَّخعي، قَالَ: حَدَّثني جدِّي رياح بن الحارث، قَالَ: كنت قاعدًا عند فلان في مسجد الكوفة، وعنده أَهْل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فرحَّب به وحيَّاه، وأقعده عند رجله عَلَىٰ السَّرير، فجاء رجل من أَهْل الكوفة يُقَال له: قَيس بن عَلقَمة، فاسْتقبله، فسبَّ وسبَّ فقال سعيد: مَنْ يسُبُّ هَذَا الرَّجلُ؟

فقال: يَسبُّ عليًّا.

قال: لا أرىٰ أصحاب رسول الله ﷺ يُسَبُّونَ عندك ثمَّ لا تُنكر، ولا تُغيِّر؟

أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول، وإني لغنيٌّ أن أقول عَلَيه ما لم يقل، فيسألني عنه غدًا إذا لقيته: «**أبو بكرٍ في الجنَّة، وعمر في الجنَّة**»، وساق معناه،

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

ثمَّ قَالَ: لَمشْهَدُ رجلٍ منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم عمره ولو عُمِّرَ عُمْرَ نوح[(١)].

٤٦٥١- وحدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا يزيد بن زريع، (ح)، وحدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا يحيىٰ، المعنىٰ، قالا: أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، أن أنس بن مالك حدَّثهم أن نبيَّ الله ﷺ صعد أُحُدًا، فتبعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرَجفَ بهم، فضربه نبيُّ الله ﷺ برجله، وقال: «**اثبت أُحُد، نبيٌّ، وصِدِّيقٌ، وَشَهيدان**»[(٢)].

٤٦٥٢- حدَّثنا قتيبة بن سعيد، ويزيد بن خالد الرَّملي، أنَّ اللَّيث حدَّثهم، عن أبي الزُّبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «**لا يدخل النَّار أحدٌ مِمَّنْ بايع تحت الشَّجرة**»[(٣)].

٤٦٥٣- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حَدَّثنا حَمَّاد بن سلمة، (ح)، وحدَّثنا أحمد بن سنان، قَالَ: حدَّثنا يزيد بن هارون، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد بن سلمة، عن عاصمٍ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ موسىٰ: «**فلعلَّ الله**» وقال ابن سنان: «**اطَّلَعَ الله عَلَىٰ أَهْل بَدْرٍ، فقَالَ: اعْمَلوا ما شئتم، فقَدْ غَفَرتُ لَكُمْ**»[(٤)].

٤٦٥٤- حدَّثنا مُحمَّد بن عبيد، أنَّ مُحمَّد بن ثور حدَّثهم عن معمر، عن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٥٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «حسن صحيح».

الزُّهريِّ، عن عروة بن الزُّبير، عن المسور بن مخرمة، قَالَ: خرج النَّبيُّ ﷺ زمن الحديبية، فذكر الحديث، قَالَ: فأتاه (يعني: عروة بن مسعود)، فجعل يكلم النَّبيَّ ﷺ، فكلَّما كلَّمه، أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائمٌ عَلَىٰ رأس النَّبيِّ ﷺ ومعه السَّيف، وعَلَيه المِغْفر، فضرب يده بنعل السَّيف، وقال: أخِّر يدك عن لحيته، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ فقالوا: المغيرة بن شعبة[(١)].

٤٦٥٥- حدَّثنا هناد بن السَّريِّ، عن عبد الرَّحمن بن مُحمَّد المحاربي، عن عبد السَّلام بن حرب، عن أبي خالد الدَّالاني، عن أبي خالد مولىٰ آل جعدة، عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**أتاني جِبْرَائيل عليه السلام فأَخَذ بيدي، فأَرَاني باب الجنَّة الَّذي تَدْخل منه أُمَّتي**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله، وددت أني كنت معك حتَّىٰ أنظر إليه.

فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا إنَّك يا أبا بكرٍ أوَّل مَنْ يدخل الجنَّة من أُمَّتي**»[(٢)].

٤٦٥٦- حدَّثنا حفص بن عمر أبو عمر الضَّرير، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد بن سلمة، أنَّ سعيد بن إياس الجُرَيري أخبرهم عن عبد الله بن شقيق العُقَيلي، عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب، قَالَ: بعثني عمر إلىٰ الأسقف فدعوته، فقال له عمر: وهل تجدني في الكتاب؟

قال: نعم.

قال: كيف تجدني؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥٥)، وضعَّفه الألبانيُّ رحمه الله في «الضعيفة» (١٧٤٥).

قال: أجدك قرنًا.

قال: فرفع عَلَيه الدِّرَّة، فقال: قرن مه؟

فقال: قرنٌ حديدٌ أمينٌ شديدٌ.

قال: كيف تجد الَّذي يجيء من بعدي؟

فقال: أجده خليفةً صالحًا غير أنَّه يؤثر قرابته.

فقال عمر: يرحم الله عثمان! ثلاثًا.

فقال: كيف تجد الَّذي بعده؟

فقال: أجده صداء حديد.

قال: فوضع عمر يده عَلَىٰ رأسه.

فقال: يا دَفْراه، يا دَفْراه.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّه خليفةٌ صالحٌ، ولكنَّه يستخلف حين يستخلف والسَّيْف مسلولٌ، والدَّم مهراقٌ.

قال أبو داود: والدَّفْر: النَّتن[1].



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعيف الإسناد».

الشرح

في هَذَا الباب الطَّويل: إثباتُ فَضْل الخُلَفَاء الأربعة: أبو بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

وفيه أيضًا إثبات فضل سائر العشرة المبشرين بالجنَّة، وهم السِّتَّة الباقون.

وفيه أيضًا إثبات فضل أَهْل بيعة الرِّضوان، وأنَّه لا يدخل النَّارَ أحدٌ بايع رسول الله ﷺ تحت الشَّجَرة، وهَذَا الباب فيه فضائل الصَّحَابة، وقَدْ تَقدَّم أنَّ الفضائل عَلَىٰ العموم، يُبدأ أَوَّلًا بمَنْ ذُكِرَ[1]، ثمَّ بعد ذلك مَنْ سبقوا إلىٰ الإسلام من المهاجرين الَّذين هاجروا الهجرتين (هجرة الحبشة، وهجرة المدينة)، لهم فضلٌ عظيمٌ، ثمَّ بعد ذلك مَنْ هاجر إلىٰ المدينة.

ثمَّ بعد ذلك مَنْ حضر موقعة بدرٍ: **«وما يدريك لعلَّ اللهَ اطَّلع عَلَىٰ أَهْلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شئتم، فَقَدْ غفرتُ لكم»**[2].

ثمَّ بعد ذلك أصحاب بيعة الرِّضوان، ثمَّ بعد ذلك مَنْ أسلم قبل الفتح وقاتل، ثمَّ بعد ذلك مَنْ أسلم بعد الفتح وقاتل، هذِهِ فَضَائلهم مُرَتَّبَةٌ.

أمَّا ما ورد في الرُّؤىٰ الَّتي رؤيت، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ وُزن بأُمَّته فوزنهم، إلىٰ

---

(١) أي: العشرة المبشرين بالجنة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

آخره(١)، وكذلك الرُّؤيا الَّتي فيها أنَّ سببًا نزل من السَّماء، فأخذ به النَّبيُّ ﷺ فَعَلَا، ثمَّ أخذ به أبو بكرٍ فَعَلا، ثمَّ أخذ به عمرُ فَعَلا، ثمَّ أخذ به عثمانُ فَعَلا، ثمَّ أخذ به رجلٌ فانقطع به، ثمَّ وُصل له فَعَلا(٢).

هذِهِ أيضًا كلُّها تُثْبِت فضائل الخلفاء، وهذِهِ الفَضَائل مرتبةٌ.

أمَّا كون عليٍّ انْقطَع به ذلك السَّبب، ثمَّ وُصل له، فلِما جرىٰ من الفتن في عهده رضوان الله عليه، وذلك في القتال الَّذي وقع في موقعة الجمل، والقتال

(١) أخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ١١٢) قَالَ: «أخبرنا محمد بن عمر، عن أصحابه، قَالَ: «مكث (أي: النبي ﷺ) عندهم (أي: عند حليمة) سنتين حتىٰ فُطم، وكأنه ابن أربع سنين، فقدموا به علىٰ أمه زائرين لها، وأخبرتها حليمة خبره، وما رأوا من بركته، فقالت آمنة: ارجعي بابني، فإني أخاف عليه وباء مكة، فوالله ليكونن له شأن، فرجعت به، ولما بلغ أربع سنين كَانَ يغدو مع أخيه وأخته في البهم قريبًا من الحي؛ فأتاه الملكان هناك، فشقَّا بطنه، واستخرجا علقة سوداء، فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب، ثم وزن بألف من أمته فوزنهم، فقال أحدهما للآخر: دعه؛ فلو وزن بأمته كلها لوزنهم...».

(٢) أخرج مسلم (٢٢٦٩) أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَ يحدث أنَّ رجلًا أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنِّي أرىٰ الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرىٰ الناس يتكففون منها بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، وأرىٰ سببًا واصلًا من السماء إلىٰ الأرض، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل من بعدك فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به، ثم وصل له فعلا. قال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني فلأعبرنَّها، قال رسول الله ﷺ: «**اعبرها!**». قال أبو بكر: أمَّا الظلة فظلة الإسلام، وأمَّا الذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن حلاوته ولينه، وأمَّا ما يتكفف الناس من ذلك؛ فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأمَّا السبب الواصل من السماء إلىٰ الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله به، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت، أصبت أم أخطأت؟ قال رسول الله ﷺ: «**أصبت بعضًا، وأخطأت بعضًا**». قَالَ: فوالله يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت؟ قال «**لا تُقْسِم!**».

الَّذي حصل أيضًا في صِفِّين، ثمَّ بعد ذلك خرجت الخوارج في صِفِّين، وبعد ذلك قَتَلهم، ثمَّ قُتل.

أمَّا ما ورد أنَّ الخلافة ثلاثون سنة، فحُسِبَتْ خلافة أبي بكرٍ سَنَتين وستَّة أشهرٍ تقريبًا، فهي[١] حُسبت تسعًا وعشرين سنةً، وستَّة أشهرٍ إلىٰ مقتل عليِّ بن أبي طالبٍ، ثمَّ كمِّلت بها خلافة الحسن بن عليٍّ، فبلغت ثلاثين سنةً، وهي أربعون سنةً؛ عشرٌ قبل موت النَّبيِّ ﷺ، وثَلَاثون بعده[٢].

كذلك أيضًا ما وَرَدَ عن الحَجَّاج من استحلاله لدماء النَّاس لو عَصَوْه، فهَذَا لا شكَّ أنَّه مخطئٌ فيه خطأً فاحشًا وعظيمًا، وتكلُّمه في عبد الله بن مسعودٍ أيضًا عَلَيه فيه مؤاخذةٌ عظيمةٌ.

وأَهْل السُّنَّة والجماعة يَرَوْن أنَّ الحَجَّاج فاسقٌ، وكذلك يقولون في يزيد بن معاوية، ولكن الحَجَّاج كَانَ فسقُهُ أشدَّ، ورزاياه في الأُمَّة أعظم وقتله كثيرًا في النَّاس في زمنه واستعلاؤه حتَّىٰ كَانَ بعض النَّاس كفَّروه بكلمةٍ قالها، ولكن لا أدري هل تصحُّ عنه أم لا؟

يقولون: إنَّ سجنه كَانَ شمسيًّا بدون سقفٍ، وأنَّه مرَّ بمَنْ في السِّجْن، فقال: لهم ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

---

(١) أي: الثلاثون سنةً.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٤، ٣٥) (٦٦٥٧) عن سفينة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «**الخلافة ثلاثون سنة، وسائرهم ملوك، والخلفاء والملوك اثنا عشر**»، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «التعليقات الحسان» (٦٦٢٣).

فمثَّل نفسه بربِّ العزَّة حين قَالَ لأَهْل النَّار: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

إِنْ صحَّ هذا، فهذِهِ كلمةٌ قَدْ يبلغ بها الكُفْر، بل هي مُكفِّرةٌ له، لكن في صِحَّتها عنه نظرٌ.

أمَّا القَتْل، فَقَدْ قَتَل فيما يُقَال: فوق ثلاث مئة ألفٍ، ولذلك اسْتجَاز كثيرٌ من التَّابعين الخُرُوج عليه، وإلَّا فالحقيقة أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهىٰ عن الخُرُوج عَلَىٰ ولاة الأمر، وهَذَا الباب حصل فيه شيءٌ كثيرٌ من ذلك.

كذلك قولِهِ في عليٍّ بن أبي طالبٍ: «إنَّه خليفةٌ صالحٌ، ولكنَّه يُستخلف حين يُستخلف والسَّيف مسلولٌ، والدَّم مهراقٌ».

و«الدَّفر» في قوله: «**يا دَفْرَاه، يا دَفْرَاه**» هو النَّتن.

هَذَا كخلاصةٍ لما تذكرته من هَذَا الباب، فنسأل الله أن يُبصِّرنا بالحقِّ، ويرينا إيَّاه؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ.

وصلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.



باب في فضل أصحاب النبي ﷺ

❏ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٦٥٧- حدَّثنا عمرو بن عون، قَالَ: أخبرنا، (ح)، قَالَ: وحدَّثنا مسددٌ، قَالَ: حدَّثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن عمران بن حصين، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «خير أُمَّتي القَرْن الَّذي بُعِثْتُ فيهم، ثمَّ الَّذين يَلُونهم، ثمَّ الَّذين يَلُونَهمْ»، والله أعلم، أَذَكَر الثَّالث أم لا، «ثمَّ يَظْهر قومٌ يَشْهدون ولا يُسْتَشهدونَ، ويَنْذرون ولا يُوفُّون، ويَخُونُون ولا يُؤْتمنون، ويَفْشو فيهم السِّمَن»(١).



الشرح

قَالَ: حدَّثنا عمرو بن عون، قَالَ: أخبرنا، (ح)، وحَدَّثنا مسددٌ، قَالَ: حَدَّثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن عمران بن حصين،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «خير أُمَّتي القرن الَّذي بعثت فيهم، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم»، واللهُ أعلم: أَذَكَرَ الثَّالث أم لا؟ «ثمَّ يظهر قومٌ يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويفشو فيهم السِّمن».

القرن يُطلق ويُرَاد به: الجماعة من النَّاس، يشتركون في زمنٍ واحدٍ، ويُطلق القرن ويُرَاد به مئة سنةٍ، والظَّاهر أنَّ المراد هنا: الجماعة الَّذين يشتركون في زمنٍ واحدٍ يعيشون فيه.

فإذا كَانَ كذلك، فإنَّ القرن يكون عُمُرًا طويلًا، وهل هو مئة سنةٍ؟ أو ثمانون سنةً؟ أو سبعون سنةً؟ أو أقلُّ من ذلك؟ خلافٌ في المسألة، فإذا نظرنا نجد أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**أَعْمَارُ أُمَّتي ما بين السِّتِّين إلىٰ السَّبْعين، وأقلُّهم مَنْ يَجُوزُ ذلك**»[1].

فإذا كَانَ كذلك، فإنَّ الاعتبار يكون بالكثرة، ويمكن أن نقول: القرن سبعون[2] سنةً بالنِّسْبة لأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّ القليل هم الَّذين يَجُوزُون السَّبْعين، وإذا نظرنا في حوادث التَّأْريخ الَّتي حدثت بعد النَّبيِّ ﷺ نجد القول بخَلْق القرآن، وحَمْل النَّاس عَلَيه، والَّذي يُعتَبر تَحوُّلًا في التَّاريخ من مجرىٰ السُّنَّة إلىٰ مجرىٰ البدعة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وقال: «حديث حسن غريب»، وابن ماجة (٤٢٣٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٧٥٧).

(٢) **قال الشيخ أحمد** رَحِمَهُ اللهُ: «يعني عملًا بالحديث، وهو قول النبي ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلىٰ السبعين، وأقلهم من يَجُوز ذلك**»، رواه الترمذي (٣٤٧٣)، وابن ماجة (٤٢٢٦)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (٢٨١٥).

وأقول مثلًا: القرن الأوَّل هم الَّذين صحبوا النَّبيَّ ﷺ إلىٰ السَّبْعين، ثمَّ القرن الثَّاني وهم التَّابعون إلىٰ مئةٍ وأربعين، ثمَّ القرن الثَّالث وهم أتباع التَّابعين إلىٰ مئتين وعشرٍ، وفي مئتين وَاثْنَي عَشَر أَظْهَر المأمون القولَ بخَلْق القرآن، ودَعَا أَهْل العلم إلىٰ ذلك، وأَلْقَىٰ بهم في السُّجُون، ومنهم مَنْ مات في السِّجْن، ومنهم مَنْ بقي في السِّجن مُدَّةً طويلةً، ثمَّ خرج ومُنِع من التَّحديث؛ كالإمام أحمد، وتتابع عَلَىٰ ذلك ثلاثةٌ من الخلفاء، وهم: المأمون، والمعتصم، والواثق.

ولمَّا ولي الأمرَ المُتوكِّلُ عَلَىٰ الله، عند ذلك أعلنَ السُّنَّةَ، وأخرج مَنْ كانوا في السُّجون من العلماء.

والمهمُّ: أنَّا نستطيع أن نُحدِّد الثَّلاثة القرون بأنَّها انتهت في مئتين وعشرة، وهَذَا اجتهادٌ منِّي، علمًا بأنَّ السَّبعين هي التَّحديد الَّذي حَدَّده النَّبيُّ ﷺ.

قوله: «**ثمَّ يظهر أقوامٌ يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون**»؛ أي: تكثر فيهم هذِهِ الثَّلاث الخصال الَّتي تدلُّ عَلَىٰ تَأَثُّرهم بالدُّنيا، وحبِّهم لها، لكونهم يسارعون بالشَّهادة بلا طلبٍ، ولكونهم يلتزمون النَّذْر ولا يوفون به استهانةً بالدِّين، وضَعْفًا في التَّمسُّك به، والأمر الثَّالث أنَّها تظهر فيهم الخيانة وقلَّة الأمانة.

وهَذَا لا ينفي وجود الخير، ولكن يدلُّ عَلَىٰ قلَّته بالنِّسبة لما سبق في الثَّلاثة القرون الأولىٰ، وقَدْ جَاءَ في حديثِ أنسٍ الَّذي في «الصَّحيحين»: «**ما**

من عامٍ إلَّا والَّذي بعده شرٌّ منه»[1]، حديثٌ مرفوعٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، حتَّىٰ قَالَ أنسٌ: «**لا أقول: عامٌ أخصب من عامٍ**»[2].

يُشِير بذلك إلىٰ أن فُشُوَّ الشَّرِّ، هَذَا ليس بالنِّسبة للخصب والجدب، ولكن بالنِّسبة لتَمسُّك الأُمَّة بِهَدْي نَبيِّها، واتِّباع شرعه، وسيطرة الإيمان عَلَىٰ القلوب، هَذَا لا ينفي أن يكون هناك مواضع يَتجدَّد فيها الإيمان بسبب الدُّعاة الَّذين يدعون إلىٰ الله، ويأمرون بتوحيدِهِ.

أمَّا قوله: «**ويظهر فيهم السِّمن**»: فهو إشارةٌ إلىٰ أنَّهم يُؤثِرون التَّنعُّم؛ إذْ لا يكون اهتمامهم بالشَّرع، وتطبيقه، والعمل عليه، ولكن يكون اهتمامهم بِتنعُّمِ الأجساد، نسأل الله أن يصلح أحوالنا.

وفي هَذَا الحديث فضلُ أصحاب النَّبيِّ ﷺ الَّذين اختارهم الله لصحبة نَبيِّه، فهم خير القرون السَّابقة واللَّاحقة، لا يأتي بعدهم ولم يأتِ قبلهم مَنْ هو خيرٌ منهم، وهَذَا حكمٌ عامٌّ في تفضيل أصحاب النَّبيِّ ﷺ عَلَىٰ غيرهم من السَّابقين واللَّاحقين.

---

(١) أخرج البخاري (٧٠٦٨) عن الزبير بن عدي قَالَ: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقىٰ من الحجاج، فقال: «**اصبروا؛ فإنَّه لا يأتي عليكم زمان إلَّا الذي بعده شرٌّ منه، حتىٰ تلقوا ربكم**»، سمعته من نبيكم ﷺ، والترمذي (٢٢٠٦)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (١٩٤) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**لا يأتي عليكم عام إلَّا وهو شرٌّ من الذي كَانَ قبله؛ أما إنِّي لست أعني عامًا أخصب من عام، ولا أميرًا خيرًا من أمير، ولكن علماؤكم وخياركم وفقهاؤكم يذهبون، ثمَّ لا تجدون منهم خلفًا، ويجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم**».

أمَّا التَّفاضل بينهم فقَدْ سَبَق الكَلَام عليه، وذلك بتَفْضيل أَصْحَاب الهجرتين الَّذين هَاجَروا إلىٰ الحَبَشة، ثمَّ هاجروا إلىٰ المدينة، ثمَّ بعد ذلك أَهْل بَيْعة العَقَبة، ثمَّ بعد ذلك مَنْ حضروا بدرًا، ثمَّ بعد ذلك مَنْ شهدوا بيعة الرِّضوان، ثمَّ بعد ذلك مَنْ أسلم قبل الفتح وقاتل، ثمَّ بعد ذلك مَنْ أسلم بعد الفتح وقاتل.

أمَّا التَّفضيل عَلَىٰ التَّعْيين، فقَدْ سبق أيضًا أنَّ أفضل الأُمَّة بعد نَبيِّها: أبو بكرٍ، ثمَّ عمرُ، ثمَّ عثمانُ، ثمَّ عليُّ بن أبي طالبٍ، ثمَّ السِّتَّة الباقون من العشرة، وبالله التَّوْفيق.



باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٦٥٨- حدَّثنا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حدَّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَسبُّوا أَصْحَابي، فوالَّذي نَفْسي بيدِهِ، لو أَنْفقَ أَحدُكُمْ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بَلَغ مُدَّ أَحَدهم، ولا نِصيفَهُ**».

قال أبو سعيدٍ: حدَّثنا العطاردي، قَالَ: أخبرنا أبو معاوية، وذكر الحديث[1].

٤٦٥٩- حدَّثنا أحمد بن يونس، قَالَ: حدَّثنا زائدة بن قُدَامة الثَّقفي، قَالَ: حدَّثنا عمر بن قيس المَاصر، عن عمرو بن أبي قرة، قَالَ: كَانَ حذيفة بالمَدَائن، فكان يَذكر أشياء قالها رسول الله ﷺ لأناسٍ من أصحابِهِ في الغضب، فينطلق نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذلك من حذيفة، فيأتون سلمان ويذكرون له قول حذيفة.

فيقول سلمان: حذيفة أعلم بما يقول. فيرجعون إلىٰ حذيفة، فيقولون له: قَدْ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ذَكَرنا قولك لسلمان، فما صدَّقك ولا كذَّبك، فأتىٰ حُذَيفة سلمان وهو في مبْقلةٍ، فقال: يا سَلْمَان، ما يَمنعك أن تُصَدِّقني بما سَمِعْتُ من رسول الله ﷺ؟

فقال سَلْمَانُ: إنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يغضب، فيقول في الغضب لناسٍ من أصحابه، ويرضىٰ، فيقول في الرِّضا لناسٍ من أصحابه، أما تنتهي حتَّىٰ تورِّث رجالًا حُبَّ رجالٍ، ورجالًا بُغْضَ رجالٍ، وحتَّىٰ توقع اختلافًا وفُرْقةً؟

ولقَدْ علمت أنَّ رسولَ الله ﷺ خَطَبَ، فقال: «**أيُّما رجلٍ من أُمَّتي سببته سبةً، أو لعنته لعنةً في غَضَبي، فإنَّما أنا من وَلَد آدم، أَغْضَب كمَا يَغْضبونَ، وإنَّما بَعَثني رَحْمةً للعَالَمين، فَاجْعَلها عَلَيهم صلاةً يوم القيامة**».

والله، لتَنْتهينَّ أو لأكتبنَّ إلىٰ عمر، فتحمَّل عَلَيه برجالٍ، فكَفَّر يمينه، ولم يكتب إلىٰ عمر، وكَفَّر قبل الحِنْثِ».

قال أبو داود: قبل وبعد، كلُّه جائزٌ[1].



الشرح

(**باب النَّهي عن سبِّ أصحاب رسول الله ﷺ**)، أورد فيه حديث أبي سعيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَسبُّوا أصحابي، فوالَّذي نَفْسي بيدِهِ، لو أَنْفقَ أَحدكُمْ مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أَحَدهم، وَلَا نَصِيفَهُ**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (١٧٥٨).

هَذَا الحديث سندُهُ ظاهرُ الصِّحَّة.

مسدد: هو ابن مسربل، وهو من رجال الصَّحيحين.

أبو معاوية: هو مُحمَّد بن خازم الضَّرير، من رجال الصَّحيحين.

الأعمش: هو سليمان، من رجال الصَّحيحين.

أبو صالح: عند إطلاقه يُرَاد به ذكوان السَّمَّان، من رجال الصَّحيحين، وعلىٰ هَذَا فالسَّنَد صحيحٌ.

النَّبيُّ ﷺ نهىٰ عن سبِّ أصحابه، وقَدْ كَانَ هَذَا النَّهي حين أرسل النَّبيُّ ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح إلىٰ قومٍ يُقال لهم: بنو جذيمة، وكان في السَّريَّة الَّتي معه عبد الرَّحمن بن عوفٍ.

فلمَّا وصلوا إلىٰ القوم لم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صبأنا، فأمر خالد بن الوليد باستمرار القَتْل فيهم، فنهاه عبد الرَّحمن بن عوفٍ. قَالَ خَالد بن الوليد: أتفخرون علينا إلَّا بأيَّامٍ سبقتمونا بها.

فحصلت بينه وبين عبد الرَّحمن مُقَاولةٌ، فجاء عبد الرَّحمن إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وأخبره، فغضب النَّبيُّ ﷺ عَلَىٰ خالدٍ، فقال: «**لا تَسبُّوا أصحابي؛ فوالَّذي نفس مُحمَّدٍ بيده، لو أَنْفقَ أَحَدُكُمْ مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أَحَدهم، وَلَا نَصِيفَهُ**»[1].

فقال: «**اللَّهمَّ إنِّي أبرأ إليك مِمَّا صنع خالدٌ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، واللفظ له، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فإذا كَانَ النَّبيُّ ﷺ قَالَ هَذَا فِي المفاضلة بين صحابيٍّ وصحابيٍّ، فغيرهم من باب أَوْلىٰ؛ يعني: كون خالد بن الوليد تَكلَّم عَلَىٰ عبد الرَّحمن بن عوفٍ الَّذي هو من السَّابقين إلىٰ الإسلام، والَّذين تَحمَّلوا ما تَحمَّلوا في سبيل الإسلام، وشاركوا في الجهاد عند قلَّة النَّاس، وقلَّة أتباعه ﷺ، لهَذَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ ما قَالَ في ذلك.

إذًا؛ فإذا كَانَ هَذَا في التَّفضيل بين صحابيٍّ وصحابيٍّ، فغيرُهُم من باب أَوْلَىٰ.

قوله: «**فوالَّذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهبًا**» الله أكبر، لا إله إلَّا الله «**ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيفه**».

المُدُّ: هو ربعُ صاعٍ، فإنفاق أحدهم المُدَّ في ذلك الزَّمن العصيب عَلَىٰ قلَّة الأنصار، وكثرة الأضداد والأشرار، يُفضَّل عَلَىٰ إنفاق مثل أُحُدٍ من الذَّهب، وفي هَذَا من الفضل ما لا يُدْرك مداه أبدًا.

ثمَّ أورد في ذلك القصَّة الَّتي حصلت بين حذيفة وسلمان الفارسي، وأنَّ سلمان الفارسيَّ كَانَ ينتقد حُذَيفة؛ لكونه يذكر أحاديث قالها النَّبيُّ ﷺ لأقوامٍ في حالة الغضب.

«**فينطلق ناسٌ مِمَّنْ سمع ذلك من حذيفة، فيأتون سلمان، ويذكرون له قول حذيفة، فيقول سلمان: حذيفة أعلم بما يقول. فيرجعون إلىٰ حذيفة، فيقولون له: قَدْ ذكرنا قولك لسلمان، فما صَدَّقك ولا كَذَّبك**».

يُؤخَذ من هذا الحديث:

أوَّلاً: أنَّ الأخيار قَدْ يجري بينهم ما يجري من العَتْب.

ثانيًا: أنَّ الأشرار في كلِّ زمنٍ يثيرون الفتن، ويسعون بالإفساد بين النَّاس، فَنَقْلُ قول هَذَا إلىٰ هذا، ونقل قول هَذَا إلىٰ ذاك، هَذَا مِمَّا يثير الشَّرَّ، ويوجب الخلاف الَّذي يُؤدِّي إلىٰ الفرقة، وإذا كَانَ هَذَا حاصلًا في ذاك الزَّمَن، فما حالنا اليوم؟

ثمَّ قَالَ سَلْمان لحُذَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ولقَدْ علمت أنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَب، فقَالَ: «**أيُّما رجل من أمَّتي سَبَبْته سبَّة، أو لَعَنْته لعنةً في غَضَبي، فإنَّما أنا من وَلَد آدَمَ، أَغْضَب كَمَا يَغْضبونَ، وإنَّما بُعِثْتُ رحمةً للعَالَمين، فأَجْعَلها عَلَيه صَلَاةً يَوْم القِيَامَة**».

وفي روايةٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**اللَّهمَّ إنَّما مُحمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضب كَمَا يَغْضب البشر، وإنِّي قَدِ اتَّخذتُ عندك عهدًا لن تخلفنيه، فأيما مؤمنٍ آذيته، أو سببته، أو جلدته، فاجعلها له كَفَّارةً وقربةً، تُقرِّبه بها إليك يوم القيامة**»[1].

ثم قَالَ سَلْمان: «**واللهِ، لتنتهينَّ أو لأكتبنَّ إلىٰ عمر**»: فيه دليلٌ عَلَىٰ أنَّهم كانوا يخافون عمر.

ثم قَالَ: «**فَتَحمَّل عَلَيه برجالٍ**»؛ أي: تَحمَّل حذيفة عَلَىٰ سلمان الفارسي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

برجالٍ(١) حتَّىٰ لا يكتب إلىٰ عمر، فلم يكتب، وكَفَّر عن يمينه «**وكَفَّر قبل الحنث**».

قوله: «**فتحمَّل**»، أي: شفع، **وهَذَا** شائعٌ في لغة العرب، وبالأخص في متابعة الرَّجل لامرأته؛ يقولون: فلانٌ تحمَّل عَلَىٰ زوجته، أو عَلَىٰ أولياء زوجته، أو ما أشبه ذلك، أي: ذهب بأناسٍ يستشفع بهم في رَدِّ زوجته إليه، هَذَا شائعٌ في لُغَة العَرَب، وبالأخصِّ في مُتَابعة الرَّجل لامرأتِهِ.

وأقول: يجوز التَّكْفير قبل الحنث وبعده إذا نوىٰ التَّراجع عن اليمين، فَقَدْ ورد في حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وإنِّي واللهِ، لا أحلف عَلَىٰ يمينٍ فأرىٰ غيرها خيرًا منها إلَّا كفَّرت عن يميني، وأتيت الَّذي هو خيرٌ**»(٢)، وبالله التَّوفيق.



(١) **قال الشيخ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: استشفع».

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٣)، ومسلم (١٦٤٩).

باب في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه

❐ **قال الإمام أبو داود رحمه الله:**

٤٦٦٠- حدَّثنا عبد الله بن مُحمَّد النُّفيلي، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد بن سلمة، عن مُحمَّد بن إسحاق، قَالَ: حَدَّثني الزُّهريُّ، قَالَ: حَدَّثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرَّحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة، قَالَ: «لما استُعزَّ برسول الله ﷺ وأنا عندَهُ في نَفَرٍ من المُسْلِمِينَ، دعاه بلال إلىٰ الصَّلاة، فقال: «**مُرُوا مَنْ يصلِّي للنَّاس**»، فخرج عبد الله بن زمعة، فإذا عمر في النَّاس، وكان أبو بكرٍ غائبًا، فقلت: يا عمر، قُمْ فصلِّ بالنَّاس، فتقدَّم، فكبَّر.

فلمَّا سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلًا مجهرًا، قَالَ: «**فأين أبو بكرٍ؟ يأبىٰ الله ذلك والمسلمون، يأبىٰ الله ذلك والمسلمون**». فبعث إلىٰ أبي بكرٍ، فجاء بعد أن صلَّىٰ عمر تلك الصَّلاة، فصلَّىٰ بالنَّاس»[1].

٤٦٦١- حدَّثنا أحمد بن صالح، قَالَ: حدَّثنا ابن أبي فُدَيك، قَالَ: حدَّثنا موسىٰ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٠)، وصححه الألبانيُّ رحمه الله في «ظلال الجنة» (١١٥٦).

ابن يعقوب، عن عبد الرَّحمن بن إسحاق، عن ابن شهابٍ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن زمعة أخبره بهَذَا الخبر، قَالَ: «لما سمع النَّبيُّ ﷺ صوت عمر، قَالَ ابْنُ زمعة: خرج النَّبيُّ ﷺ حتَّىٰ أطلع رأسه من حجرته، ثمَّ قَالَ: «**لَا، لَا، لَا، ليُصَلِّ للنَّاس ابْنُ أبي قُحَافة**»، يَقُول ذلك مُغْضبًا[1].



الشرح

(**باب في استخلاف أبي بكر** رضي الله عنه): أورد فيه حديث عبد الله بن زمعة، قَالَ: «**لمَّا استُعزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده**»: ومعنىٰ استُعزَّ: اشتدَّ عَلَيه المرض حتَّىٰ أُيِس من حياته.

«**وأنا عنده في نفرٍ من المُسْلِمِينَ، دعاه بلالٌ إلىٰ الصَّلاة، فقال: «مُرُوا مَنْ يُصلِّي للنَّاس»، فخرج عبد الله بن زمعة، فإذا عمر في النَّاس، وكان أبو بكرٍ غائبًا** -قال- **فقلت: يا عمر، قُمْ فصلِّ بالنَّاس، فتقدَّم فكبَّر، فلمَّا سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمرُ رجلًا مُجْهِرًا**»، أَوْ: «**جهيرًا**». ومعنىٰ مجهرًا؛ أي: أنَّه كَانَ جهير الصَّوْت.

«**قال: «فأين أبو بكرٍ؟ يَأْبَىٰ الله ذلك والمسلمون، يَأْبىٰ الله ذلك والمسلمون»، فبعث إلىٰ أبي بكرٍ، فجاء بعد أَنْ صلَّىٰ عمر تلك الصَّلاة، فصلَّىٰ بالنَّاس**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦١)، وقال الألباني: رحمه الله: «حسن صحيح».

يُؤخَذ من هذا الحديث:

- فضل أبي بكرٍ عَلَىٰ غيره من الصَّحَابة حتَّىٰ عمر.

- فيه إشارةٌ إلىٰ خلافة أبي بكرٍ، ففي الباب حديث عائشة في «الصَّحيحين»، وأنَّها قَدَّرتْ في نفسها أنَّ النَّاس سَيَتَشاءمون بمَنْ يقومُ مقامَ النَّبيِّ ﷺ، فقالت: فَقُلت لِحَفْصة: قُولِي: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ! فقَالَ النَّبيُّ ﷺ بعد ترديد عائشة وحفصة: «**إنَّكنَّ لَصَواحبُ يُوسُف، مُرُوا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالنَّاس**»[1].

وفي هَذَا فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكرٍ، وفيه أيضًا الإشارة إلىٰ خِلافته، ولهَذَا قَالَ عُمَر: «رَضِيَه رسولُ الله ﷺ لِدِيننا؛ فكَيف لا نَرْضَاه لِدُنْيَانا»، فَبايَعوه.

- وفيه ردٌّ عَلَىٰ الشِّيعة في زعمهم أنَّ الخلافة كانت لعليٍّ، وأنَّ أبا بكرٍ وعمر اغتصباها منه.

والحديث الثَّاني معناه شبيهٌ بالمعنىٰ الأوَّل، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٦٧٩)، ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة

❏ **قال أبو داود** رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٦٢- حدَّثنا مسدد ومسلم بن إبراهيم، قالا: حدَّثنا حَمَّاد، عن عليٍّ بن زيد، عن الحسن، عن أبي بكرة، (ح)، وحدَّثنا مُحمَّد بن المُثنَّىٰ، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد بن عبد الله الأنصاري، قَالَ: حدَّثنا الأشعث، عن الحسن، عن أبي بكرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ للحسن بن عليٍّ: «**إنَّ ابني هَذَا سيِّدٌ، وإنِّي أَرْجو أن يُصْلح اللهُ به بَيْن فئتين من أُمَّتي**».

وقال عن حَمَّاد: «**ولعلَّ اللهَ أن يُصْلِحَ به بين فِئَتين من المُسْلِمِينَ عظيمتين**»(١).

٤٦٦٣- حدَّثنا الحسن بن عليٍّ، قَالَ: حدَّثنا يزيد، قَالَ: أخبرنا هشام، عن مُحمَّد، قَالَ: قَالَ حُذَيفة: ما أحدٌ من النَّاس تدركه الفتنةُ إلَّا أنا أخافها عَلَيه إلَّا مُحمَّد بن مَسْلمة، فإنِّي سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لا تضرُّك الفتنة**»(٢).

٤٦٦٤- حدَّثنا عمرو بن مرزوق، قَالَ: حدَّثنا شعبة، عن الأشعث بن سليم، عن أبي بردة، عن ثعلبة بن ضبيعة، قَالَ: «دخلنا عَلَىٰ حذيفة، فقال: إني

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

لأعرف رجلًا لا تضره الفتن شيئًا، قَالَ: فخرجنا، فإذا فسطاطٌ مضروبٌ، فدخلنا، فإذا فيه مُحمَّد بن مَسْلَمَة، فسألناه عن ذلك، فقال: ما أريد أن يشتمل عليَّ شيءٌ من أمصاركم حتَّىٰ تنجلي عما انجلت»(١).

٤٦٦٥- حدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا أبو عوانة، عن أشعث بن سليم، عن أبي بردة، عن ضبيعة بن حصين الثَّعلبي بمعناه.

٤٦٦٦- حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، قَالَ: حدَّثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن، عن قيس بن عباد، قَالَ: «قلت لعليٍّ: أخبرنا عن مَسِيرك هذا، أعهدٌ عَهدَهُ إليك رسول الله ﷺ، أم رأيٌ رأيته؟ فقال: ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ بشيءٍ، لكنه رأيٌ رأيته»(٢).

٤٦٦٧- حدَّثنا مسلم بن إبراهيم، قَالَ: حدَّثنا القاسم بن الفضل، عن أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَمْرق مارقةٌ عند فُرْقةٍ من المُسْلِمِينَ يقتلها أولىٰ الطَّائفتين بالحقِّ**»(٣).



الشرح

أورد في هَذَا الباب قول النَّبيِّ ﷺ في الحسن بن عليٍّ حين كَانَ جالسًا معه

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح بما قبله».
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح الإسناد».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٦٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

عَلَىٰ المنبر، فقال: «**إِنَّ ابني هَذَا سَيِّدٌ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المُسْلِمِينَ**»[(١)].

فلمَّا قُتل عليُّ بن أبي طالبٍ، تولَّىٰ الحسن، ووجد من الشِّيعة ما وجد من عدم الإخلاص، بل إِنَّهم يدَّعون ادِّعاءاتٍ، ويكذبون فيها، حتَّىٰ إِنَّه قيل: إِنَّهم كادوا أن يغتالوه، وبعد ذلك رأىٰ أن يتنازل لمعاوية عن الخلافة بشروطٍ، وسعىٰ بينهم أقوامٌ من الصَّحابة وغيرهم، فتنازل الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسُمِّي هَذَا العام عام الجماعة، والَّذي هو عام واحدٌ وأربعون من الهجرة النَّبويَّة، وتَحقَّق في الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قول النَّبيِّ ﷺ: «**وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المُسْلِمِينَ**».

كذلك أيضًا أورد فيه حديث حذيفة، قَالَ: «**ما أحدٌ من النَّاس تدركه الفتنةُ إِلَّا أنا أخافها عَلَيه إِلَّا مُحمَّد بن مَسلَمة**».

وكان مُحمَّد بن مسلمة من أَكَابر الصَّحابة، ومن الأنصار، شهد بدرًا والمشاهدَ بعدها، فكان النَّبيُّ ﷺ قَدْ أوصاه أَنَّه إذا رأىٰ الفتنة أن يأتي بسيفِهِ أُحُدًا، فيضرب به في الحجارة حتَّىٰ يكسره، وأَنْ يَتَّخذ سيفًا من خشبٍ.

وقَدْ أرسل إلىٰ عليٍّ بن أبي طالبٍ حين خرج، فقال: «**إِنِّي قَدِ اتَّخذت السَّيف الَّذي أمرني به ابن عَمِّك عند اختلاف النَّاس**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج الترمذي (٢٢٠٣) عن عديسة بنت أهبان بن صيفي الغفاري قالت: «جاء علي بن أبي طالب إلىٰ أبي، فدعاه إلىٰ الخروج معه، فقال له أبي: «إِنَّ خليلي وابن عمك عهد إليَّ إذا =

وفي الحديث الَّذي بعده من طريق الأشعث بن سليم عن أبي بردة (يعني: ابن أبي موسىٰ) عن ثعلبة بن ضبيعة، قَالَ: «**دخلنا عَلَىٰ حذيفة، فقال: إنِّي لأعرف رجلًا لا تَضرُّه الفتن شيئًا، قَالَ: فخرجنا فإذا فسطاطٌ مضروبٌ، فدخلنا، فإذا فيه مُحمَّد بن مسلمة، فسألناه عن ذلك، فقال: ما أريد أن يشتمل عليَّ شيءٌ من أمصاركم حتَّىٰ تنجلي عَمَّا انجلت**».

ثمَّ أورد حديث الحسن -والظَّاهر أنَّه: هو البصريُّ- عن قيس بن عباد، قَالَ: «قلت لعليٍّ: أَخْبِرنا عن مَسِيرك هذا، أعهدٌ عهده إليك رسول الله ﷺ، أم رأيٌ رأيته؟ فقال: ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ بشيءٍ، لكنَّه رأيٌ رأيته».

يُؤخَذ من هذا الحديث:

- تكذيبٌ لما تَدَّعيه الشِّيعة من الوصاية لعليٍّ، وأنَّهم قَدْ كذبوا في ذلك، وَافْتَرَوْا عَلَىٰ عليٍّ بن أبي طالبٍ في زَعْمِهم هذا.

- وأنَّ ما حصل من عليٍّ من الخُرُوج، ودعوة النَّاس إلىٰ خلافته، إنَّما هو رأيٌ رآه، ولكن هَذَا لا ينفي أنَّه أفضل الموجودين في ذلك الوقت.

ثمَّ أورد حديث أبي سعيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَمْرق مارقةٌ عند**

=

اختلف الناس أن أتخذ سيفًا من خشب»، فقد اتخذته، فإن شئت خرجت به معك. قالت: فتركه». قال أبو عيسىٰ الترمذي: «وفي الباب عن محمد بن مسلمة، وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من حديث عبد الله بن عبيد»، وصححه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (١٣٨٠).

فُرقةٍ من المُسْلِمِينَ -شكَّله هنا (فِرقة)[١] وهَذَا غلطٌ، فالفِرْقة: هي الواحدة من الفِرق، والفُرقة هي الاختلاف- **يقتلها** -أو: تقتلها- **أولىٰ الطَّائفتين بالحقِّ**».

والمقصود بذلك: خُرُوج الخوارج، وقَتْل عليٍّ بن أبي طالبٍ لهم، وفي هَذَا علامةٌ عَلَىٰ أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ كَانَ أَوْلَىٰ بالحقِّ من غيره، وبالله التَّوفيق.



---

(١) **قلت:** «فِرْقة» في النسخة التي عند شيخنا أحمد النجمي رَحِمَهُ اللهُ، بخلاف ما عليه في هذه النسخة المطبوعة «فُرْقة»، فكتابَتُها صحيحةٌ.

باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام

❑ **قال الإمام أبو داود رحمه الله:**

٤٦٦٨- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا وهيب، قَالَ: حدَّثنا عمرو؛ (يعني: ابن يحيىٰ)، عن أبيه، عن أبي سعيدٍ الخدري، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تخيروا بَيْنَ الأَنْبيَاءِ**»(١).

٤٦٦٩- حدَّثنا حجاج بن أبي يعقوب، ومُحمَّد بن يحيىٰ بن فارس، قالا: حدَّثنا يعقوب، قَالَ: حدَّثنا أبي، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن، وعبد الرَّحمن الأعرج، عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رجلٌ من اليهود: والَّذي اصْطَفىٰ مُوسَىٰ، فَرَفع المُسْلم يَدَه، فلَطَم وَجْه اليهوديِّ، فَذَهب اليهوديُّ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فأَخْبَره.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تخيِّروني عَلَىٰ موسىٰ؛ فإنَّ النَّاس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسىٰ باطش في جانب العرش، فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي، أم كَانَ ممن استثنىٰ الله تعالىٰ**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله.

قال أبو داود: وحديث ابن يحيىٰ أتمُّ[١].

٤٦٧٠- حدَّثنا عمرو بن عثمان، قَالَ: حدَّثنا الوليد، عن الأوزاعي، عن أبي عمار، عن عبد الله بن فرُّوخ، عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أنا سيِّد ولد آدم، وأوَّل مَنْ تنشقُّ عنه الأرض، وأوَّل شافعٍ، وأوَّل مشفَّعٍ**»[٢].

٤٦٧١- حدَّثنا حفص بن عمر، قَالَ: حدَّثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول إنِّي خيرٌ من يونس بن مَتَّىٰ**»[٣].

٤٦٧٢- حدَّثنا عبد العزيز بن يحيىٰ الحراني، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد بن سلمة، عن مُحمَّد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن القاسم بن مُحمَّد، عن عبد الله بن جعفر، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يقول: «**ما ينبغي لنبيٍّ أن يقول إنِّي خيرٌ من يونس بن متَّىٰ**»[٤].

٤٦٧٣- حدَّثنا زياد بن أيوب، قَالَ: حدَّثنا عبد الله بن إدريس، عن مختار ابن فلفل، يذكر عن أنس، قَالَ: قَالَ رَجلٌ لرَسُول الله ﷺ: يا خير البريَّة. فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك إبراهيم عليه السلام**»[٥].

٤٦٧٤- حدَّثنا مُحمَّد بن المتوكل العسقلاني، ومخلد بن خالد الشعيري

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٧١)، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٧٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٦٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله.
(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٧٠)، وقال الألبانيُّ رحمه الله «صحيح بما قبله».
(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٧٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله.

المعنىٰ، قالا: حدَّثنا عبد الرَّزَّاق، قَالَ: أخبرنا معمر، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لعينٌ هو أَمْ لا، وما أَدْري أعزيرٌ نبيٌّ هو أَمْ لا؟**»(١).

٤٦٧٥- حدَّثنا أحمد بن صالح، قَالَ: حدَّثنا ابن وهب، قَالَ: حَدَّثني يُونُس، قَالَ: أخبرني ابن شهاب، أن أبا سلمة بن عبد الرَّحمن أخبره، أن أبا هريرة، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا أَوْلَىٰ النَّاس بابن مريم، الأنبياء أولاد علَّات، وليس بيني وبينه نبيٌّ**»(٢).



الشرح

(**باب التَّفضيل بين الأنبياء**)؛ أي: التَّفضيل بينهم، ما ورد في هَذَا الباب إنَّما قاله النَّبيُّ ﷺ هَضْمًا لنفسه، وتواضعًا منه في حال حياته، وإلَّا فإنَّ الله ﷻ يقول: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وقوله: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: إخبارٌ عن التَّفضيل بين الأنبياء، وأنَّ المفاضلة بينهم حاصلةٌ، فالمُرْسَلون أفضل من الأنبياء.

والفرق بين «النَّبيِّ» و«الرَّسول»: هو أنَّ النَّبيَّ مَنْ كُلِّف بتبليغ رسالة مَنْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٧٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٢٢١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٧٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (١٤٥٢).

قبله، والرَّسول هو مَنْ كُلِّف برسالةٍ جديدةٍ.

فالرُّسُل أفضل من الأنبياء، والرُّسُل بعضهم أفضل من بعضٍ بصريح الآية، وإنَّما أنكر النَّبيُّ ﷺ عَلَىٰ مَنْ فعل ذلك في حياته تواضعًا منه صلوات الله وسلامه عليه، وأولو العزم من الرُّسُل خمسةٌ، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومُحمَّدٌ ﷺ.

والنَّبيُّ ﷺ أفضل الرُّسُل جميعًا، ولذلك فقَدْ خَصَّه الله ﷻ بالمقام المحمود الَّذي لا يناله أحدٌ غيره من الرُّسُل؛ إِذْ إنَّه لا يصل إليه إلَّا بعد أن يُعرَض عَلَىٰ الرُّسُل جميعًا (أي: عَلَىٰ أولي العزم جميعًا)، وكلٌّ منهم يَتنصَّل، ويقول: «**لَسْتُ لَها**»[1]؛ كذلك أيضًا استفتاح باب الجنَّة، لا يستفتحه أحدٌ غيره[2].

وقوله: «**لا تُخيِّروا بين الأنبياء**»: أي: لا تُفضِّلوا بعضهم عَلَىٰ بعض من عند أنفسكم، أو: لا تُفضِّلوا بعضهم عَلَىٰ بعضٍ تفضيلًا يُؤدِّي إلىٰ تنقُّص المفضول منهم، والإزراء به، وهو كُفرٌ، أو معناه: لا تُفضِّلوا في نفس النُّبوَّة؛ فإنَّهم مُتَساوون فيها، وإنَّما التَّفاضل بالخصائص، وفضائل أخرىٰ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الآية.

قال الخطابيُّ: «معنىٰ هذا: ترك التَّخْيير بينهم عَلَىٰ وجه الإزراء ببعضهم؛ فإنَّه رُبَّما أدَّىٰ ذلك إلىٰ فساد الاعتقاد فيهم، والإخلال بالواجب من

---

(١) أخرج حديث الشفاعة الطويل البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرج مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنَّة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: محمدٌ، فيقول: بِكَ أُمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك**».

حقوقهم، وليس معناه: أن يُعتَقد التَّسوية بينهم في دَرَجاتهم، فإنَّ الله تعالىٰ قَالَ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾.

قال المنذريُّ: وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ أتم منه»(١).

والَّذي يظهر أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهىٰ عن التَّخيير بينهم في حياته تواضعًا منه، صلوات الله وسلامُهُ عليه، ولهَذَا قَالَ: «**لا يحلُّ لأحدٍ أن يقول: إنِّي خيرٌ من يونس بن مَتَّىٰ**».

ويونس بن متىٰ هو صاحب الحوت الَّذي قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [القلم:٤٨-٥٠]، وقِصَّتهُ معروفةٌ، وأنَّه أُرسل إلىٰ قومٍ ذوي عددٍ، يقاربون أو يزيدون عَلَىٰ مئة ألفٍ، فكَذَّبوه، وأنذرهم بوقوع العذاب، ثمَّ إنَّهم خافوا من العذاب، فاجتمعوا جميعًا، وفَرَّقوا بين الوالدات والأولاد، وعند ذلك جأروا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وَدَعَوه، فصرف الله عنهم العذاب.

وكَانَ قَدْ خرج من بينهم؛ انتظارًا لوقوع العذاب بهم، فكان يَتلمَّس الأخبار، فكُلَّما سأل قيل له: إنَّهم بخيرٍ، فعند ذلك وقع في نفسه غضبٌ وغيظٌ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كَذَبه، فخرج إلىٰ البحر وركب في سفينةٍ، فلمَّا تَوسَّطوا في البحر، وقفت السَّفينةُ، فقال أصحاب السَّفينة: لا بدَّ أن نُخفِّف عنها، فنقترع، ومَنْ وقعت عَلَيه القرعة يُلقَىٰ في البحر، فاقترعوا ثلاثَ مَرَّاتٍ، وتقع القرعة عليه، فأَلْقَوه في البحر، فَوقَعَ في فم الحوت (النُّون).

(١) انظر «عون المعبود» (١٢/ ٢٧٧).

وهَذَا الحوتُ عظيمٌ، ويُقَال: إنَّه يفتح فاه، فينزل الماءُ (البحر) في فيه مع المخلوقات الَّتي فيه، ثمَّ إنَّه يخرج الماءُ، وتَبْقىٰ هذِهِ الأشياء الَّتي دخلت في بطنه، ويُقَال أيضًا: إنَّ الله أَوْحَىٰ إلىٰ الحوت أَلَّا تَهشُمَ له عَظْمًا.

فلمَّا دخل في بطن الحوت، عرف أنَّه مخطئٌ، وأنَّ الله ﷻ يفعل في خَلْقه ما يشاء، فليس لأحدٍ عَلَيه اعتراضٌ، عند ذلك نادىٰ ربَّه ﷻ، وكان كثير الدُّعاء في صِحَّتِهِ، وقبل ابتلائه، فقالت الملائكة: يا ربِّ، صوتٌ معروفٌ من بلاد غربة.

فأخرجه من بطن البحر، ومن بطن النُّون، وأنبت عَلَيه شجرةً يَتغذَّىٰ منها، وأخرج له عينًا يشرب منها حتَّىٰ ثَابَتْ[1] عَلَيه قُوَّتُهُ، ثمَّ عاد إلىٰ قومه، فآمنوا كَمَا وَضَّح الله ﷻ ذلك في آخر سورة يونس: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾ [يونس:٩٨]؛ يعني: عند نزول العذاب، لا ينفع الإيمان، ولكن قوم يونس نفعهم إيمانهم حينما جأروا إلىٰ الله؛ صغارًا وكبارًا، وذكورًا وإناثًا بعد استيقانهم بوقوع العذاب -فرحمهم الله- وصَرَف العذاب عنهم، وقَدْ وَرَد في القرآن قول الله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم:٤٨-٥٠].

فقول النَّبيِّ ﷺ: «**لا يحلُّ لأحدٍ أن يقول: إنِّي خيرٌ من يونس بن مَتَّىٰ**».

هَذَا أوَّلًا: قَالَه عَلَىٰ سبيل الهَضْم لنفسِهِ.

---

(١) أي: رجَعَت.

وثانيًا: منعًا للتَّخْيير المُؤدِّي إلىٰ الإزراء بالنَّبيِّ المخيَّر عليه.

قوله: «**فإنَّ النَّاس يُصْعَقون يوم القيامة**»: الصَّعق بفتح العين، يُقال: صُعِق الرَّجل: إذا أصابته صاعقةٌ، وصُعِق أيضًا: «إذا أصابه فزعٌ، فأُغْمِي عليه، ورُبَّما مات منه، ثمَّ يُستعمَل في الموت كثيرًا، لكنَّ هذِهِ الصَّعقة صعقة فزع يكون قبل البعث»[١]، ولا أدري ما معنىٰ قوله[٢]: يكون قبل البعث.

والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**أنا أوَّل مَنْ تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة، فأرفع رأسي، فإذا موسىٰ بن عمران باطشٌ بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم كَانَ مِمَّن استثنىٰ الله**».

وهذا الحديث يدلُّ على:

أوَّلاً: رؤيته ﷺ لموسىٰ وهو باطشٌ بقائمةٍ من قوائم العرش؛ لأنَّ السَّماوات في ذلك الوقت كانت قَدْ تلاشت السَّمَاء.

وثانيًا: يدلُّ عَلَىٰ أنَّه يوم القيامة، وعند بعث النَّاس وخُرُوجهم من قبورهم، والمهمُّ: أنَّ قوله[٣]: «هذِهِ الصَّعقة صعقة فزع يكون قبل البعث»، وهَذَا لا أدري ما وجهه؟ وما هو صحيح هَذَا الكلام.

ثالثًا: كيف يراه النَّبيُّ ﷺ عَلَىٰ البعد العظيم ما بين الأرض وما بين العرش؟ والجواب: أنَّ الله يجعل لأنبيائه ما يجعل من الفضل والإكرام.

---

(١) «عون المعبود» (٢٤/ ٩٥).

(٢) أي: صاحب «عون المعبود».

(٣) أي: قول صاحب «عون المعبود».

قوله في الحديث عن أنس قَالَ: قَالَ رجلٌ: يا خَيْر البريَّة. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذاك إبراهيم** عليه السلام»، أي: المُشَار إليه المَوْصوف بخَيْر البريَّة، وهو إِبْرَاهيم عليه السلام. قَالَ المنذريُّ: «وأَخْرجه مسلمٌ والنَّسائيُّ. قيل: يحتمل أنَّه قاله قبل أن يوحىٰ إليه بأنَّه خير منه، أو يكون عَلَىٰ جهة التَّواضع، وكره إظهار المطاولة عَلَىٰ الأنبياء»، انتهىٰ كَلَام المُنذريِّ[(١)].

وقوله في الحديث: «**ما أدري أَتُبَّعٌ لعينٌ هو أم لا؟ وما أدري أعزيرٌ نبيٌّ هو أم لا؟**».

قوله في الحديث: «**ما أدري أَتُبَّعٌ لعينٌ هو أم لا؟**»، هَذَا قبل أن يوحىٰ إليه شأن تُبَّع، وقَدْ روىٰ أحمد من حديث سَهْل بن سعدٍ السَّاعدي قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تسبُّوا تبَّعًا؛ فإنه كَانَ قَدْ أَسْلَمَ**»[(٢)].

وقوله في الحديث الأخير: «**أنا أَوْلَىٰ النَّاس بابن مريم، الأنبياء أَوْلاد علَّاتٍ، وليس بيني وبينه نبيٌّ**».

أولاد العَلَّات: هم الإخوة من الأب.

وقال صاحب «عون المعبود»: «فإنَّ العَلَّة الضُّرَّة، وبنو العَلَّات: أولاد الرَّجل من نسوةٍ شتَّىٰ»[(٣)]، وبالله التَّوفيق.



(١) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨٠).
(٢) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨٠).
(٣) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨١).

باب في رد الإرجاء

❐ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٦٧٦- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، قَالَ: أخبرنا سهيل ابن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون، أفضلها قول: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة العظم عن الطَّريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»[١].

٤٦٧٧- حدَّثنا أحمد بن حنبل، قَالَ: حَدَّثني يحيىٰ بن سعيد، عن شعبة، قَالَ: حَدَّثني أبو جمرة، قَالَ: سمعتُ ابْنَ عَبَّاس قَالَ: «إنَّ وفد عبد القيس لما قدموا عَلَىٰ رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله، قَالَ: «**أتدرون ما الإيمان بالله**»؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم**»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٧٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٧٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٦٧٨- حدَّثنا أحمد بن حنبل، قَالَ: حدَّثنا وكيع، قَالَ: حدَّثنا سفيان، عن أبي الزُّبير، عن جابر، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَيْنَ العَبْد وبَيْنَ الكُفْر تَرْك الصَّلاة**»[1].



الشرح

الإرجاء: هو تأخير العمل عن الإيمان، يقول: «قال في «النِّهاية»: المرجئةُ فِرْقةٌ من فرق الإسلام يعتقدون أنَّه لا يضرُّ مع الإيمان معصيةٌ، كَمَا أنَّه لا ينفع مع الكفر طاعةٌ، سُمُّوا مرجئةً لاعتقادهم أنَّ الله أرجأ تَعْذيبَهم عَلَىٰ المعاصي، أي: أخَّره عنهم، و«المرجئة» تُهمَز ولا تهمز، وكلاهما بمعنىٰ التَّأْخِير. كذا في «السراج المنير»[2].

وأقول: الله ﷻ ذكر الإيمان في كتابه في مواضعَ مُتعدِّدةٍ، وما ذكر الإيمان إلَّا وذكر معه العمل الصَّالح، إذًا، فالعملُ شرطٌ من حيث هو، وقَدْ يكون شرطَ صِحَّةٍ، وقَدْ يكون كمالًا، فمثلًا: الصَّلاة عند مَنْ يرىٰ أَنَّ تَرْكَها كفرٌ، فإقامتها أو الإتيان بها شرطٌ في صِحَّة الإيمان، أمَّا سائر الأعمال فهي عَلَىٰ مراتبَ مُتعدِّدةٍ، لكن لا يكون العبد مؤمنًا حقًّا إلَّا بوجود العمل.

فالإيمانُ لا يتمُّ إلَّا بالعمل، لذلك أَهْل العلم من أَهْل السُّنَّة والجماعة

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٧٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨٢).

يقولون: الإيمانُ تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح، وكلُّ هذِهِ الأَعْمَال (يعني: كلَّ الأعمال الَّتي هي بضعٌ وسبعون شعبةً) كلُّها داخلةٌ في مُسمَّىٰ الإيمان.

وقَدْ أورد البخاريُّ عِدَّة أبوابٍ عَلَىٰ أعمالٍ، وكُلُّها سُمِّيَتْ إيمانًا، فإماطة الأذىٰ عن الطَّرِيق من شُعَب الإيمان، وقول: لا إله إلَّا الله من شُعَب الإيمان، والصَّلاة من الإيمان.

ولهَذَا، لمَّا حُوِّلَ الصَّحابة عن بيت المقدس إلىٰ الكعبة، قَالَ أَصْحَاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنَّ النَّاس ماتوا وهم يُصلُّون إلىٰ بيت المقدس، فكيف حالهم؟ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ أي: صلاتكم إلىٰ بيت المقدس، يعني: فأنتم صَلَّيتم إلىٰ بيت المقدس بأمرٍ من الله عَزَّوَجَلَّ، وكنتم مؤمنين بذلك، وصَلَّيتم إلىٰ الكعبة بأمرٍ من الله عَزَّوَجَلَّ، فكنتم مؤمنين بذلك.

إذًا، فمَنْ قَالَ: إنَّ الإيمانَ اعتقادٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح، وإنه يزيد وينقص؛ فهو مؤمنٌ، مَنْ قَالَ هَذَا القول فهو قَدْ خرج من الإرجاء، والخُرُوج من الإرجاء هو اعتقاد وجوب العمل؛ لأنَّ العمل من أركان الإيمان، ومن شروط الإيمان الَّتي لا يتمُّ الإيمان إلَّا بها.

أمَّا المرجئة الَّذين يقولون: «لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ»، فقولهم هَذَا مردودٌ وباطل؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ ذكر عِدَّة من المعاصي، وتَوعَّد عليها بالعذاب وبالنَّار، فوعيد الله لا شكَّ أنَّه في مَحلِّهِ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تَوعَّد أصحاب الكبائر إذا ماتوا عليها بدون توبةٍ أن يصيبهم ما يصيبهم من العذاب، لكن المسلم الَّذي

يقع في الكبائر ينفعه إيمانه يومًا ما، ولكن ينفعه بعد أن يناله ما يناله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النجم:٣٢].

والله تعالىٰ يقول: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء:٣١].

وعلىٰ هذا، فإنَّ المرجئة مخطؤون في قولهم: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، وإنَّ الخوارج مخطؤون في قولهم: إنَّ أصحاب الكبائر كُفَّارٌ، وإنَّهم مُخلَّدون في النَّار، وأَهْل السُّنَّة وسطٌ بين هؤلاء وهؤلاء.

فأَهْل السُّنَّة يقولون: إنَّ أصحاب الكبائر تحت المشيئة، وهم مسلمون بإسلامهم، فُسَّاقٌ بكبائرهم، وأَهْل السُّنَّة وسط ما بين المرجئة والخوارجز

فالخوارج غَلَّبوا النُّصُوص الواردة في الوعيد.

والمرجئة غَلَّبوا النُّصوص الواردة في الوعد، وأَهْل السُّنَّة والجماعة تَوسَّطوا وقالوا الحقَّ، وأنَّ المسلم الآتي كبيرةً أو كبائر؛ مسلمٌ بإسلامه، وإسلامُهُ سينفعه يومًا من الأيَّام إذا مات عليه، ولكن لا بدَّ أن يناله.

من مَعرَّة الذُّنوب ما يناله، ولمَّا كَانَ الله عَزَّوَجَلَّ قَدْ وعد بالمغفرة لمَنْ لم يشرك بالله شيئًا، ومَنَع المغفرةَ عَمَّنْ أشرك بالله في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]، وإخباره سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ لسان عيسىٰ عَلَيۡهِ السَّلَامُ بأنَّ المشركَ مُحرَّمٌ عَلَيه دخول الجنَّة، ومُحتَّمٌ عَلَيه دخول النَّار، فمَنْ مات وعَلَيه كبائر، لكنَّه مات عَلَىٰ التَّوحيد وشيءٍ من الإيمان ولو كَانَ قليلًا، فأمره إلىٰ الله، إنْ شاء عفا عنه، وأدخله الجنَّة بدون عذابٍ، وإنْ شاء

عَذَّبه بالنَّار بقدر جنايته، ثمَّ يكون مآلُهُ إلىٰ الجنَّة.

فمَنْ وُجد فيه الإيمان ولو كَانَ بنسبةٍ قليلةٍ، وسَلِمَ من الشِّرك الأكبر الموجب للتَّخليد في النَّار؛ فإنَّه لا بدَّ أن ينفعه إيمانُهُ هَذَا يومًا ما مهما عُذِّب وطال عذابُهُ في النَّار؛ فإنَّه سيخرج منها ويدخل الجنَّة، هذِهِ عقيدة أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة، وأمَّا غَيْرهم -كَمَا قلنا- المرجئة والخوارج كانوا عَلَىٰ طَرَفي نقيضٍ، فالمرجئة غَلَّبوا الوعدَ، والخوارجُ غَلَّبوا جانبَ الوعيد.

وأَهْل السُّنَّة والجماعة وسطٌ بينهم في ذلك.

أمَّا الَّذين غلَّبوا جانب الوعيد فهم الخوارج والمعتزلة الَّذين قالوا: إنَّ أصحاب الكبائر مُخلَّدون في النَّار، لا يُخرجون منها أبدًا.

والفرق بين المعتزلة والخوارج: أنَّ الخوارج كفَّروا مرتكب الكبيرة في الدُّنيا، وحَكَموا عَلَىٰ صاحب الكبيرة بأنَّه كافرٌ.

والمعتزلة قالوا: هو في منزلةٍ بين المنزلتين في الدُّنيا (يعني: بين الإيمان والكفر).

وأمَّا في الآخرة فكلُّهم[1] مُتَّفقون عَلَىٰ أنَّه مُخلَّدٌ في النَّار، وأنَّه لا يخرج أحدٌ من أصحاب الكبائر دخل النَّار، لا يُخرج منها، وكَذَّبوا بأحاديث الشَّفاعة، فهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة.

قول النَّبيِّ ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، أفضلها قول: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطَّريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»: الشُّعب

(١) أي: الخوارج والمعتزلة.

المذكورة في الحديث وغيرها قَدْ تَقصَّاها بعض أَهْل العِلْمِ؛ منهم البيهقيُّ في «شُعَب الإيمان».

فالَّذي قَالَ: «لا إله إلَّا الله» ما حَمَله عَلَىٰ قولها؟ إنَّه الإيمان.

والَّذي أماط الأذىٰ عن الطَّريق، ما الَّذي حَمَله عَلَىٰ ذلك؟ إنَّه الإيمان.

وقوله: «**والحياء شعبةٌ من الإيمان**»؛ يعني: أنَّ الإنسان إذا استحيا من الشَّيء، فمعناه أنَّه مؤمنٌ باللَّوْم عَلَىٰ المعصية، والعقاب عليها من الله ﷻ، وكذلك الحياء من النَّاس في هَذَا الأمر.

أمَّا قوله: «**إنَّ وفد عبد القيس لمَّا قدموا عَلَىٰ رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله**»:

ثمَّ فَسَّر الإيمان بالله لمَّا قَالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: «**أَتْدَرونَ ما الإيمانُ بالله؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم. فَسَّر ذلك بـ «**شهادة أن لا إله إلَّا الله**».

إذًا شهادة أَنْ لا إله إلَّا الله هي من الإيمان، بل من أفضل أعمال الإيمان، «**وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله**»، ولا يكون الإنسان مؤمنًا ومسلمًا إلَّا بها.

وفَسَّر الإيمان أيضًا بـ«**إقام الصَّلاة**»، وفسَّر الإيمان بـ«**إيتاء الزَّكَاة**»، وفَسَّر الإيمان بـ«**صوم رمضان**»، وفَسَّر الإيمان بإعطاء «**الخمس من المغنم**»، فكلُّ هذِهِ من أعمال الإيمان.

قوله: «**بين العَبْدِ وبَين الكُفْر تَرْكُ الصَّلاة**»؛ يعني: «أنَّ الحاجز بين

الإيمان والكفر فعل الصَّلاة، لا تركها»، قاله العَزِيزِيُّ[١].

واخْتُلِفَ في تكفير تارك الصَّلاة الفرض عمدًا:

قَالَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا حَظَّ في الإسلام لِمَنْ ترك الصَّلاة».

وقال ابن مسعودٍ: «تَرْكها كفرٌ».

وقال عبد الله بن شقيق: «كَانَ أصحاب مُحمَّدٍ -عَلَيه الصَّلاة والسَّلام- لا يَرَوْن شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ غير الصَّلاة».

وقال بعض العلماء: الحديثُ محمولٌ عَلَىٰ تركها جُحودًا، أو عَلَىٰ الزَّجْر والوعيد.

«وقَدْ أَطَال الكلام في هذِهِ المسألة الإمام ابن القيم في كتاب «الصَّلاة» له، فأَطَابَ وأَحْسَنَ وأَجَادَ»[٢].

والمهمُّ: أنَّ التَّكفير بترك الصَّلاة عمدًا، هَذَا هو الأرجح في نظري للأدلَّة القائمة عَلَىٰ ذلك، وهو روايةٌ عن الإمام أحمد ومَنْ سَمَّاهم المُؤلِّف[٣].

وابْنُ القَيِّم -رحمه الله تعالىٰ- قَدْ أقام أدلَّةً كثيرةً في كتابه «الصَّلاة» عَلَىٰ أنَّ تارك الصَّلاة كافرٌ إذا تركها عمدًا، أمَّا الشَّافعي ومالك والجمهور، والرِّوَاية المشهورة عن الإمام أحمد فهم يقولون: لا يكفرُ إلَّا أن يتركها جُحُودًا، وبالله التَّوفيق.

---

(١) انظر «عون المعبود» (١٢/ ٢٨٤).

(٢) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨٤).

(٣) أي: مؤلف «عون المعبود».

باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٦٧٩- حدَّثنا مُحمَّد بن سليمان الأنباري، وعثمان بن أبي شيبة، قالا: حدَّثنا وكيع، عن سفيان عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عَبَّاس، قَالَ: لما توجَّه النَّبيُّ ﷺ إلىٰ الكعبة، قالوا: يا رسول الله، فكيف الَّذين ماتوا وهم يُصلُّون إلىٰ بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣][(١)].

٤٦٨٠- وحدَّثنا مؤمَّل بن الفضل، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد بن شعيب بن شابور، عن يحيىٰ بن الحارث، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «**مَنْ أحبَّ لله، وأَبْغضَ لله، وأَعْطَىٰ لله، ومَنَع لله، فقد اسْتَكْمَل الإيمان**»[(٢)].

٤٦٨١- حدَّثنا أحمد بن عمرو بن السَّرح، قَالَ: حدَّثنا ابن وهب، عن بكر ابن مضر، عن ابن الهاد، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر أن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

رسول الله ﷺ قَالَ: «**ما رأيت من ناقصات عقلٍ ولا دينٍ أغلب لذي لُبٍّ منكنَّ**».

قالت: وما نُقْصَان العَقْل والدِّين؟

قال: «**أمَّا نقصان العقل فشهادة امرأتين بشهادة رجلٍ، وأمَّا نقصان الدِّين، فإنَّ إحداكنَّ تفطر رمضان، وتقيم أيَّامًا لا تصلِّي**»[(١)].

٤٦٨٢- حدَّثنا أحمد بن حنبل، قَالَ: حدَّثنا يحيىٰ بن سعيد، عن مُحمَّد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمنينَ إيمانًا أَحْسَنهُمْ خُلُقًا**»[(٢)].

٤٦٨٣- حدَّثنا أحمد بن حنبل، قَالَ: حدَّثنا عبد الرَّزَّاق (ح) وحدَّثنا إبراهيم بن بشار، قَالَ: حدَّثنا سفيان، المعنىٰ قالا: حدَّثنا معمر، عن الزُّهريُّ، عن عامر بن سعد، عن أبيه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قسم بين النَّاس قَسْمًا، فقلت: أعط فلانًا فإنه مؤمنٌ، قَالَ: «**أو مسلمٌ، إنِّي لأعطي الرَّجل العطاء وغيره أحبُّ إليَّ منه مخافة أن يكبَّ عَلَىٰ وجهه**»[(٣)].

٤٦٨٤- حدَّثنا مُحمَّد بن عبيد، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد بن ثور، عن معمر، قَالَ: وأخبرني الزُّهريُّ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قَالَ: أعطىٰ النَّبيُّ ﷺ رجالًا، ولم يعط رجلًا منهم شيئًا.

فقال سعد: يا رسول الله، أعطيت فلانًا وفلانًا، ولم تُعْطِ فلانًا شيئًا وهو

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٧٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «حسن صحيح».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

مؤمن. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أو مسلم**»، حتَّىٰ أعادها سعد ثلاثًا، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**أو مسلم**».

ثمَّ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي أُعْطي رجالًا، وأَدَع مَنْ هو أحبُّ إليَّ منهم لا أُعْطيه شيئًا مخافة أن يكبوا في النَّار عَلَىٰ وُجُوههمْ**»[(١)].

٤٦٨٥- حدَّثنا مُحمَّد بن عبيد، قَالَ: حدَّثنا ابن ثور، عن معمر، قَالَ:

وقال الزُّهريُّ: «﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾، قَالَ: نرىٰ أنَّ الإِسلام الكلمة، والإِيمان العمل»[(٢)].

٤٦٨٦- حدَّثنا أبو الوليد الطَّيالسي، قَالَ: حدَّثنا شعبة، قَالَ: واقد بن عبد الله أخبرني، عن أبيه أنَّه سمع ابن عمر يحدِّث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعضٍ**»[(٣)].

٤٦٨٧- حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، قَالَ: حدَّثنا جرير، عن فضيل بن غزوان، عن نافع، عن ابن عمر قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أيما رجلٍ مُسْلمٍ أَكْفَر رجلًا مسلمًا؛ فإِن كَانَ كافرًا، وإلَّا كَانَ هو الكَافرُ**»[(٤)].

٤٦٨٨- حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قَالَ: حدَّثنا عبد الله بن نمير، قَالَ: حدَّثنا الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨٤)، وصححه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٨٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أربعٌ مَنْ كنَّ فيه فهُوَ منافقٌ خالصٌ، ومَنْ كانت فِيهِ خلةٌ منهنَّ، كَانَ فيه خلةٌ من نفاقٍ حتَّىٰ يَدَعها: إذا حَدَّث كَذَب، وإذَا وَعَد أَخْلَف، وإذا عَاهَد غَدَر، وإذا خَاصَم فَجَر**»(١).

٤٦٨٩- حدَّثنا أبو صالح الأنطاكي، قَالَ: حدَّثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**لا يَزْني الزَّاني حين يَزْني وهُوَ مؤمنٌ، ولا يَسْرق حين يَسْرق وهُوَ مؤمنٌ، ولا يَشْرب الخَمْرَ حين يَشْربها وهو مؤمنٌ، والتَّوبة مَعْروضةٌ بَعْد**»(٢).

٤٦٩٠- حدَّثنا إسحاق بن سويد الرَّملي، قَالَ: حدَّثنا ابن أبي مريم، قَالَ: أخبرنا نافع (يعني: ابن يزيد)، قَالَ: حَدَّثني ابن الهاد، أنَّ سعيد بن أبي سعيد المقبري حدَّثه أنَّه سمع أبا هريرة يقول: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إذا زَنَىٰ الرَّجلُ، خَرَج منه الإيمانُ كَانَ عَلَيه كالظلَّة؛ فإذا انْقلَعَ رَجَع إليه الإيمانُ**»(٣).



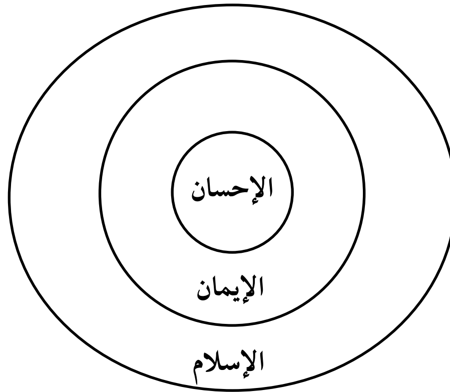
الشرح

هذِهِ الأَعْمَال الَّتي ذُكر فيها الوعيد عَلَىٰ فِعْلِها، واقترنت في بعضها بنفي الإيمان عن صاحبها، المقصود منها نفي كمال الإيمان وإثبات نقصانه، وأنَّه قَدْ يصل بالنُّقْصان إلىٰ نسبةٍ قليلةٍ لا يصحُّ أن يُطلق معها الإيمان، بل يُقَال:

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

إنَّه مسلمٌ، وقَدْ عَابَ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ الأعراب حين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، ولم يكن عندهم إيمانٌ يصحُّ إطلاقه عَلَىٰ صاحبه بِهَذَا الاسم.

فعندنا ثلاث دوائر، دائرة صغيرة في الوسط، ثم دائرة من بعدها أوسع منها، ثم دائرة كبيرة بعدها؛ هكذا:



هذِهِ الدَّائرة الصَّغيرة الَّتي في الوسط هذِهِ دائرة الإحسان، وهو أعلىٰ ذروة، وهو : «**أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك**»[1]، والدَّائرة الَّتي بعدها دائرة الإيمان.

ثم الدَّائرة الكبيرة الَّتي شملت الدَّائرتين وهي دائرة الإسلام.

فمَنْ خَرَج من دائرة الإيمان بَقِيَ في دائرة الإسلام حتَّىٰ يُلِمَّ بشيءٍ من الأشياء المُكفِّرة الَّتي تُوجِب كُفْرَه وجحوده، فحينئذٍ يكون قَدْ خَرَج من الإسلام بالكُليَّة، أمَّا مادام لم يخرج من الإسلام بجَحْد بعض الأعمال، أو بجَحْد بعض

(١) كما في حديث جبريل الذي أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الفرائض؛ فإنَّه يبقىٰ في دائرة الإسلام، متىٰ ما أَلَمَّ بشيءٍ من الكبائر مُتعمِّدًا لها، مقيمًا عليها؛ وإنَّه يكون قَدْ خَرَج من دائرة الإيمان إلىٰ دائرة الإسلام.

فإذا حقَّق العبدُ أعمالَ الإسلام الموجبة للإيمان عند ذلك دخل في دائرة الإيمان، الَّذي هو التَّصديق المصحوب بالعمل، ولهَذَا جَاءَ في الحديث: «**لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمنٌ**»[١].

لكن لا يجوز لنا أن نقول بأنَّ الزَّاني، والسَّارق، وشارب الخمر كفَّارٌ؛ لأنَّه عندما أُتي بذلك الرَّجل وهو مخمورٌ (سكران) إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال رجلٌ من القوم: «لعنه الله، ما أكثر ما يُؤتَىٰ به في الخمر!».

فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تكونوا عَوْنًا للشَّيطان عَلَىٰ أخيكم**»، وقال: «**ما علمتُهُ إلَّا يحبُّ الله ورسوله**»[٢].

فدلَّ هَذَا عَلَىٰ أنَّ مَنْ ألمَّ بشيءٍ من هذِهِ القاذورات من زنًا، وسرقة، وشرب خمر، والكبائر الأخرىٰ، فإنَّه حينئذٍ يكون قَدْ خرج من دائرة الإيمان إلىٰ دائرة الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرج البخاري (٦٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُتي برجل قد شرب، قَالَ: «**اضربوه**». قال أبو هريرة: فمنَّا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلمَّا انصرف، قال بعض القوم: أخزاك الله. قَالَ: «**لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان**».
وأخرج البخاري أيضًا (٦٧٨٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ رجلًا علىٰ عهد النبي ﷺ كَانَ اسمه عبد الله، وكان يُلقب حمارًا، وكان يُضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جَلَده في الشراب، فأُتي به يومًا فأُمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يُؤتىٰ به! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه؛ فوالله ما علمتُ إلَّا أنَّه يحبُّ الله ورسوله**».

وإذا تَوغَّل في الإسلام، وعمل أكثر من العمل الَّذي يُهيِّئه للإيمان الكامل، عند ذلك يصير مؤمنًا، لكن أَهْل السُّنَّة والجماعة يقولون: إنَّه لا ينبغي للعبد أن يقول: أنا مؤمنٌ، فيَقْطَع بإيمانه، بل يقول: أنا مؤمنٌ إنْ شاء الله.

وخالف في ذلك أبو حنيفة، وقال: إنَّ الاستثناء موجبٌ للشَّكِّ، ولكن قول غيره من الأئمَّة هو الأَوْلَىٰ بالدَّليل.

والله سمَّىٰ الصَّلاة إيمانًا حين قَالَ الصَّحَابة: يا رَسُولَ الله، فكيف الَّذين ماتوا وهم يُصلُّون إلىٰ بيت المقدس؟! فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٤٣][1].

ثمَّ أورد حديث أبي أُمَامَة عن رسول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «**مَنْ أحبَّ لله، وأبغض لله، وأَعْطَىٰ لله، ومنع لله، فَقَدِ استكمل الإيمانَ**».

أقول: كمال الإيمان أن تبذل لله، وأن تمنع لله، وأن تحبَّ لله، وأن تبغض لله، وأن توالي لله، وتعادي لله، هَذَا هو كمال الإيمان، وهكذا حديث: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»، وسائر الأحاديث الَّتي وردت في زيادة الإيمان ونقصانه، ولا نُطِيل بالكلام عليها مُفصَّلًا، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرج البخاري (٤٤٨٦) عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وكان الذي مات علىٰ القبلة قبل أن تُحَوَّل قِبل البيت رجال قُتِلوا، لم نَدْر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣]».

باب في القدر

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٦٩١- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا عبد العزيز بن أبي حازم، قَالَ: حَدَّثني بِمِنىٰ عن أبيه، عن ابن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**القدريَّة مجوس هذِهِ الأُمَّة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(١).

٤٦٩٢- حدَّثنا مُحمَّد بن أبي كثير، قَالَ: أخبرنا سفيان، عن عمر بن مُحمَّد، عن عمر مولىٰ غفرة، عن رجل من الأنصار، عن حذيفة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لكلِّ أمةٍ مَجُوسٌ، ومَجُوس هذِهِ الأُمَّة الَّذين يَقُولُون: لا قَدَر، مَنْ مَاتَ منهم فلا تَشْهدوا جِنَازَته، ومَنْ مَرِضَ مِنْهم فلا تَعُودُوهمْ، وهم شيعة الدَّجَّال، وحقٌّ عَلَىٰ الله أن يُلْحقهم بالدَّجَّال**»(٢).

٤٦٩٣- حدَّثنا مسدد، أن يزيد بن زريع ويحيىٰ بن سعيد حدَّثاهم، قالا: حدَّثنا عوف، قَالَ: حدَّثنا قسامة بن زهير، قَالَ: حدَّثنا أبو موسىٰ الأشعري،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف بزيادة: «**وهم شيعة الدجال...**» حسن بدوها».

قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله خَلَق آدمَ من قبضةٍ قبضها من جميع الأَرْض، فجَاءَ بنو آدمَ عَلَىٰ قَدْر الأَرْض: جَاءَ منهم الأحمرُ، والأبيضُ، والأسودُ، وبَيْن ذلك، والسَّهلُ، والحَزَنُ، والخبيثُ، والطَّيِّبُ**». زاد في حديث يحيىٰ: «**وبَيْن ذَلِكَ**»، والإِخبارُ في حديث يَزيدَ[1].

٤٦٩٤- حدَّثنا مسدد بن مسرهد، قَالَ: حدَّثنا المعتمر، قَالَ: سمعت منصور بن المعتمر يحدِّث، عن سعد بن عبيدة، عن عبد الله بن حبيب أبي عبد الرَّحمن السُّلمي، عن عليٍّ، قَالَ: كنا في جنازة فيها رسول الله ﷺ ببقيع الغرقد، فجاء رسول الله ﷺ، فجلس ومعه مخصرةٌ، فجعل ينكت بالمخصرة في الأرض، ثمَّ رفع رأسه، فقال: «**ما منكم من أحدٍ، ما من نفسٍ منفوسةٍ إلَّا قَدْ كَتبَ الله مَكَانها من النَّار أو من الجنَّة، إلَّا قَدْ كتبت شقيَّةً أو سعيدةً**».

قال: فقال رجلٌ من القوم: يا نبيَّ الله، أفلا نمكث عَلَىٰ كتابنا وندع العمل، فمن كَانَ من أَهْل السَّعادة ليكوننَّ إلىٰ السَّعادة، ومَنْ كَانَ منَّا من أَهْل الشِّقوة ليكوننَّ إلىٰ الشِّقوة؟

فقال: «**اعملوا، فكلٌّ ميسَّرٌ؛ أمَّا أَهْل السَّعادة فيُيسَّرون للسَّعادة، وأمَّا أَهْل الشِّقوة فيُيسَّرون للشِّقوة**».

ثمَّ قَالَ نبيُّ الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٦٩٥- حدَّثنا عبيد الله بن معاذ، قَالَ: حَدَّثني أبي، قَالَ: حدَّثنا كهمس، عن ابن بريدة، عن يحيىٰ بن يعمر، قَالَ: كَانَ أَوَّل مَنْ قَالَ فِي القَدَر بالبَصْرة: معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرَّحمن الحميري حاجَّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء فِي القدر، فوفق الله تعالىٰ لنا عبد الله بن عمر داخلًا فِي المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيَكِلُ الكلام إليَّ.

فقلت: أبا عبد الرَّحمن، إنَّه قَدْ ظهر قبلنا ناسٌ يَقْرؤون القرآن، ويَتقفَّرون العِلْمَ، يَزْعمون ألَّا قدر، والأمر أُنفٌ، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وهم براءٌ منِّي، والَّذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أنَّ لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبًا فأنفقه ما قبله الله منه حتَّىٰ يؤمن بالقدر.

ثمَّ قَالَ: حَدَّثني عمر بن الخطاب، قَالَ: بينا نحن عند رسول الله ﷺ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثِّياب، شديد سواد الشَّعر، لا يرىٰ عَلَيه أثر السَّفر، ولا نعرفه، حتَّىٰ جلس إلىٰ رسول الله ﷺ، فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفَّيه عَلَىٰ فخذيه، فقال: يا مُحمَّد، أخبرني عن الإِسلام.

قال رسول الله ﷺ: «**الإِسلام أن تشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت إن اسْتَطعْتَ إليه سبيلًا**».

قال: صدقت.

قال: فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه!

قال: فأخبرني عن الإِيمان.

قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورسلِهِ، واليوم الآخر، وتُؤْمن بالقَدَر خَيْره وشرِّه**».

قال: صدقتَ.

قال: فأَخْبرني عن الإِحسان.

قال: «**أن تعبد الله كأنَّك تراه؛ فإِنْ لم تكن تراه فإِنَّه يراك**».

قال: فأخبرني عن السَّاعة؟

قال: «**ما المسؤول عنها بأَعْلَمَ من السَّائل**».

قال: فأَخْبرني عن أَمَارتها.

قال: «**أَنْ تلدَ الأَمَةُ ربَّتها، وأَنْ ترىٰ الحُفَاة العُرَاة العالة رعاء الشَّاء يَتطَاولون في البنيان**».

قال: ثمَّ انطلق، فلبثت ثلاثًا.

ثمَّ قَالَ: «**يا عمر، هل تدري من السَّائل؟**».

قلت: اللهُ ورسولُهُ أعلم.

قال: «**فإِنَّه جبريل، أتاكم يُعلِّمكم دينكم**»(١).

٤٦٩٦- حدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا يحيىٰ، عن عثمان بن غياث، قَالَ: حَدَّثني عبد الله بن بريدة، عن يحيىٰ بن يعمر وحميد بن عبد الرَّحمن، قالا:

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

لقينا عبد الله بن عمر، فذكرنا له القدر، وما يقولون فيه، فذكر نحوه، زاد قَالَ: وسأله رجلٌ من مزينة أو جهينة، فقال: يا رسول الله، فيم نعمل؟ أَفِي شيءٍ قَدْ خَلَا أو أَمْضَىٰ، أو في شيءٍ يستأنف الآن؟

قال: «**في شيءٍ قَدْ خَلَا ومَضَىٰ**». فقال الرَّجل أو بَعْض القوم: فَفِيمَ العَمَل؟

قال: «**إنَّ أَهْلَ الجنَّة مُيسَّرون لعمل أَهْل الجنَّة، وإنَّ أَهْل النَّار ميسَّرون لعَمَل أَهْل النَّار**»(١).

٤٦٩٧- حدَّثنا محمود بن خالد، قَالَ: حدَّثنا الفريابي، عن سفيان قَالَ: حدَّثنا علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن ابن يعمر بهَذَا الحديث، يزيد وينقص، قَالَ: «فما الإِسلام؟

قال: إقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وحجُّ البيت، وصوم شهر رمضان، والاغتسال من الجنابة».

قال أبو داود: علقمة مرجئ(٢).

٤٦٩٨- حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، قَالَ: حدَّثنا جرير، عن أبي فروة الهمداني، عن أبي زرعة، عن عمرو بن جرير، عن أبي ذر وأبي هريرة، قالا: كَانَ رسول الله ﷺ يجلس بين ظهري أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (٢٠٢٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٧).

أيهم هو حتَّىٰ يسأل، فطلبنا إلىٰ رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلسًا يعرفه الغريب إذا أتاه، قَالَ: فبنينا له دُكَّانًا من طين، فجلس عليه، وكنا نجلس بجنبتيه، وذكر نحو هَذَا الخبر، فأقبل رجل وذكر هيئته، حتَّىٰ سلم من طرف السماط، فقال: السَّلام عليك يا مُحمَّد.

قال: فردَّ عَلَيه النَّبيُّ ﷺ(١).

٤٦٩٩- حدَّثنا مُحمَّد بن كثير، قَالَ: حدَّثنا سفيان، عن أبي سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الدَّيلمي، قَالَ: أتيت أُبيَّ بن كعب، فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدِّثني بشيء لعلَّ الله تعالىٰ أن يذهبه من قلبي. فقال: لو أنَّ الله تعالىٰ عذَّب أَهْل سَمَاواتِهِ وأَهْل أرضِهِ لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمتُهُ خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحُدٍ ذهبًا في سبيل الله تعالىٰ ما قَبِلَهُ الله تعالىٰ منك حتَّىٰ تؤمن بالقَدَر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يَكُنْ ليخطئك، وأنَّ ما أخطأك لَمْ يكن ليصيبك، ولو متَّ عَلَىٰ غير هَذَا لدخلت النَّار.

قال: ثمَّ أتيت عبد الله بن مسعود، فقال مثل ذلك.

قال: ثمَّ أتيت حذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك.

قال: ثمَّ أتيت زيد بن ثابت، فحدَّثني عن النَّبيِّ ﷺ مثل ذلك(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

٤٧٠٠- وحدَّثنا جعفر بن مسافر الهذلي، قَالَ: حدَّثنا يحيىٰ بن حسان، قَالَ: حدَّثنا الوليد بن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، قَالَ: قَالَ عُبَادة بن الصَّامت لابنِهِ: يا بنيَّ، إنَّك لن تجد طعْم حقيقةَ الإيمان حتَّىٰ تعلم أَنَّ ما أَصَابك لَمْ يكنْ ليُخْطئك، وما أَخْطَأك لم يكن ليُصيبك، سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ أول ما خَلَق اللهُ تَعَالىٰ: القلم.**

فقَالَ لَه: اكْتُبْ، فقَالَ: ربِّ، ومَاذَا أَكْتب؟

قَالَ: اكْتُبْ مَقَادير كلِّ شيء حتَّىٰ تقوم السَّاعة».

يا بنيَّ، إنِّي سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**من مات عَلَىٰ غير هَذَا فليس منِّي**»[١].

٤٧٠١- وحدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا سفيان (ح)، وقال: حدَّثنا أحمد بن صالح، المعنىٰ، قَالَ: حدَّثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار سمع طاوسًا، يقول: سمعت أبا هريرة يخبر عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**احتجَّ آدم وموسىٰ، فقال موسىٰ: يا آدم، أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنَّة.**

فقال آدم: أنت موسىٰ، اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك التَّوراة بيده، تلومني عَلَىٰ أمرٍ قَدَّره عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنةً؟ فحجَّ آدمُ موسىٰ».

قال أحمد بن صالح: عن عمرو عن طاوس سمع أبا هريرة[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٨٤).

٤٧٠٢- حدَّثنا أحمد بن صالح قَالَ: حدَّثنا ابن وهب، قَالَ: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ موسىٰ قَالَ: يا ربِّ، أرنا آدم الَّذي أَخْرَجنا ونَفْسَه من الجنَّة، فأَرَاه الله آدم، فقَالَ: أَنْتَ أبونا آدَم؟**

فقَالَ لَه آدم: نَعَمْ.

قال: أَنْتَ الَّذي نَفَخ الله فيك من رُوحِهِ، وعَلَّمك الأسماءَ كُلَّها، وأمر المَلَائكةَ فسَجَدوا لك؟

فقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فما حَمَلك عَلَىٰ أَنْ أَخْرَجتنا ونَفْسَكَ من الجنَّة؟

قَالَ له آدَمُ: ومَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: أَنَا مُوسَىٰ.

قَالَ: أَنْتَ نبيُّ بني إِسْرَائيل الَّذي كلَّمك الله من وَرَاء الحِجَابِ، لَمْ يَجْعل بَيْنك وبَيْنَهُ رَسُولًا من خَلْقِهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَفَما وجدتَ أَنَّ ذلك كَانَ في كتاب الله قبل أن أُخْلَق؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فِيمَ تَلُومُني في شيءٍ سَبَق من الله تَعَالىٰ فيه القَضَاءُ قَبْلي؟».

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عند ذلك: «**فحجَّ آدمُ موسىٰ، فحجَّ آدم موسىٰ عليهما السلام**»(١).

٤٧٠٣- حدَّثنا عبد الله القعنبي، عن مالك، عن زيد بن أبي أنيسة، أن عبد الحميد بن عبد الرَّحمن بن زيد أخبره، عن مسلم بن يسار الجهني، أن عمر بن الخطاب سئل عن هذِهِ الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٢].

قال: قرأ القعنبيُّ الآية، فقال عمر رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ سئل عنها.

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله خَلَق آدم، ثمَّ مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنَّة، وبعمل أَهْل الجنَّة يعملون، ثمَّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرِّيَّةً، فقال: خلقت هؤلاء للنَّار، وبعمل أَهْل النَّار يعملون**».

فقال رجلٌ: يا رسول الله، فَفِيمَ العَمَل؟

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالىٰ إذا خلق العبد للجنَّة استعمله بعمل أَهْل الجنَّة حتَّىٰ يموت عَلَىٰ عملٍ من أعمال أَهْل الجنَّة، فيدخله به الجنَّة، وإذا خلق العبد للنَّار، استعمله بعمل أَهْل النَّار حتَّىٰ يموت عَلَىٰ عملٍ من أعمال أَهْل النَّار، فيدخله به النَّار**»(٢).

٤٧٠٤- حدَّثنا مُحمَّد بن المُصفَّىٰ، قَالَ: حدَّثنا بقيَّة، قَالَ: حَدَّثني عمر بن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٢)، وحسَّنه الألبانيُّ رحمه الله.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٣)، وصححه الألبانيُّ رحمه الله.

جعثم القرشي، قَالَ: حدَّثني زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الحميد بن عبد الرَّحمن، عن مسلم بن يسار، عن نعيم بن ربيعة، قَالَ: كنت عند عمر بن الخطاب بِهَذَا الحديث، وحديث مالك أتمُّ.

٤٧٠٥- حدَّثنا القعنبي، قَالَ: حدَّثنا المعتمر، عن أبيه، عن رقبة بن مصقلة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيِّ بن كعب، قَالَ:

قال رسول الله ﷺ: «**الغلام الَّذي قتله الخضر طُبِعَ كافرًا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا**»(١).

٤٧٠٦- حدَّثنا محمود بن خالد، قَالَ: حدَّثنا الفريابي، عن إسرائيل، قَالَ: حدَّثنا أبو إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قَالَ: حدَّثنا أبيُّ بن كعب، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله: «﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف:٨٠]: «**وكان طُبِعَ يوم طُبِعَ كافرًا**»(٢).

٤٧٠٧- حدَّثنا مُحمَّد بن مِهران الرَّازي، قَالَ: حدَّثنا سفيان بن عُيينة، عن عمرو، عن سعيد بن جبير، قَالَ: قَالَ ابْنُ عبَّاس: حدَّثني أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «**أَبْصَر الخَضِرُ غُلامًا يَلعبُ مَع الصِّبيان، فتنَاوَل رأَسَه فقلَعه، فقَالَ مُوسَىٰ:** ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف:٧٤]» الآية(٣).

٤٧٠٨- حدَّثنا حفص بن عمر النَّمري، قَالَ: حدَّثنا شعبة (ح)، وحدَّثنا مُحمَّد

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٠٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ابن كثير، قَالَ: أخبرنا سفيان، المعنىٰ واحدٌ، والإخبار في حديث سفيان، عن الأعمش، قَالَ: حدَّثنا زيد بن وهب، حدَّثنا عبد الله بن مسعود، قَالَ: حدَّثنا رسول الله ﷺ وهو الصَّادق المصدوق: «**أنَّ خلق أحدكم يجمع في بطن أمِّه أربعين يومًا، ثمَّ يكون علقةً مثل ذلك، ثمَّ يكون مضغةً مثل ذلك، ثمَّ يبعث الله إليه ملكًا، ويؤمر بأربع كلماتٍ: فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، ثمَّ يكتب شقيٌّ أو سعيدٌ، ثمَّ ينفخ فيه الرُّوح، فإن أحدكم ليعمل بعمل أَهْل الجنَّة حتَّىٰ ما يكون بينه وبينها إلَّا ذراعٌ، أو قيدُ ذراعٍ، فيسبق عَلَيه الكتاب، فيعمل بعمل أَهْل النَّار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أَهْل النَّار حتَّىٰ ما يكون بينه وبينها إلَّا ذراعٌ، أو قيد ذراع، فيسبق عَلَيه الكتاب، فيعمل بعمل أَهْل الجنَّة، فيدخلها**»[1].

٤٧٠٩- حدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد بن زيد، عن يزيد الرَّشك، قَالَ: حدَّثنا مطرف، عن عمران بن حصين، قَالَ: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أَعُلِمَ أَهْل الجنَّة من أَهْل النَّار؟

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: فَفِيمَ يَعْمل العاملون؟

قَالَ: «**كلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له**»[2].

٤٧١٠- حدَّثنا أحمد بن حنبل، قَالَ: حدَّثنا عبد الله بن يزيد المقري أبو

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

عبد الرَّحمن قَالَ: حدَّثني سعيد بن أبي أيوب، قَالَ: حَدَّثني عطاء بن دينار، عن حكيم بن شريك الهذلي، عن يحيىٰ بن ميمون الحضرمي، عن ربيعة الجرشي، عن أبي هريرة، عن عمر بن الخَطَّاب، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**لا تُجَالسوا أَهْل القَدَر، ولا تُفَاتحوهم**»(١).



الشرح

في هذِهِ الأَحَاديث إثبات العَمَل؛ لأنَّه من الإيمان.

أورد فيه: «**القَدَريَّة مجوس هذِهِ الأُمَّة**».

والسَّنَد سندٌ صحيحٌ، «موسىٰ بن إسماعيل»، هو التَّبوذكي من رجال الصَّحيحين، «عبد العزيز بن أبي حازم»، هو من رجال الصَّحيحين، أو أحدهما، «عن أبيه» أبو حازم سلمة بن دينار، عن ابن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «**القَدَريَّة مجوس هذِهِ الأُمَّة** -أو: الَّذين يقولون: لا قَدَر- **إِنْ مرضوا فلا تَعُودُوهمْ، وإِنْ ماتوا فلا تَشْهَدوهم**».

ثمَّ أَوْرَدَ للحديث سندًا آخر من طريق «مُحمَّد بن أبي كثير، أخبرنا سفيان عن عمر» ابن مُحمَّد «مولىٰ غفرة، عن رجلٍ من الأنصار».

لكن يقول: «قال المنذريُّ (يعني: في السَّنَد الأَوَّل): هَذَا منقطعٌ، أبو

(١) أخرجه أبو داود (٤٧١٠)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

حازم سلمة بن دينار لَمْ يسمع من ابن عمر، وقَدْ روي هَذَا الحديث من طُرُقٍ عن ابن عمر، ليس منها شيءٌ يثبت». انتهىٰ.

وقال السُّيوطيُّ في «مرقاة الصعود»: «هَذَا أَحَد الأَحَاديث الَّتي انْتقدَها الحافظ سراج الدِّين القزويني عَلَىٰ «المَصَابيح»، وزَعَم أنَّه موضوعٌ».

وقال الحافظ ابن حجر فيما تَعقَّبه عليه: «هَذَا الحديث حَسَّنه التِّرمذيُّ، وصَحَّحَه الحاكم، ورجالُهُ من رجال الصَّحيح إلَّا أنَّ له عِلَّتين:

الأولىٰ: الاختلاف في بَعْض رُوَاتِهِ عن عبد العزيز بن أبي حازمٍ، وهو زكريا بن منظور، فرَوَاه عن عبد العزيز بن أبي حازم، فقال: عن نافع، عن ابن عمر.

والأخرىٰ: ما ذَكَره المنذريُّ وغيره من أنَّ سَنَده منقطعٌ؛ لأنَّ أبا حاتمٍ لَمْ يسمع من ابن عمر.

فالجواب عن الثَّانية: أنَّ أبا الحسن بن القطان القابسي الحافظ صَحَّحَ سنده، فَقَال: إنَّ أبا حازم عاصر ابن عمر، فكَانَ معه بالمدينة، ومسلمٌ يَكْتفي في الاتِّصال بالمُعَاصرة، فهو صحيحٌ عَلَىٰ شرطِهِ.

وعن الأولىٰ: بأنَّ زكريا وُصِفَ بالوهم، فلعلَّه وَهِمَ، فأبدل راويًا بآخر، وعَلَىٰ تقدير ألَّا يكون وَهِمَ، فيكون لعبد العزيز فيه شيخان»[1].

المهمُّ: أنَّ هَذَا الحديث فيه ما فيه، وإِنْ صَحَّحه بَعْضُهم.

---

(١) «عون المعبود» (١٢/ ٢٩٦).

ثمَّ أورد الأحاديث تِبَاعًا.

ثمَّ أورد حديثًا عن عبد الله بن حبيب بن أبي عبد الرَّحمن السُّلمي عن عليٍّ، قَالَ: كُنَّا في جنازةٍ فيها رسول الله ﷺ ببقيع الغرقد، فجَاءَ رسول الله ﷺ، فجَلَس ومعه مخصرةٌ، فجعل ينكت بالمخصرة في الأرض، ثمَّ رفع رأسه، فقال: «**ما منكم من أحدٍ** - أو: ما من نَفْسٍ منفوسةٍ- **إلَّا قَدْ كتب مَكَانها من النَّار أو من الجنَّة، إلَّا قَدْ كتبت شقيَّةً أو سعيدةً**».

وأقول: وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ سابق القَدَر، ويدلُّ عَلَيه قَوْل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

ويدلُّ عَلَيه قول الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد:٢٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [الحج:٧٠].

وقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن:١١]، إلىٰ غير ذلك من الآيات الدَّالَّة عَلَىٰ أنَّ القَدَر واقعٌ، وأنَّ الإيمان به واجبٌ، وبالله التوفيق.



باب في ذراري المشركين

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٧١١- حدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنَّ النَّبيَّ ﷺ سئل عن أولاد المشركين، قَالَ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[1].

٤٧١٢- وحدَّثنا عبد الوَهَّاب بن نجدة، قَالَ: حدَّثنا بقيَّة (ح)، وحدَّثنا موسىٰ بن مروان الرَّقِّي، وكثير بن عبيد المَذْحَجِيُّ، قالا: حدَّثنا مُحمَّد بن حرب، المعنىٰ عن مُحمَّد بن زيادٍ، عن عبد الله بن أبي قيس، عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله، ذراريُّ المؤمنين؟

فقال: «**هم من آبائهم**».

فقلت: يا رسول الله، بلا عملٍ؟!

قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧١١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قلت: يا رسول الله، فذراريُّ المشركين؟

قال: «**من آبائهم**».

قلت: بلا عملٍ؟!

قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(١).

٤٧١٣- حدَّثنا مُحمَّد بن كثير، قَالَ: أخبرنا سفيان، عن طلحة بن يحيىٰ، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أمِّ المؤمنين قالت: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بصبيٍّ من الأنصار يُصَلِّي عليه.

قالت: قلت: يا رسول الله ﷺ، طوبىٰ لهَذَا لم يعمل شرًّا، ولم يَدْرِ به.

فقال: «**أو غير ذلك يا عائشة، إنَّ الله خلق الجنَّة، وخلق لها أهلًا، وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النَّار، وخلق لها أهلًا، وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم**»(٢).

٤٧١٤- حدَّثنا القعنبي، عن مالك، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يُولَد عَلَىٰ الفطرة، فأَبَواه يُهوِّدانه ويُنصِّرانه كَمَا تَناتج الإبل من بهيمةٍ جَمْعاء، هَلْ تحسُّ من جَدْعاء؟**».

قالوا: يا رسول الله، أفرأيت مَنْ يموت وهو صغير؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧١٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح الإسناد».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧١٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[١].

٤٧١٥- قَالَ أبو داود: قُرِئَ عَلَىٰ الحارث بن مسكين وأنا شاهدٌ: قَالَ: أَخْبَرَك يُوسُف بن عمرو، قَالَ: أَخْبَرنا ابن وهب، قَالَ: سَمعتُ مالكًا قيل له: إنَّ أَهْلَ الأَهْوَاء يَحْتجُّونَ عَلَينا بهَذَا الحديث. قَالَ مالكٌ: احتجَّ عليهم بآخره.

قالوا: أرأيتَ مَنْ يموت وهو صغيرٌ؟!

قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[٢].

٤٧١٦- حدَّثنا الحسن بن عليٍّ، قَالَ: حدَّثنا حجَّاج بن المنهال، قَالَ: سمعت حَمَّاد بن سلمة يُفسِّر حديث: «**كلُّ مولودٍ يولد عَلَىٰ الفطرة**».

قال: هَذَا عندنا حيث أخذ الله العهد عليهم في أصلاب آبائهم، حيث قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢][٣].

٤٧١٧- حدَّثنا إبراهيم بن موسىٰ الرَّازي، قَالَ: حدَّثنا ابن أبي زائدة قَالَ: حدثني أبي، عن عامر، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الوَائدَةُ والمَوْءودَةُ في النَّار**».

قَالَ يَحْيىٰ بن زكريا: قال أبي: فحَدَّثني أبو إسحاق أنَّ عامرًا حَدَّثه بذلك عن علقمة، عن ابن مسعود، عن النَّبيِّ ﷺ[٤].

٤٧١٨- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، عن ثابتٍ، عن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧١٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧١٥)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٧١٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».
(٤) أخرجه أبو داود (٤٧١٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أنسٍ أنَّ رجلًا قَالَ: يا رسول الله، أين أبي؟

قال: «**أبوك في النَّار**».

فلما قفَّىٰ، قَالَ: «**إنَّ أبي وأباك في النَّار**»(١).

٤٧١٩- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، عن ثابتٍ، عن أنس ابن مالكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ الشَّيطان يَجْري من ابْن آدَمَ مَجْرىٰ الدَّم**»(٢).

٤٧٢٠- حدَّثنا أحمد بن سعيد الهمداني، قَالَ: أخبرنا ابن وهب، قَالَ: أخبرني ابن لهيعة، وعمرو بن الحارث، وسعيد بن أبي أيوب، عن عطاء بن دينار، عن حكيم بن شريك الهذلي، عن يحيىٰ بن ميمون، عن ربيعة الجرشي، عن أبي هريرة، عن عمر بن الخطاب أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**لا تُجَالسوا أَهْل القَدَر، ولا تُفَاتحوهم**». الحديث(٣).



الشرح

(**باب في ذراري المشركين**)؛ أي: في حكمهم ومآلهم.

قال: حدَّثنا مسددٌ، حدَّثنا أبو عوانة، عن أبي بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ،

(١) أخرجه أبو داود (٤٧١٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧١٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٠)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

عن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سئل عن أولاد المشركين، فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»: يحمل هَذَا عَلَىٰ أَنَّه كَانَ ذلك قبل أن يعلم بمآلهم.

وفي الحديث الثَّاني قَالَ: (حدَّثنا عبد الوَهَّاب بن نجدة، حدَّثنا بقيَّة):

بَقيَّة: هو بَقيَّة بن الوليد، يقولون: كَانَ مُدلِّسًا، وكان يُدلِّس تدليس التَّسوية.

(وحدَّثنا موسىٰ بن مروان الرَّقِّي، وكثير بن عبيد المِذْحَجِيُّ، قالا: حدَّثنا مُحمَّد بن حرب، المعنىٰ عن مُحمَّد بن زيادٍ، عن عبد الله بن أبي قيسٍ، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، ذراري المؤمنين.

قال: «**هم من آبائهم**».

فقلت: يا رسول الله، بلا عملٍ؟

قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»).

وأقول: إنَّ ذراري المؤمنين تابعون لآبائهم بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١]؛ أي: ما نقصناهم.

ثمَّ أورد حديث عائشة أيضًا من طريق (عائشة بنت طلحة، عن عائشة أمِّ المؤمنين، قالت: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بصبيٍّ من الأنصار يُصَلِّي عليه، قالت: قلت: يا رسول الله، طوبىٰ لهَذَا لم يعمل شرًّا، ولم يَدْر به! فقال: «**أو غير ذلك يا عائشة، إنَّ الله خلق الجنَّة، وخلق لها أهلًا، وخلقها لهم وهم في أصلاب**

آبائهم، وخلق النَّار، وخلق لها أهلًا، وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم»)، أعوذ بالله من النَّار؛ يعني: فلا يُدرىٰ أَهَذَا الطِّفْل مِمَّنْ خلقهم الله للجنَّة أو للنَّار؟

ثمَّ أورد حديث أبي هريرة قَالَ: (قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يُولَد عَلَىٰ الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه ويُنصِّرانه**»)؛ يعني: أبواه يُعلِّمانه دينهم، إِنْ كانوا يهودًا هَوَّدوه، وإِنْ كانوا نصارىٰ نَصَّروه، وإِنْ كانوا مشركين عَلَّموه الوَثَنيَّة، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ أنَّ هذِهِ الأديان ليست من الفطرة في شيءٍ.

يقول النَّبيُّ ﷺ: («**كمَا تناتج الإبل من بهيمة جمعاء، هل تحسُّون من جدعاء**»)؛ يعني: أنَّها تُولَد عَلَىٰ خِلْقتِها كاملةً حتَّىٰ تكونوا أنتم تجدعونها، وجدع الإبل يكون بوضع علامة عليها.

(قالوا: يا رسول الله، أفرأيت مَنْ يموت وهو صغيرٌ؟ قَالَ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»).

(قال أبو داود: قرئ عَلَىٰ الحارث بن مسكين وأنا أسمع: أخبرك يوسف ابن عمرو، قَالَ: أخبرنا ابن وهبٍ، قَالَ: سمعت مالكًا قيل له: إنَّ أَهْل الأَهْوَاء يَحتجُّون علينا بهَذَا الحديث. قَالَ مالكٌ: احتجَّ عَلَيهم بآخره، قالوا: أرأيتَ مَنْ يَمُوت وهُوَ صغيرٌ. قَالَ: «**اللهُ أَعْلَم بما كَانُوا عَامِلِينَ**»).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبب اختلاف العلماء في معنىٰ الفطرة في هَذَا الحديث أنَّ القَدَريَّة كانوا يَحتجُّون به عَلَىٰ أنَّ الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله، بل مِمَّا ابتدأ النَّاس إحداثه، فحاول جماعةٌ من العلماء مخالفتهم بتأويل

الفطرة عَلَىٰ غير معنىٰ الإسلام، ولا حاجة لذلك؛ لأنَّ الآثار المنقولة عن السَّلَف تدلُّ عَلَىٰ أنَّهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلَّا الإسلام، ولا يلزم مِنْ حَمْلها عَلَىٰ ذلك موافقة مذهب القَدَريَّة؛ لأنَّ قوله: «**فأبواه يهوِّدانه...**»، إلخ؛ محمولٌ عَلَىٰ أنَّ ذلك يقع بتقدير الله تعالىٰ، ومن ثمَّ احتجَّ عليهم مالك بقوله في آخر الحديث: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[1].

فهذِهِ الأحاديث لا تَنَاقُضَ بينها، بل يُصدِّق بعضها بعضًا، «وقد اختلف العلماء في الأطفال عَلَى ثمانية أقوالٍ:

أحدها: الوقف فيهم، وترك الكلام في مُستقرِّهم، ويُوكَل علمهم إلىٰ الله تعالىٰ.

قال هؤلاء: وظواهر السُّنَن وأجوبة النَّبيِّ ﷺ في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ وأبي هريرة، «**وأقول**[2]: وحديث عائشة أيضًا يدلُّ عَلَىٰ ذلك؛ إذ وَكَل علمهم إلىٰ الله، وقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

«قالوا: وقَدْ روىٰ ابن حبان في «صحيحه» من حديث جرير بن حازم: سمعت أبا رجاء العطاردي قَالَ: سمعت ابْنَ عَبَّاسٍ يقول وهو عَلَىٰ المنبر: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّة لا يَزَالُ مُتَقَارِبًا -أَوْ قَالَ: مُواتِيًا- مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِي الْوِلْدَانِ وَالْقَدَرِ**»[3].

---

(١) «عون المعبود» (١٢/ ٣٢١).

(٢) القول لشيخنا العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) أخرجه ابن حبان (١٨٢٤)، والطبراني في «الأوسط» (٤٠٨٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (١٥١٥).

القول الثَّاني: أنَّ أطفال المشركين في النَّار، وهَذَا مذهب طائفةٍ، وحكاه القاضي أبو يعلىٰ روايةً عن أحمد.

قال شيخنا: وهو غلطٌ منه عَلَىٰ أحمد، وسبب غلطه: أنَّ أحمد سُئِلَ عنهم، فقال: «هم عَلَىٰ الحديث».

قال القاضي: أراد حديث خديجة إذ سألت النَّبيَّ ﷺ عن أولادها الَّذين ماتوا قبل الإسلام، فقال: «**إِنْ شئتِ أسمعتُكِ تضاغيهم في النَّار**»(١).

قال شيخنا: وهَذَا حديثٌ موضوعٌ، وأحمد أجلُّ من أن يَحتجَّ بمثله، وإنَّما أراد حديث عائشة: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

والقول الثَّالث: أنَّهم في الجنَّة، واحتجَّ هؤلاء بحديث سمرة الَّذي رواه البخاريُّ»(٢).اهـ.

وأقول: هَذَا القول هو الحقُّ، إلَّا أنَّهم لا يكونون في الجنَّة (يعني: الولدان كلُّهم لا يكونون في الجنَّة مثل مَنْ قدَّموا عملًا لكلِّ واحدٍ منهم جَنَّةٌ مُستقلَّةٌ، وله خَدَمٌ)، بل يكونون خَدَمًا تابعين للمؤمنين.

قال: «وَاحْتَجُّوا بقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٧٤٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الضعيفة» (٣٨٩٨): موضوع.

(٢) انظر «عون المعبود» (١٢/ ٣٢١)، والحديث عند البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في رؤيا النبي ﷺ، وفيها: «... **وأمَّا الرجل الطويل الذي في الرَّوْضة؛ فإنَّه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات علىٰ الفطرة**». قَالَ: فقال بعض المُسْلِمِينَ: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وأولاد المشركين**».

وبقوله: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الملك:٨، ٩].

فهَذَا دليلٌ عَلَىٰ أنَّ كلَّ فوجٍ يُلْقَىٰ في النَّار لا بدَّ وأن يكون قَدْ جاءهم النَّذير وكَذَّبوه، وهَذَا ممتنعٌ في حقِّ الأطفال.

وَاحْتجُّوا بقوله تعالىٰ لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨].

قالوا: فإذا امْتَلأتْ منه ومن أتباعه، لم يَبْقَ فيها موضعٌ لغيرهم.

واحْتجُّوا بقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾ [النساء:١٦٥].

قالوا: فالله تعالىٰ لا يُعذِّب أحدًا إلَّا بذنبِهِ، فالنَّار دار عدله، لا يدخلها أحدٌ إلَّا بعملٍ، وأمَّا الجنَّة فدار فضله، يدخلها بغير عملٍ، ولهَذَا ينشئ للفضل الَّذي يبقىٰ فيها أقوامًا يسكنهم إيَّاها.

وأمَّا الحديث الَّذي ورد في بعض طرق البخاريِّ: «**وأمَّا النَّار فينشئ الله لها خَلْقًا يسكنهم إيَّاها**»، فغلطٌ من الرَّاوي، انقلب عَلَيه لفظه، وإنَّما هو: «**وأمَّا الجنَّة فإنَّ الله يُنْشئ لها خَلْقًا**»، وقَدْ ذَكَره البخاريُّ[1]، وسياق الحديث يدلُّ عَلَىٰ ذلك.

قالوا: وأمَّا حديث عائشة، والأسود بن سريع، فليس فيه أنَّهم في النَّار،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٤)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وإنَّما فيه أنَّهم «من آبائهم تبعٌ لهم في الحكم»، وأنَّهم إذا أصيبوا في البيَات[١] لم يُضمنوا بِدِيةٍ ولا كَفَّارةٍ، وهَذَا ظاهرٌ في حديث الأسود.

وأمَّا حديث عائشة، فَقَدْ ضَعَّفه غير واحدٍ.

قالوا: وحديث خديجة باطلٌ، لا يصحُّ.

والقول الرَّابع: أنَّهم بين الجنَّة والنَّار؛ إذ لا معصية لهم تُوجِب دخول النَّار، ولا إسلام يُوجِب لهم دخول الجنَّة.

وهَذَا أيضًا ليس بشيءٍ، فإنَّه لا دار للقرار إلَّا الجنَّة والنَّار، وأمَّا الأعراف، فإنَّ مآل أصحابها إلىٰ الجنَّة، كَمَا قَالَه الصَّحابة.

والقول الخامس: أنَّهم تحت المشيئة، يجوز أن يُعذِّبهم أو يُنعِّمهم، أو يُعذِّب بعضًا، وهَذَا قول كثيرٍ من المُثْبِتين للقَدَر، وقول الجبريَّة ونفاة التَّعليل والحكم.

والقول السَّادس: أنَّهم ولدان أَهْل الجنَّة وخَدَمهم، وقَدْ رُوِي في ذلك حديثٌ لا يثبت.

والقول السَّابع: أنَّ حكمهم حكم الآباء في الدُّنيا والآخرة، فلا حكم لهم غير حكم آبائهم، فكَمَا هُمْ تَبَعٌ لآبائهم في الدُّنيا، كذلك هُمْ لهم تَبَعٌ في الآخرة.

والقول الثَّامن: أنَّهم يُمْتحَنون في الآخرة، فمَنْ أطاع منهم، أدخله الله الجنَّة، ومَنْ عصىٰ، عَذَّبه، وقَدْ روي في هَذَا من حديث الأسود بن سريع،

---

(١) **البيات**: هو تبييت العدو، أي: أن يُقصد العدو في الليل من غير أن يُعلم فيُؤخذ بغتة.

وأبي هريرة، وغيرهما، وهي أحاديثُ يشدُّ بعضها بعضًا.

وهَذَا أعدل الأقوال، وبه يجتمع شمل الأدلَّة، وتَتَّفق الأحاديث في هَذَا الباب[١].

وأقول: حديث الأسود بن سريع في الامتحان مع غيره من الأحاديث: أحاديثه ضعيفةٌ، لكن رُبَّما يشدُّ بعضها بعضًا، وتكون حُجَّةً في حقِّ المجانين الَّذين خلقهم الله مجانين، وعاشوا وهم مجانين، وماتوا عَلَىٰ ذلك، رُبَّما يكون حُجَّةً في ذلك، أمَّا أَهْل الفترة، فإنَّه يُخرجهم من هَذَا حديثا أبوي النَّبيِّ ﷺ.

وقول النَّبيِّ ﷺ لذلك الرَّجل: «**إنَّ أَبِي وأَبَاك في النَّار**»[٢].

وحديث أُمِّه أيضًا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ زار قبر أُمِّه، فبكىٰ وأبكىٰ مَنْ حوله، وقال: «**استأذنت ربِّي أَنْ أستغفر لأُمِّي فلم يأذن لي، واستأذنتُهُ أن أزور قبرها فأذن لي**»[٣].

فهذان الحديثان يخرجان أَهْل الفترة، ويدلَّان عَلَىٰ أنَّ كلَّ أَهْل الفترة في النَّار، وكذلك قول النَّبيِّ ﷺ في تكملة الحديث في الَّذي سأل عن أبيه، قَالَ لَهُ: «**حَيْثما مَرَرت بقَبْرِ مُشْركٍ فبَشِّرْه بالنَّار**»[٤].

وأمَّا أطفال المشركين، فالحُجَّة فيهم حديث سمرة، وأنَّ جبريل

(١) «عون المعبود» (٢٤/ ١٥٩، ١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه ابن ماجة (١٥٧٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح ابن ماجة» (١٢٧٨).

وميكائيل قالا للنَّبيِّ ﷺ في النِّهاية: «... **وأمَّا الرَّجل الطَّويل الَّذي في الرَّوضة؛ فإنَّه إبراهيم ﷺ، وأمَّا الولدان الَّذين حوله؛ فكلُّ مولودٍ مات عَلَىٰ الفطرة**»[١]؛ يعني: جميع الأطفال، هَذَا من ناحيةٍ.

ومن ناحيةٍ أخرىٰ أنَّ إدخال الأطفال الَّذين لم يعملوا ذنبًا النَّارَ، يتنافىٰ مع عدل الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنَّهم لم يعملوا عملًا يَستحقُّون به دخول النَّار، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

وأيضًا هم لم يبلغوا الحِنث[٢]، حتَّىٰ تكون لهم عقولٌ يَتفكَّرون بها، ويؤمنون بربِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر عن نفسه بعدم الظُّلْم، وقال في آياتٍ كثيرةٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء:٤٠]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الَّتي فيها نفي الظُّلْم عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهَذَا يدلُّ عَلَىٰ أنَّ أطفال المشركين لا يُعذَّبون، بل يكونون في الجنَّة خَدَمًا للمؤمنين.

هَذَا ما تَبيَّن لي بعد البحث في هذِهِ المسألة، وقَدْ أشرتُ في سؤالٍ عن هَذَا إلىٰ أنَّ البحث في ذلك طرقه ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طريق الهجرتين»، وطَرَقه

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧)، من حديث سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **بَلَغ الغلامُ الحِنْثَ** أَي: الإِدْراك والبلوغ. وقيل: إذا بَلَغَ مَبْلَغًا جَرَىٰ عليه القَلَم بالطاعة والمعصِية. يقال: بَلَغَ الغلامُ الحِنثَ أَي: المعصِيةَ والطاعةَ.
والحِنْثُ: الإثمُ. وقيل: الحِنْثُ: الحُلُم. «لسان العرب» (٩/ ١٣٦).

أيضًا بعض العلماء، ومنهم ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»، إلىٰ غير ذلك.

قال: (حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل) التَّبوذكي قَالَ: (حدَّثنا حمَّاد) يعني حَمَّاد بن سلمة (عن ثابتٍ)؛ يعني: البناني (عن أنس أنَّ رجلًا قَالَ: يا رسول الله، أين أبي؟

قال: «**أبوك في النَّار**»، فلمَّا قفَّىٰ قَالَ: «**إنَّ أبي وأباك في النَّار**».

وفي الحديث الآخر: «**إنَّ الشَّيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدَّم**»، هَذَا قاله النَّبيُّ ﷺ لعبَّاد بن بشر والرَّجل الَّذي كَانَ معه حينما مَرَّا والنَّبيُّ ﷺ واقفٌ مع صَفيَّة بنت حيي حين كَانَ النَّبيُّ ﷺ معتكفًا، وجاءت صَفيَّة تزوره، فخرج معها يُشيِّعها في الطَّريق، ووقف يُكلِّمها، فمرَّ عباد بن بشر والرَّجل الَّذي معه، فأسرعا.

وقال لهما النَّبيُّ ﷺ: «**علىٰ رسلكما، إنَّها صَفيَّة بنت حيي**».

قالا: سبحان الله يا رسول الله! يعني: أيُظنُّ بك شيئًا من الظَّنِّ السُّوء؟!

قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الشَّيْطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدَّم، وخشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا**». الحديث[1].

قوله: «**إنَّ الشَّيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدَّم**»؛ يعني: أنَّه يوسوس، وهل هذِهِ الوسوسة تضرُّ الإنسان ما لم يعمل؟

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٤)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هَذَا قَدْ ورد فيه نُزُول الآية الأخيرة من سُورَة البَقَرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة:٢٨٦]؛ يعني: أنَّ دفع الوسوسة لا طاقة للإنسان فيها، ولذلك عفا الله عنها.

أمَّا مناسبة ذكر الحديث(١) لأولاد المشركين، فهَذَا ما ظهر لي فيه شيء.

أمَّا أَهْل القَدَر، فينبغي ألَّا يُكلَّموا؛ لأنَّ أَهْل القَدَر يَحتجُّون بهذِهِ الأحاديث عَلَىٰ أنَّ الله ﷻ عدلٌ، لا يُقدِّر الشَّرَّ ويعاقب عليه، وهَذَا كذبٌ منهم، بل إنَّ الله ﷻ قَدَّر الخير والشَّرَّ، يثيب عَلَىٰ الخير، ويعاقب عَلَىٰ الشَّرِّ؛ لأنَّ الإنسان يعمل هذِهِ الأعمال باختياره، والله جعل لك خيرةً تختار بها ما تشاء، ولكن لا يمكن للإنسان أن يختار غير ما قَدَّر الله له، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أي حديث: «إنَّ الشَّيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدَّم».

باب في الجهمية

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٧٢١- حدَّثنا هارون بن معروفٍ، قَالَ: حدَّثنا سفيان، عن هشام، عن أبيه، عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يَزَال النَّاس يَتَساءلون حتَّىٰ يُقال هَذَا: خَلَق اللهُ الخَلْق، فمَنْ خَلَق اللهَ؟ فمَنْ وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنتُ بالله**»[1].

٤٧٢٢- حدَّثنا مُحمَّد بن عمرو، قَالَ: حدَّثنا سلمة (يعني: ابن الفضل)، قَالَ: حدَّثني مُحمَّد (يعني: ابن إسحاق)، قَالَ: حدَّثني عتبة بن مسلم مولىٰ بني تيم، عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن، عن أبي هريرة، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول، فذكر نحوه.

قال: «فإذا قالوا ذلك، فقولوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ثمَّ ليتفل عن يساره ثلاثًا، وليستعذ من الشَّيطان»[2].

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٢)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤٧٢٣- حدَّثنا مُحمَّد بن الصَّبَّاح البزاز، قَالَ: حدَّثنا الوليد بن أبي ثورٍ، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيسٍ، عن العَبَّاس بن عبد المُطَّلب قَالَ: كنت في البطحاء في عصابةٍ، فيهم رسول الله ﷺ، فمَرَّتْ بهم سحابةٌ، فنظر إليها، فقال: «**ما تُسمُّون هذه؟**».

قالوا: السَّحاب.

قال: «**والمُزْن**».

قالوا: والمزن.

قال: «**والعنان**».

قالوا: والعنان.

قال أبو داود: لم أتقن العنان جَيِّدًا، قَالَ: «**هل تدرون ما بُعْد ما بين السَّماء والأرض؟**».

قالوا: لا ندري.

قال: «**إنَّ بُعْد ما بينهما إمَّا واحدةٌ، أو اثنتان، أو ثلاثٌ وسبعون سنةً، ثمَّ السَّماء فوقها كذلك** -حتَّىٰ عدَّ سبع سماواتٍ- **ثمَّ فوق السَّابعة بحرٌ بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماءٍ إلىٰ سماءٍ، ثمَّ فوق ذلك ثمانية أوعالٍ بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماءٍ إلىٰ سماءٍ، ثمَّ عَلَىٰ ظهورهم العرش ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماءٍ إلىٰ سماءٍ، ثمَّ الله تعالىٰ فوق ذلك**»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٧٢٤- حدَّثنا أحمد بن أبي سريج، قَالَ: أخبرنا عبد الرَّحمن بن عبد الله ابن سعدٍ، ومُحمَّد بن سعيدٍ، قالا: أخبرنا عمرو بن أبي قيسٍ، عن سماكٍ بإِسنادِهِ ومعناه.

٤٧٢٥- حدَّثنا أحمد بن حفص، قَالَ: حَدَّثني أبي، قَالَ: حدَّثنا إبراهيم بن طهمان، عن سماك بإِسناده، ومعنىٰ هَذَا الحديث الطَّويل.

٤٧٢٦- حدَّثنا عبد الأعلىٰ بن حَمَّادٍ، ومُحمَّد بن المُثنَّىٰ، ومُحمَّد بن بشارٍ، وأحمد بن سعيد الرباطي، قالوا: حدَّثنا وهب بن جريرٍ. قَالَ أَحْمَدُ: كتبناه من نسخته، وهَذَا لفظه، قَالَ: حدَّثنا أبي، قَالَ: سمعت مُحمَّد بن إسحاق يُحدِّث عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن مُحمَّد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قَالَ: أتىٰ رسول الله ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونُهِكَتِ الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإِنَّا نستشفع بك عَلَىٰ الله، ونستشفع بالله عليك.

قال رسول الله ﷺ: «**ويحك! أتدري ما تقول؟**».

وسَبَّح رسول الله ﷺ، فما زال يُسبِّح حتَّىٰ عُرِف ذلك في وجوه أصحابه.

ثمَّ قَالَ: «**وَيْحك! إنَّه لا يُسْتَشْفع بالله عَلَىٰ أحدٍ من خَلْقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك! أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه عَلَىٰ سماواته لهكذا** -وقال بأصابعه مثل القبة عليه- **وإنَّه ليئطُّ به أطيط الرَّحْل بالرَّاكب**».

قال ابْنُ بَشَّارٍ في حديثه: «**إنَّ الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته**»، وساق الحديث.

وقال عبد الأعلىٰ، وابن المثنىٰ، وابن بشار، عن يعقوب بن عتبة، وجبير ابن مُحمَّد بن جبير، عن أبيه، عن جَدِّه.

قال أبو داود: والحديث بإِسناد أحمد بن سعيد هو الصَّحيح، وافقه عَلَيه جماعةٌ، منهم: يحيىٰ بن معين، وعلي بن المديني، ورواه جماعةٌ عن ابن إسحاق كَمَا قَالَ أَحْمَد أيضًا، وكَانَ سَمَاع عبد الأعلىٰ، وابن المُثنَّىٰ، وابن بشار من نسخةٍ واحدةٍ فيما بلغني(١).

٤٧٢٧- حدَّثنا أحمد بن حفص بن عبد الله، قَالَ: حَدَّثني أبي قَالَ: حَدَّثني إبراهيم بن طهمان، عن موسىٰ بن عقبة، عن مُحمَّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «**أُذِنَ لي أن أُحدِّث عن مَلَكٍ من ملائكة الله تعالىٰ من حَمَلة العرش، إنَّ ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه مسيرة سبعِ مئةِ عامٍ**»(٢).

٤٧٢٨- حدَّثنا عليُّ بن نصر، ومُحمَّد بن يُونُس النَّسَائي، المعنىٰ قَالَا: أخبرنا عبد الله بن يزيد المقرئ، قَالَ: حدَّثنا حَرْملة (يعني: ابن عمران)، قَالَ: حَدَّثني أبو يُونُس سليم بن جبير مولىٰ أبي هُرَيرة، قَالَ: سمعتُ أبا هُرَيرة يَقْرأ هذِهِ الآيَةَ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:٥٨]. إلىٰ قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾.

قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَضَع إِبْهامَه عَلَىٰ أُذُنه، والَّتي تليها عَلَىٰ عينِهِ.

قال أبو هُرَيرة: رأيتُ رسول الله ﷺ يَقْرؤها، ويضع إِصْبَعَيه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال ابْنُ يُونُس: قَالَ المقري: يَعْني إنَّ الله سميعٌ بصيرٌ (يعني: أنَّ لله سمعًا وبصرًا).

قال أبو داود: وهَذَا ردٌّ عَلَىٰ الجهميَّة[1].



الشرح

هذِهِ الأَحَاديثُ فيها إِثْبَاتُ عُلوِّ الله عَلَىٰ خَلْقِهِ، وإثبات كونِهِ مُسْتويًا عَلَىٰ عرشِهِ، وإِثْبَات ما لَهُ من صفات الكَمَال: صفة السَّمْع الَّذي يَسْمع به كلَّ المَسْموعات، وصِفَةِ البَصَر الَّذي يُبْصر به كلَّ المُبْصَرات، وهَذَا كلُّه مِمَّا يكفر به الجهميَّة، والعِيَاذُ بالله.

كَذَلك أيضًا مَسَافة ما بَيْنَ السَّماء الدُّنيا وبَيْنَ الأرض، وَرَدَ أنَّه مَسِيرَةُ خمس مئةِ عام، ووَرَد أنَّه مسيرةُ ثَلَاث وسبعين سَنةً، أو اثنتين وسَبْعينَ، والجَمْع بَيْنَ الاختلاف في هَذَين الحديثين أنَّ كلًّا منهما مُقدَّرٌ بسيرٍ مُسْتقلٍّ، فمثلًا تَقْدير خَمْس مئة عامٍ بسَيْر المشي للرِّجال، وتَقْدير ثلاثٍ وسَبْعينَ سنةً، أو اثْنتَيْن وسَبْعينَ بتَقْدير سير السَّيَّارة، أو بسَيْر عَدْو الفَرَس، أو ما أشبه ذلك.

كذلك أيضًا فيه[2] إِثْبَات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّها في الآخرة، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَكْشف عن وَجْهِهِ حتَّىٰ يراه المُؤْمنونَ، وهَذَا أيضًا مِمَّا تُنْكره الجهميَّة.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٨)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد».

(٢) أي: في الباب.

باب في الرؤية

❐ **قال الإمام أبو داود** رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧٢٩- حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، قَالَ: حدَّثنا جرير، ووكيع، وأبو أسامة، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن قيس بن أبي حازمٍ، عن جرير بن عبد الله قَالَ: كُنَّا مع رسول الله ﷺ جلوسًا، فنَظَر إلىٰ القَمَر لَيْلة البَدْر (ليلة أربع عَشْرة)، فَقَال: «**إنَّكم سَتَرون ربَّكم كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لا تضامُّون[1] في رؤيتِهِ، فإن**

(١) **قال العلامة النجمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تُضامُّون، إن قلنا: لا تُضامُون فهو من الضَّيم؛ أي: يُضيم بعضكم بعضًا؛ يعني: إذا دفعك عن شيء، ولم يتركك تتمكن من رؤيته، أو من الوصول إليه، فهذا يكون سببًا في وقوع الضيم بك، ويُقرأ: تضامون، ضامه يضيمه ضيمًا، وعلىٰ الوجه الثاني: لا تَضامون يعني: لا تحتاجون أن ينضم بعضكم إلىٰ بعض كرؤيتكم للشيء الخفي.

فالشيء الخفي يحتاج الناس فيه أن ينضم بعضهم إلىٰ بعض عندما يُرىٰ الهلال يأتي بعضهم يتراءىٰ، فلا يرىٰ، فيقول له الآخر: تعال ذاك الهلال.

يعني: انضممت إلىٰ أخيك الذي أراك إياه، لكن القمر ليلة البدر هل تحتاج أنَّ أحدًا يقول لك: تعالَ أُريك؟ الجواب: لا، بل تراه أنت بنفسك وأنت مستقر في مكانك، والآخر يراه وهو مستقر في مكانه، وفي أي مكانٍ من الأرض تنظر إليه، والشمس أيضًا كذلك، فمعنىٰ ذلك أن هذه الآيات من آيات الله ترون فيها هذه الآية بدون تعبٍ يحصل لكم، أو إزعاج يكون عليكم، بل ترون هذه الآيات من كل مكان، كل واحدٍ منكم مستقرٌّ في مكانه، كل أهلِ =

اسْتَطَعتُمْ أَلَّا تُغْلَبوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْل طُلُوع الشَّمْس وقبل غُرُوبها، فَافْعَلوا»، ثمَّ قَرأَ هذِهِ الآيةَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه:١٣٠][1].

٤٧٣٠- حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا سفيان، عن سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، أنَّه سمعه يُحدِّث، عن أبي هُرَيرة قَالَ: قَالَ ناسٌ: يا رَسُولَ الله، أنرىٰ ربَّنا عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ القيامة؟ قَالَ: «**هل تضارُّون في رؤية الشَّمْس في الظَّهيرة ليست في سحابةٍ؟**».

قالوا: لا.

قال: «**هل تُضارُّون في رُؤْية القَمَر لَيْلَةَ البَدْر لَيْسَ في سحابةٍ؟**».

قالوا: لا.

قال: «**والَّذي نَفْسي بيدِهِ، لا تُضارُّون في رؤيتِهِ إلَّا كَمَا تضارون في رؤية أَحَدهما**»[2].

٤٧٣١- حدَّثنا مُوسَىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد (ح)، وحدَّثنا عبيد الله

=

الأرض الذين طلعت عليهم الشمس صحوًا بدون سحاب يرونها، وكل أهل الأرض إذا طلع عليهم القمر في ليلة صاحية ليس فيها سحاب فإنَّهم يرون القمر.

فإذا كانت هذه الآيات من آيات الله لا نحتاج فيها أن ينضم بعضنا إلىٰ بعض، أو نكون في مكان مستقل حتىٰ نراها، بل كل منَّا يرىٰ القمر وهو علىٰ سريره، وهو علىٰ كرسيه، وهو علىٰ دابته أو سيارته، فالله عَزَّوَجَلَّ يراه المؤمنون عيانًا كما نرىٰ القمر ليلة البدر، ولا نحتاج فيه أن ينضمَّ بعضنا إلىٰ بعض، أو نكون في مكان مستقل.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٣٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٨٠٢٥).

ابن معاذٍ، قَالَ: حدَّثنا أبي، قَالَ: حدَّثنا شُعْبة، المعنىٰ عن يعلىٰ بن عطاءٍ، عن وكيعٍ، (قَالَ موسىٰ: ابن عُدُس)، عن أبي رزين، (قَالَ موسىٰ: العقيلي)، قَالَ: قلت: يا رسول الله، أَكلُّنا يرىٰ ربَّه؟

قال ابن معاذٍ: مُخْليًا به يوم القيامة، وما آية ذلك في خَلْقه؟

قال: يا أبا رزين، أليس كُلُّكم يرىٰ القمر؟

قال ابن معاذٍ: ليلة البدر مُخْليًا به.

ثمَّ اتَّفقا، قلت: بلىٰ.

قال: فالله أعظم.

قال ابن معاذٍ: قَالَ: فإِنَّما هو خَلْقٌ من خَلْق الله، فالله أجلُّ وأعظم(١).



الشرح

هَذَا الباب واضحٌ، وفيه إثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، وأنَّها رؤية تَلذُّذ وتَنعُّم، وأنَّ الله يحاضر كلَّ واحدٍ من أَهْل الجنَّة، يتكلَّم معه ويُذكِّره: أتذكرُ يوم كذا حين فعلتَ كذا، يُذكِّره بمعاصيه من أجل أن تعظم نعمة الله في نفسه، وفي عينه، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣١)، وحسنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

باب في الرد عَلَى الجهمية

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٧٣٢- حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، ومُحمَّد بن العلاء، أنَّ أبا أسامة أخبرهم عن عمر بن حمزة قَالَ: قَالَ سالم: أَخْبَرَني عَبْد الله بن عُمَر، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يطوي اللهُ تَعَالىٰ السَّماوات يَوْمَ القِيَامَة، ثمَّ يأخذهنَّ بيدِهِ اليُمْنىٰ، ثمَّ يقول: أنا الملكُ، أين الجَبَّارون؟ أين المُتكبِّرون؟**

ثمَّ يطوي الأرضين، ثمَّ يأخذهنَّ». قَالَ ابن العلاء: بيدِهِ الأخرىٰ.

ثمَّ يقول: أنا الملك، أين الجَبَّارون؟ أين المُتكبِّرون؟»[1].

٤٧٣٣- حدَّثنا القعنبيُّ، عن مالكٍ، عن ابْنِ شهابٍ، عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن، وعن أبي عبد الله الأغرِّ، عن أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**ينزل ربُّنا عَزَّوَجَلَّ كلَّ ليلةٍ إلىٰ سماء الدُّنيا حين يبقىٰ ثُلُث اللَّيل الآخر، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له؟ مَنْ يسألني فأعطيه؟ مَنْ يستغفرني فأغفر له؟**»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشرح

الحديث الأَوَّل فيه ردٌّ عَلَىٰ الجهميَّة، وأنَّ الله يطوي السَّماوات بيدِهِ اليمنىٰ، ويطوي الأرضين بيدِهِ الأخرىٰ، ثمَّ يهزهنَّ، ويقول: «**أين الجَبَّارون؟ أين المُتكبِّرون، لمَنِ المُلْك اليوم؟ فلا يجيبه أحدٌ، فيقول: لله الواحد القَهَّار**».

كذلك نزوله تعالىٰ في الثُّلُث الأخير من اللَّيل أيضًا، هَذَا كلُّه ثابتٌ، والجهميَّة تُعطِّل الله عن صفاته، وحديث: «**ينزل ربُّنا إلىٰ السَّماء الدُّنيا**» دليلٌ عَلَىٰ عُلوِّ الله تعالىٰ؛ لأنَّ كلمة النُّزُول لا تكون إلَّا من أعلىٰ إلىٰ أسفل، كَمَا أنَّ كلمة الصُّعُود والرَّفْع تكون من أسفل إلىٰ أعلىٰ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وبالله التَّوفيق.



باب في القرآن

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٧٣٤- حدَّثنا مُحمَّد بن كثيرٍ، قَالَ: أخبرنا إسرائيل، قَالَ: حدَّثنا عثمان ابن المغيرة، عن سالم، عن جابر بن عبد الله، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يعرض نفسه عَلَىٰ النَّاس في الموقف، فقال: «**أَلَا رجلٌ يحملني إلىٰ قومه، فإنَّ قريشًا قَدْ مَنَعوني أن أبلغَ كَلَام ربِّي**»(١).

٤٧٣٥- حدَّثنا سليمان بن داود المَهْري(٢)، قَالَ: أخبرنا عبد الله بن وهب، قَالَ: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهابٍ، قَالَ: أخبرني عروة بن الزُّبير وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقَّاص، وعبيد الله بن عبد الله، عن حديث عائشة، وكلٌّ حَدَّثني طائفة من الحديث، قالت: ولشأني في نفسي كَانَ أحقر من أن يَتكَلَّم الله فيَّ بأمرٍ يُتْلَىٰ(٣).

٤٧٣٦- حدَّثنا إسماعيل بن عمر، قَالَ: أخبرنا إبراهيم بن موسىٰ، قَالَ: حدَّثنا ابن أبي زائدة، عن مجالدٍ، عن عامرٍ (يعني: الشَّعبيَّ)، عن عامر بن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) **قال العلامة النجمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نسبة إلىٰ المَهْرة.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٣٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شهرٍ، قَالَ: كنت عند النَّجاشي، فقرأ ابنٌ له آيةً من الإنجيل، فضحكتُ، فقال: أتضحك من كلام الله تعالىٰ؟!(١).

٤٧٣٧- حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، قَالَ: حدَّثنا جرير، عن منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين: **«أُعيذكما بكلمات الله التَّامَّة من كلِّ شيطانٍ وهامةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامَّة»**.

ثمَّ يقول: **«كَانَ أبوكم يُعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق»**.

قال أبو داود: هَذَا دليلٌ عَلَىٰ أنَّ القرآن ليس بمخلوقٍ(٢).

٤٧٣٨- حدَّثنا أحمد بن أبي سريج الرَّازيُّ، وعلي بن الحسين بن إبراهيم، وعلي بن مسلمٍ، قالوا: حدَّثنا أبو معاوية، قَالَ: أخبرنا الأعمش، عن مسلمٍ، عن مسروقٍ، عن عبد الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إذا تكلَّم الله تعالىٰ بالوحي، سمع أَهْلُ السَّماء للسَّماءِ صلصلةً كجرِّ السِّلْسلة عَلَىٰ الصَّفا، فيُصْعَقون، فلا يزالون كذلك حتَّىٰ يأتيهم جبريل، حتَّىٰ إذا جاءهم جبريل فُزِّعَ عن قلوبهم.**

قال: فيقولون: يا جبريل، ماذا قَالَ ربُّك؟

فيقول: الحقَّ، فيقولون: الحقَّ، الحقَّ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

الشرح

في هذِهِ الأحاديث إثبات أنَّ القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه منه بدأ، وإليه يعود، وأنَّ الله يتكلَّم بكلامٍ قديمِ النَّوْع، حادث الآحاد، وبالله التَّوفيق.



باب في ذكر البعث والصور

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٧٣٩- حدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا معتمر، قَالَ: سمعت أبي، قَالَ: حدَّثنا أسلم، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الصُّور قرنٌ ينفخ فيه»(١).

٤٧٤٠- حدَّثنا القعنبيُّ، عن مالكٍ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن

أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «كلَّ ابن آدم تأكُلُ الأرضُ إلَّا عَجْب الذَّنَب: منه خُلِقَ، وفيه يُركَّب»(٢).



الشرح

الصُّور قرنٌ خَلَقه الله عَزَّوَجَلَّ لينفخ فيه إسرافيل، وهَذَا الصُّور يُقَال: إنَّ فوهته

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

كَمَا بين السَّماء والأرض، وإنَّه يُنفَخ فيه النَّفخة الأولىٰ، ثمَّ الثَّانية الَّتي يُقَال لها: الرَّادفة، فيموت النَّاس مِنْ سَماعِهَا.

وقَدْ جَاءَ في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «**لا تقومُ السَّاعة حتَّىٰ تطلع الشَّمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها النَّاس، آمنوا أجمعون، فذلك حين: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام:١٥٨]، **ولتقومن السَّاعة وقَدْ نشر الرَّجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقومن السَّاعة وقَد انْصَرَف الرَّجل بلبن لقْحَته فلا يَطْعَمُه، ولتقومن السَّاعة وهو يَلِيط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن السَّاعةُ وقَدْ رفع أحدُكم أَكْلته إلىٰ فِيهِ فلا يَطعَمُها**»(١).

هكذا وَرَدَ، وذلك أنَّ النَّفْخ في الصُّور يكون يوم جمعة ضحًىٰ، فيموت النَّاس من هذِهِ النَّفْخة، يموتون كلُّهم، ثمَّ تبقىٰ الأرض ليس عليها أحدٌ، وكذلك السَّماوات ليس فيها أحدٌ من الأحياء.

ثمَّ إذا أراد الله بعث النَّاس للقيام، وذلك بعد أن تُسوَّىٰ الأرض وتُمَدَّ، وكذلك السَّماء تذهب، عند ذلك يجمع الله الأرواح لإسرافيل في فوهة الصُّور، فيَنْفخ في الصُّور بعد أَنْ أرسل الله عَلَىٰ الأرض ماءً كمَنيِّ الرِّجال، فينبتون، كلُّ واحدٍ ينبت من عَجْب الذَّنَب، وهو قطعةٌ صغيرةٌ (أو عظمٌ صغيرٌ) لا يُدْرىٰ أين يذهب، ولكن الله يعلم أين يذهب.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. **واللَّقحة**: هي النَّاقة الحلوب. وقوله: «**يَلِيط حوضه**»، أي: يصلحه ويطينه.

فينبتون من هَذَا المطر الَّذي يبقىٰ أربعين يومًا حتَّىٰ يتكاملوا في قبورهم، وأنَّ الله ﷻ يُعِيد الخَلْق الأَوَّل؛ لا يَخْلق خَلْقًا جديدًا، بل يعيد الخَلْق الأوَّل الَّذي عمل الخير والشَّرَّ، وهو الَّذي يُنعَّم إِنْ كَانَ من أَهْل الخير وعمل الخير، وهو الَّذي يُعذَّب إِنْ كَانَ من أَهْل الشَّرِّ وعمل الشَّرِّ.

فإذا جمع الله له الأرواح في فوهة الصُّور، نفخ في الصُّور، فطارت الأرواح إلىٰ أجسادها، فكلُّ رُوح تطير إلىٰ جسدها الَّذي عَمرته، وتدخل فيه، فيقومون من قبورهم تنشقُّ الأرض عنهم، ويقومون كَمَا أخبر الله ﷻ عن ذلك: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ق:٤٤].

وكَمَا جَاءَ في الحديث: «**ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ لَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَدَعُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَاتَ، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ** ﷿؛ **فَأَصْبَحَ رَبُّكَ** ﷿ **يُطِيفُ فِي الأَرْضِ، وَخَلَتْ عَلَيْهِ البِلَادُ، فَأَرْسَلَ رَبُّكَ** ﷿ **السَّمَاءَ بِهَضْبٍ**[(١)] **مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ، فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَدَعُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ مَصْرَعِ قَتِيلٍ وَلَا مَدْفِنِ مَيِّتٍ إِلَّا شَقَّت القَبْرَ عَنْهُ حَتَّىٰ تَجْعَلَهُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ فَيَسْتَوِي جَالِسًا، فَيَقُولُ رَبُّكَ: مَهْيَمْ**[(٢)] **لِمَا كَانَ فِيهِ...**»[(٣)]. الحديث، وبالله التَّوفيق.

---

(١) **الهَضْب**: المَطَر الغزير.

(٢) «**مهيم**»؛ أي: ما شأنك؟

(٣) أخرجه أحمد (١٥٦١٧)، والحاكم في «المستدرك علىٰ الصحيحين» (٨٨٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٨٠٧) من حديث لقيط بن صبرة العقيلي. وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «إسناده ضعيف». انظر «ظلال الجنة» (١/ ٣٤٣).

ثمَّ يُنَاديهم المُنَادي: يا أيُّها النَّاس، هَلمُّوا إلىٰ رَبِّكم، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [ق:٤١، ٤٢].



باب في الشفاعة

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٧٤١- حدَّثنا سليمان بن حرب، قَالَ: حدَّثنا بسطام بن حريث، عن أشعث الحُدَّاني، عن أنس بن مالكٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**شفاعتي لأَهْل الكبائر من أُمَّتِي**»(١).

٤٧٤٢- حدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا يحيىٰ، عن الحسن بن ذكوان، قَالَ: حدَّثنا أبو رجاء قَالَ: حَدَّثني عمران بن حصين، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**يخرج قومٌ من النَّار بشفاعةِ مُحمَّدٍ، فيدخلون الجنَّة، ويُسمَّوْن: الجهنَّمِيِّين**»(٢).

٤٧٤٣- حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، قَالَ: حدَّثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابرٍ، قَالَ: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّ أَهْل الجنَّة يأكلون فيها ويشربون**»(٣).



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٤٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشرح

باب ما جَاءَ في الشَّفاعة، الشَّفَاعة جاءت فيها أحاديثُ كثيرةٌ تبلغ إلىٰ حدِّ التَّواتر، وقَدْ ذَكَر ابن خزيمة في «كتاب التَّوحيد» كثيرًا منها، وكذلك أيضًا حافظ بن أحمد الحكمي في كتابه «معارج القبول شرح سلم الوصول».

وكذلك الَّذين ألَّفوا في الأسماء والصِّفات، كلُّهم يذكرون الشَّفاعة، وسبب دخولها في العقائد أنَّ القائلين بتخليد أَهْل الكبائر من الخوارج والمعتزلة ينكرونها، ولذلك كَانَ السَّلَف -رحمهم الله- يذكرونها في العقائد، وبالله التَّوفيق.



باب في خلق الجنة والنار

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٧٤٤- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، عن مُحمَّد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**لمَّا خلق الله الجنَّة قَالَ لجبريل: اذْهَبْ فَانْظُرْ إليها، فذَهَب فَنظَر إليها، ثمَّ جاء، فقَالَ: أَيْ ربِّ، وعِزَّتك، لا يَسْمع بها أحدٌ إلَّا دَخَلها، ثمَّ حفَّها بالمَكَاره.**

ثمَّ قَالَ: يا جبريل، اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثمَّ جاء؛ فقال: أي ربِّ، وعِزَّتك، لقَدْ خشيت ألَّا يدخلها أحدٌ.

قال: فلمَّا خلق الله تعالىٰ النَّار؛ قَالَ: يا جبريل، اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثمَّ جاء، فقال: أي ربِّ، وعِزَّتك، لا يسمع بها أحدٌ فيدخلها، فحفَّها بالشَّهَوات، ثمَّ قَالَ: يا جبريل، اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثمَّ جاء، فقال: أي ربِّ، وعِزَّتك، لقَدْ خشيت ألَّا يبقىٰ أحدٌ إلَّا دخلها»(١).



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، وحسنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المشكاة» (٥٦٩٦).

الشرح

الجنَّة حُفَّتْ بالمكاره، والنَّار حُفَّت بالشَّهوات، قَالَ شَيْخنا حافظ بن أَحْمَد الحَكَمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَـدْ حُفَّـت الجنَّـة بالمكـارهِ والنَّـار بالَّـذي النُّفـوسُ تـشتهي

لذلك كَانَ احتفاف النَّار بالشَّهوات دافعًا إلىٰ الدُّخول إليها بسبب الشَّهَوات الَّتي تُوقِع فيها، والَّتي يُزيِّنها الشَّيطان للنَّاس.

وكذلك أيضًا حُفَّتِ الجنَّة بالمكاره، ولكن يُيسِّر الله عَزَّوَجَلَّ عَمَلها[١] لمَنْ أراد به خيرًا، ولهَذَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ لمُعَاذِ بْنِ جبل: «**لقَدْ سألتني عَنْ عَظيم، وإنَّه لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّره الله عليه، تَعْبد اللهَ لَا تُشْرك به شيئًا**». الحديث[٢].

وبالله التَّوفيق.



(١) وإن كَانَ في أدائه مشقة ابتغاء رضوان الله وجنته كما في الحديث: «**ألا أدلُّكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات**». قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قَالَ: «**إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرة الخطا إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»، رواه مسلم (٣٦٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجة (٣٩٧٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيحة» (١١٢٣).

باب في الحوض

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٧٤٥- حدَّثنا سليمان بن حرب ومسدد، قالا: حدَّثنا حَمَّاد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ أَمَامكم حوضًا ما بين ناحيتيه كَمَا بين جرباء وأذرح**»[1].

٤٧٤٦- حدَّثنا حفص بن عمر النَّمري، قَالَ: حدَّثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي حمزة، عن زيد بن أرقم، قَالَ: كُنَّا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلًا، فقال: «**ما أنتم جزءٌ من مئةِ ألفِ جزءٍ مِمَّنْ يرد عليَّ الحوض**».

قال: قلت: كَمْ كنتم يومئذٍ؟ قَالَ: سبع مئة، أو ثمان مئة[2].

٤٧٤٧- حدَّثنا هناد بن السَّريِّ، قَالَ: حدَّثنا مُحمَّد بن فضيل، عن المختار ابن فلفل، قَالَ: سمعت أنس بن مالكٍ يقول: أغفىٰ رسول الله ﷺ إِغْفَاءةً، فرفع رأسه مُتبسِّمًا، فإما قَالَ لهم، وإمَّا قالوا له: يا رَسُولَ الله، لِمَ ضحكتَ؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فقال: «**إنَّه أُنْزِلتْ عليَّ آنفًا سورةٌ**»، فقرأ: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ حتَّىٰ ختمها، فلمَّا قرأها قَالَ: «هل تدرون ما الكوثر؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**فإنَّه نهرٌ وَعَدنِيه ربِّي عَزَّوَجَلَّ في الجنَّة، وعَلَيه خيرٌ كثيرٌ، عَلَيه حوضٌ تَرِد عَلَيه أُمَّتي يوم القيامة، آنيتُهُ عدد الكواكب**»[1].

٤٧٤٨- حدَّثنا عاصم بن النَّضر، قَالَ: حدَّثنا المعتمر، قَالَ: سمعت أبي، قَالَ: حدَّثنا قتادة، عن أنس بن مالكٍ، قَالَ: لَمَّا عُرج بنبيِّ الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الجنَّة، أو كَمَا قَالَ: عُرِضَ له نَهَرٌ، حَافَّتاه الياقوت المُجيَّب -أو قَالَ: المُجوَّف- فضرب الملك الَّذي معه يده، فاستخرج مسكًا.

فقال مُحمَّد صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للمَلَك الَّذي معه: «**ما هَذَا؟**».

قال: هَذَا الكوثر الَّذي أعطاك الله عَزَّوَجَلَّ[2].

٤٧٤٩- حدَّثنا مسلم بن إبراهيم، قَالَ: حدَّثنا عبد السَّلام بن أبي حازم أبو طالوت، قَالَ: شهدت أبا برزة دخل عَلَىٰ عبيد الله بن زيادٍ، فحدَّثني فلانٌ باسمه سَمَّاه مسلمٌ، وكان في السماط، قَالَ: فلمَّا رآه عبيد الله، قَالَ: إنَّ مُحمَّديكم هَذَا الدَّحداح، ففهمها الشَّيخ، فقال: ما كنت أحسب أنِّي أبقىٰ في

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٧)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ.

قومٍ يُعيِّروني بصحبة مُحمَّدٍ ﷺ!

فقال له عبيد الله: إنَّ صُحْبة مُحمَّدٍ ﷺ لك زينٌ غير شينٍ؛ ثمَّ قَالَ: إنَّما بعثتُ إليك لأسألكَ عن الحوض، سمعتُ رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئًا؟

قال أبو برزة: نعم، لا مرَّةً، ولا ثنتين، ولا ثلاثًا، ولا أربعًا، ولا خمسًا، فمَنْ كَذَّب به، فلا سقاه الله منه، ثمَّ خرج مغضبًا(١).



الشرح

الحوض كَمَا وصفه النَّبيُّ ﷺ حوضٌ يَصبُّ فيه نهر الكوثر، طوله شهرٌ، وعرضه شهرٌ، يقف عَلَيه النَّبيُّ ﷺ حين يَرِدُ النَّاس عليه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَرِدُ عليَّ أُمَّتي الحوض، وأنا أَذُودُ النَّاس عنه، كَمَا يذود الرَّجل إبل الرَّجل عن إبله**». قالوا: يا نبيَّ الله، أتعرفنا؟ قَالَ: «**نعم، لَكُم سِيما ليست لأحدٍ غيركم؛ تَرِدون عليَّ غُرًّا مُحجَّلين من آثار الوُضُوء، وليُصَدَّنَّ عنِّي طائفةٌ منكم فلا يَصِلون، فأقول: يا ربِّ، هؤلاء من أصحابي! فيُجيبني مَلَكٌ، فيقول: وهل تدري ما أَحْدَثوا بعدك؟**»(٢).

وليس معنىٰ قوله: «**أصحابي**» أنَّهم أصحابه الَّذين عايشوه، ولكنَّهم مِنْ أُمَّته، والنَّبيُّ ﷺ يعرف أُمَّته بأنَّهم يُبعثون غرًّا مُحجَّلين من آثار الوضوء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «الظلال» (٧٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧).

وأمَّا الَّذين يُمنَعون من الشُّرب منه يُقَال عنهم بأنَّهم أحدثوا، ويُقَال عنهم بأنَّهم بَدَّلوا، فيقول النَّبيُّ ﷺ: «**سُحْقًا سُحْقًا لمَنْ بدَّل بعدي**»(١).

وأحاديثُ الحوض كثيرةٌ، وقَدْ أَوْردَ البخاريُّ منها جملةً، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه مسلم (٢٦)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

باب المسألة في القبر وعذاب القبر

❐ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٧٥٠- حدَّثنا أبو الوليد الطَّيالسيُّ، قَالَ: حدَّثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب، أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**إنَّ المسلم إذا سُئِل في القبر، فشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾** [إبراهيم:٢٧]»(١).

٤٧٥١- حدَّثنا مُحمَّد بن سليمان الأنباري، قَالَ: حدَّثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف أبو نصر، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالكٍ، قَالَ: إنَّ رسول الله ﷺ دخل نخلًا لبني النَّجَّار، فسمع صوتًا ففزع.

فقال: «**من أصحاب هذِهِ القُبُور؟**».

قالوا: يا رسول الله، ناسٌ ماتوا في الجاهليَّة، فقال: «**تَعوَّذوا بالله من عذاب النَّار، ومن فتنة الدَّجَّال**».

قالوا: وممَّ ذاك يا رسول الله؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: «**إنَّ المؤمن إذا وُضِع في قبره، أتاه مَلَكٌ، فيقول له: ما كنت تعبد؟ فإنَّ الله هداه، قَالَ: كنت أعبدُ الله، فيُقَال له: ما كنت تقول في هَذَا الرَّجُل؟**

فيقول: هو عبد الله ورسوله، فما يسأل عن شيءٍ غيرها، فينطلق به إلىٰ بيتٍ كَانَ له في النَّار، فيُقَال له: هَذَا بيتك كَانَ لك في النَّار، ولكنَّ الله عصمك ورحمك فأبدلك به بيتًا في الجنَّة، فيقول: دعوني حتَّىٰ أذهب فأُبَشِّر أهلي، فيُقَال له: اسكن.

وإنَّ الكافر إذا وُضِعَ في قبره أَتاه مَلَكٌ، فينتهره، فيقول له: ما كنت تعبد؟

فيقول: لا أدري، فيُقَال له: لا دريت ولا تليت، فيُقَال له: فما كنت تقول في هَذَا الرَّجل؟

فيقول: كنت أقول ما يقول النَّاس، فيضربه بمطراقٍ من حديدٍ بين أذنيه، فيصيح صيحةً يسمعها الخَلْق غير الثَّقَلين»[(١)].

٤٧٥٢- حدَّثنا مُحمَّد بن سليمان، قَالَ: حدَّثنا عبد الوَهَّاب، بمثل هَذَا الإِسناد نحوه، قَالَ: «**إنَّ العبد إذا وُضِع في قبره وتَولَّىٰ عنه أصحابه إنَّه ليسمع قَرْع نِعَالهم، فيأتيه ملكان فيقولان له...**».

فذكر قريبًا من حديثه الأوَّل، قَالَ فيه: «**وأَمَّا الكَافِرُ والمُنَافق فيَقُولَان لَهُ...**».

زاد: «**المنافق**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال: «**يسمعها مَنْ يليه غير الثَّقَلين**»[(١)].

٤٧٥٣- حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، قَالَ: حدَّثنا جرير (ح)، وحدَّثنا هَنَّاد بن السَّرِيِّ، قَالَ: حدَّثنا أبو معاوية، وهَذَا لفظُ هَنَّادٍ، عن الأعمش، عن المنهال، عن زاذان، عن البراء بن عازب قَالَ: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر ولمَّا يُلْحَدْ، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله كأنَّما عَلَىٰ رؤوسنا الطَّيْر، وفي يدِهِ عودٌ ينكت به في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**»، **مَرَّتين أو ثلاثًا.**

زاد في حديث جريرٍ هاهنا، وقال: «**وإنَّه ليسمع خَفْق نِعَالهم إذا وَلَّوا مُدْبِرين حين يُقَال له: يا هذا، مَنْ ربُّك؟ وما دينك؟ ومَنْ نَبيُّك؟**».

قال هناد: قَالَ: «**ويأتيه مَلَكان، فيُجْلِسانه، فيقولان له: مَنْ ربُّك؟ فيقول: ربِّي الله. فيَقُولانِ له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هَذَا الرَّجُل الَّذي بعث فيكم؟**.

قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله، فآمنتُ به، وصَدَّقتُ».

زاد في حديث جرير: «**فذلك قول الله تعالىٰ:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]، **ثمَّ اتَّفقا.**

قال: فينادي منادٍ من السَّماء: أَنْ قَدْ صَدَق عبدي، فأفرشوه من الجنَّة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأَلْبِسُوه من الجنَّة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنَّة».

قال: «فيأتيه من روحها وطيبها».

قال: «ويُفتَح له فيها مدَّ بصره».

قال: «وإنَّ الكافر»، فذكر موته، قَالَ: «وَتُعَاد روحه في جسده، ويأتيه مَلَكان، فيُجْلِسانه، فيقولان له: مَنْ ربُّك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان: ما هَذَا الرَّجُل الَّذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فينادي منادٍ من السَّمَاء: أَنْ كَذَب، فأفرشوه من النَّار، وأَلْبِسُوه من النَّار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النَّار».

قال: «فيأتيه مِنْ حَرِّها وسَمُومها».

قال: «ويُضيَّق عَلَيه قبره حتَّىٰ تختلف فيه أَضْلاعُهُ».

زاد في حديث جرير قَالَ: «ثمَّ يُقيَّض له أعمىٰ أبكم معه مرزبةٌ من حديدٍ، لو ضُرِبَ بها جبلٌ لصار ترابًا».

قال: «فيضربه بها ضربةً يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلَّا الثَّقَلين، فيصير ترابًا».

قال: «ثمَّ تُعَاد فيه الرُّوح»[1].

٤٧٥٤- وحدَّثنا هَنَّاد بن السَّري، قَالَ: حدَّثنا عبد الله بن نمير، قَالَ: حدَّثنا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

الأعمش، قَالَ: حدَّثنا المنهال، عن أبي عمر زاذان قَالَ: سمعت البراء، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ... فذكر نحوه.



الشرح

ورَدَتْ في هَذَا الباب أحاديثُ كثيرةٌ، وأنَّ العبد إذا وُضع في قبره أتاه مَلَكان، فيُجلسانه ويسألانه، فيقولان له: «**ما ربُّك؟ ما دينك؟ ما هَذَا الرَّجل الَّذي بُعث فيكم؟**». صُوَرُهما (أي: المَلَكين) مُروِّعةٌ، وأصواتهما مُخيفةٌ، فيُثبِّت الله المؤمن، فإذا قيل له: «**مَنْ ربُّك؟ قَالَ: ربِّي الله**».

وإذا قيل له: «**ما دينك؟**».

فيقول: «**ديني الإسلام**».

فإذا قيل له: «**ما هَذَا الرَّجل الَّذي بُعث فيكم؟**».

يقول: «**هو مُحمَّدٌ رسول الله، جاءنا بالبَيِّنات والهدىٰ فآمنَّا به واتَّبعناه.**

فيُفتَح له بابٌ إلىٰ الجنَّة، ويقال له: انْظُر إلىٰ مَقْعدك من النَّار أبدلك الله به مقعدًا من الجنَّة، فيراهما جميعًا.

وأمَّا الكافر -أو المنافق- **فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول النَّاس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلَّا الثَّقلين**».

معنىٰ قوله: «**لا دريت**»؛ يعني: أنَّك لم تبحث عمَّا يدلُّك عَلَىٰ الدِّراية، لم تبحث عن العلم الَّذي ينفعك، وكذلك لم تتلُ كتاب الله، وإنَّما حرصت عَلَىٰ غيره، فلذلك عُوقِبْتَ بهذِهِ المُعَاقبة لعدم اهتمامك بما ينفعك في آخرتك.

وإنَّك لترىٰ كثيرًا من النَّاس اليوم يحرص عَلَىٰ الجريدة يشتريها يوميًّا، ويقرأ الأخبار الَّتي فيها، وربَّما أنَّه يمرُّ عَلَيه الشَّهر ولا يفتح كتاب الله، ولا يقرؤُه، ولا يَتأمَّل فيه، فهَذَا يُخَاف عليه؛ لأنَّ هَذَا يُعتَبر إهمالًا لكتاب الله، وعنايةً بما لا ينفع أو يكون نفعُهُ قليلًا، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، واللهِ إنَّك لتتعجَّب، لو أعطيت واحدًا منهم كتابًا يقرؤه ينتفع منه في عقيدته، ينتفع منه في تقوية إيمانه، ربَّما أنَّه يأخذه منك ويرميه، ولا ينظر فيه، وربَّما أنَّه لا يأخذه منك، ولا يقبله منك.

وإنِّي لأدعو هؤلاء أن يَعْتَنوا بكتاب الله، وأن يعتنوا بسُنَّة رسول الله، وأَنْ يَعْتَنوا بالَّذي ينفعهم عند الله ﷻ خير لهم من الأخبار الَّتي لا تفيد العبد في آخرته شيئًا، وإنَّما هي لهوٌ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وبالله التَّوفيق.



باب في ذكر الميزان

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سننه»:**

٤٧٥٥- حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم، وحميد بن مسعدة، أنَّ إسماعيل بن إبراهيم حدَّثهم، قَالَ: أخبرنا يونس، عن الحسن، عن عائشة أنَّها ذكرت النَّار، فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك؟**».

قالت: ذكرت النَّار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟

فقال رسول الله ﷺ: «**أمَّا في ثلاثة مواطن، فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان، حتَّىٰ يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يُقَال: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة:١٩]، حتَّىٰ يعلم أين يقع كتابه، أفي يمينه، أم في شماله، أم من وراء ظهره؟ وعند الصِّراط إذا وضع بين ظهري جهنَّم**».

قال يعقوب: عن يونس، وهَذَا لفظ حديثه[١].



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشرح

الله أكبر! هَذَا يدلُّ عَلَىٰ الميزان الَّذي تُوزَن به الأعمال، وهل هو ميزانٌ واحدٌ؟أو اسمُ جنسٍ؟ وكونه اسم جنسٍ وأنَّه موازينُ كثيرةٌ، والملائكة هي الَّتي تزن أعمال العباد، وكلُّ عبدٍ لا بدَّ أن يحضر وزن عمله حتَّىٰ يرىٰ: أيخفُّ وزنُهُ أم يثقلُ؟

وإذا كَانَ الأمر كذلك؛ فإنَّ الجدير بالعبد أن يحرص عَلَىٰ الشَّيء الَّذي ينفعه في ميزانه، وأَنْ يكون مخلصًا فيه، وأن يكون عاملًا عَلَىٰ نحو ما جَاءَ به مُحمَّدٌ ﷺ، وبالله التَّوفيق.



باب في الدجال

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٧٥٦- حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد، عن خالدٍ الحذَّاء، عن عبد الله بن شقيق، عن عبد الله بن سراقة، عن أبي عبيدة بن الجرَّاح، قَالَ: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّه لم يكن نبيٌّ بعد نوحٍ إلَّا وقَدْ أنذر الدَّجَّال قومه، وإنِّي أنذركموه**».

فوصفه لنا رسول الله ﷺ، وقال: «**لعلَّه سيدركه مَنْ قَدْ رآني وسمع كَلَامي**».

قالوا: يا رسول الله، كيف قلوبنا يومئذٍ؟ أمثلها اليوم؟ قَالَ: «**أو خيرٌ**»[1].

٤٧٥٧- حدَّثنا مخلد بن خالد، قَالَ: حدَّثنا عبد الرَّزَّاق، قَالَ: حدَّثنا معمر، عن الزُّهريِّ، عن سالمٍ، عن أبيه، قَالَ: قام رسول الله ﷺ في النَّاس، فأثنىٰ عَلَىٰ الله بما هو أهلُهُ، فذكر الدَّجَّال فقال: «**إنِّي لأنذركموه، وما من نبيٍّ إلَّا قَدْ أنذره قومه، لقَدْ أنذره نوحٌ قومه، ولكنِّي سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبيٌّ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٦)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

لقومه: تعلمون أنَّه أعور، وأنَّ الله ليس بأعور»[١].



الشرح

هَذَا الباب فيه أخبار الدَّجَّال، والدجال يخرج، ثُمَّ يخرج المهدي الَّذي يُوطِّئُ لعيسىٰ ﷺ، فيفتح روما مبتدئًا بفتح أوروبا، فإذا وصل الفتح إلىٰ القسطنطينية عند ذلك يُخبَرون بأنَّ الدَّجَّال قَدْ خلفهم في أهلهم، فيرسلون عشر فوارس، وهم خير الفوارس يومئذٍ، فيجدون الدَّجَّال قَدْ خلفهم في أهلهم.

وأنَّه (أي: الدَّجَّال) يبقىٰ أربعين يومًا، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كأُسْبوعٍ، وسائر أيَّامه كأيَّامنا، حتَّىٰ سأل بعض الصَّحابة النَّبيَّ ﷺ: يا رسول الله، فذلك اليوم الَّذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قَالَ: «**لا، اقدروا له قدره**».

فيعيث في الأرض، فيأتي عَلَىٰ القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، فيأمر السَّماء فتمطر، والأرض فتنبت، وتذهب مواشيهم فتعود ممتلئة الخواصر، وممتلئة الضُّرُوع من اللَّبَن، وهكذا يُضلُّهم، فإذا ارتحل عنهم، أعاد الله لهم ما كانوا فيه كَمَا كَانُوا.

ثمَّ يأتي عَلَىٰ قومٍ فيدعوهم، فيردُّون عَلَيه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون مُمحلين[٢] ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله.

(٢) **أَمْحَل القومُ**: أَجْدبوا. «اللسان» (١١/ ٦١٦).

لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النَّحل...»[١].

وإنَّما ذلك محنةٌ وابتلاءٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، وفي الحديث: «**معه جبلٌ من خبز، ونَهَرٌ من ماءٍ**»[٢].

وفي الحديث: «**الدَّجَّال أعورُ العين اليُسْرىٰ، جفال الشَّعر، معه جنَّةٌ ونارٌ، فنارُهُ جَنَّةٌ، وجَنَّتُهُ نارٌ**»[٣]، وفيه قَالَ ﷺ: «**لأنا أَعْلَمُ بما مع الدَّجَّال منه، مَعَه نَهَران يَجْريان، أَحَدهما رأي العين، ماءٌ أبيضُ، والآخر رأي العين، نارٌ تَأَجَّج، فإمَّا أَدْركنَّ أحدٌ، فليأتِ النَّهَر الَّذي يراه نارًا، وليغمض، ثمَّ ليطأطئ رأسه، فيشرب منه، فإنَّه ماءٌ باردٌ**»[٤]، ولكنَّها ابتلاءٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وامتحانٌ.

والمهمُّ: أنَّه ينزل عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ المنارة الَّتي في المسجد (مسجد دمشق)، ينزل عليها في مهرودتين، واضعًا كَفَّيه عَلَىٰ أجنحة مَلَكين، والنَّاس ينتظرون صلاة الفجر، فينزل ويأتي وهم منتظرون، فبعد ذلك يُحدِّثهم بمنازلهم في الجنَّة (الَّذين جَاهَدوا مع المهديِّ وثبتوا)، ثمَّ يتبع الدَّجَّال، فيجده عند باب لُدٍّ، فإذا رآه ساخ[٥]، فيطعنه بحربةٍ فيقتله بها، ويريح الله النَّاس منه، ولكنَّه قَدِ امْتَحَنهم الله به، وكَفَر أقوامٌ بسببه، ونسأل الله العفو والعافية. وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٥٧٣) من حديث رجل من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٢٢) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٤)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) **ساخَ في الأرض يَسُوخ ويَسِيخ**: إذا دَخَل فيها. «النهاية» (٣/ ١٣٧).

باب في الخوارج

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٧٥٨- حدَّثنا أحمد بن يونس، قَالَ: حدَّثنا، زهير وأبو بكر بن عياش، ومندل، عن مطرِّف، عن أبي جهم، عن خالد بن وهبان، عن أبي ذرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ فَارَقَ الجَمَاعة قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَع رِبْقَةَ الإِسلام من عُنُقِهِ**»(١).



الشرح

قوله: «**مَنْ فارق الجماعة قِيدَ شبرٍ**»؛ يعني: خرج عن الجماعة بقول المحَسِّنين للخُرُوج أنَّ هؤلاء(٢) أقرُّوا المنكرات، وأنَّ هؤلاء فعلوا وفعلوا، وحينئذٍ نخرج عليهم لنقيم بعد ذلك الشَّرع، ونقيم كتاب الله، هَذَا الخُرُوجُ يقول عنه النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ فَارَق الجَمَاعة قِيد شبرٍ، فَقَدْ خلع رِبْقَة الإِسلام من عُنُقه**».

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) يقصد بهم ولاة الأمور.

وقوله: «**قِيد شبر**»، **أي**: مقدار شبر، فماذا يرجو هؤلاء الخوارج بعد قوله ﷺ: «**مَنْ فَارَق الجَمَاعة قِيد شبرٍ، فَقَدْ خلع رِبْقَة الإِسلام من عُنُقه**»؟ ولماذا سُمُّوا خوارج؟ الجواب: لأَنَّهُمُ اسْتَحَلُّوا الخُرُوجَ عَلَىٰ وُلَاة الأمر، والعياذ بالله، وفي هَذَا من الفساد ما فيه.

والرَّسول ﷺ قَدْ حذَّر من الخُرُوج عَلَىٰ الوُلَاة ما داموا يُصلُّون، وما داموا يقيمون الصَّلاة، وإِنْ رأينا منهم ما رأينا من المناكر؛ فإِنَّه يجب عَلَىٰ مَنْ قَدَر أن ينصحهم، يجب عَلَيه أن ينصحهم، ومَنْ لم يقدر فإِنَّ الله قَدْ عفا عنه، وواجبٌ طاعتهم، وإِنَّ كلَّ الأحزاب الَّذين هم موجودون في هَذَا الزَّمان كلُّهم يُبِيحُون الخُرُوج علىٰ الولاة.

والنَّبيُّ ﷺ قَدْ بايع أصحابه -كَمَا في حديث عبادة- عَلَىٰ السَّمْع والطَّاعة، قَالَ عُبَادة بن الصَّامت رضي الله عنه: «دَعَانا رَسُولُ الله، فبَايَعْناه عَلَىٰ السَّمع والطَّاعة في المَنْشَط والمَكْره، والعسر واليسر، وألَّا ننازع الأمر أهله، وأَنْ نقول بالحقِّ حيث كُنَّا لا نخاف في الله لومةَ لائمٍ»[1]، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٧١٩٩)، واللفظ له، ومسلم (١٧٠٩)، من حديث عبادة رضي الله عنه.

تابع باب في الخوارج

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٧٥٩- حدَّثنا عبد الله بن مُحمَّد النُّفيلي، قَالَ: حدَّثنا زهيرٌ، قَالَ: حدَّثنا مُطرِّف بن طريف، عن أبي الجهم، عن خالد بن وهبان، عن أبي ذرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كيف أَنْتم وأَئمةٌ من بَعْدي يَسْتأثرون بهَذَا الفيء؟**».

قلت: أما والَّذي بعثك بالحقِّ، أضع سيفي عَلَىٰ عاتقي، ثمَّ أضرب به حتَّىٰ ألقاك، أو ألحقك.

قال: «**أَوَ لا أدلُّك عَلَىٰ خيرٍ من ذلك؟ تصبر حتَّىٰ تلقاني**»[1].

٤٧٦٠- حدَّثنا مسدد، وسليمان بن داود، المعنىٰ قالا: حدَّثنا حَمَّاد بن زيدٍ، عن مُعلَّىٰ بن زياد، وهشام بن حسان، عن الحسن، عن ضبة بن محصن، عن أمِّ سلمة زوج النَّبيِّ ﷺ قالت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَتكون عَلَيكم أَئمَّةٌ تَعْرفون منهم وتُنْكرون، فمَنْ أنكر**».

قال أبو داود: قَالَ هشام: «**بلسانِهِ، فقَدْ برئ، ومَنْ كره بقَلْبه فقَدْ سَلِمَ،**

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٩)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولكن مَنْ رَضِيَ وتابعَ».

فقيل: يا رَسُولَ الله، أفلا نقتلهم؟

قال: «**لا، ما صَلَّوْا**».

قال ابن داود: أفلا نقاتلهم[١].

٤٧٦١- حدَّثنا ابن بشار، قَالَ: حدَّثنا معاذ بن هشام، قَالَ: حدَّثنا أبي، عن قتادة قَالَ: حدَّثنا الحسن، عن ضبة بن محصن العنزي، عن أم سلمة، عن النَّبيِّ ﷺ بمعناه قَالَ: «**فمَنْ كره فقَدْ برئ، ومَنْ أَنْكَر فقَدْ سَلِمَ**».

قال قتادة: يعني مَنْ أنكر بقلبِهِ، ومَنْ كره بقلبِهِ[٢].

٤٧٦٢- حدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا يحيىٰ، عن شعبة، عن زياد بن علاقة، عن عرفجة، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ستكون في أُمَّتي هناتٌ وهناتٌ وهناتٌ، فمَنْ أراد أن يُفرِّق أمر المُسْلِمِينَ وهم جميعٌ فاضربوه بالسَّيْف كائنًا مَنْ كان**»[٣].



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٦٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٦١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٦٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشرح

هذِهِ الأحاديث كلُّها في ذمِّ الخوارج؛ لأنَّهم إنَّما يريدون أن يُفرِّقوا أمر المُسْلِمِينَ، وليفسدوا عَلَىٰ المُسْلِمِينَ أَمْنَهم، وعَيْشَهم، فلذلك ذَمَّهم الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ لسان رسوله، وهم داخلون في اسم المفسدين الَّذين ذَمَّهم الله بالفساد.

والأحاديثُ في الخوارج كثيرةٌ، والنَّهْي عن الخُرُوج عَلَىٰ وُلَاة الأُمُور، والأمرُ بطاعتهم أيضًا وردت في أحاديثَ كثيرةٍ، وأنَّ الواجب عَلَىٰ المُسْلِمِينَ طاعتهم، كلُّ ذلك موجودٌ في كتب السُّنَّة، فينبغي أن نجعل ذلك نصب أعيننا.

ولا يَغرنَّك حزبٌ بأنَّه لا يرىٰ الخُرُوج، فإنَّ نهاية هذِهِ الأحزاب كلِّها أنَّهم يرون الخُرُوج ويستبيحونه؛ لتكون السُّلْطة لحزبهم دون غيره، وبالله التَّوفيق.



باب في قتال الخوارج

❑ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٧٦٣- حدَّثنا مُحمَّد بن عبيد، ومُحمَّد بن عيسىٰ، المعنىٰ قالا: حدَّثنا حَمَّاد، عن أيوب، عن مُحمَّد، عن عبيدة أنَّ عليًّا ذكر أَهْل النَّهْروان، فقال: فيهم رجلٌ مُودَنُ اليد، أو مُخْدَجُ اليد، أو مَثْدونُ اليد، لولا أن تبطروا لَنبَّأتكم ما وعد الله الَّذين يقتلونهم عَلَىٰ لسان مُحمَّدٍ ﷺ.

قال: قلت: أنت سمعت هَذَا منه؟ قَالَ: إي وربِّ الكعبة[1].

٤٧٦٤- حدَّثنا مُحمَّد بن كثير، قَالَ: حدَّثنا سفيان، عن أبيه، عن ابن أبي نُعم، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قَالَ: بعث عليٌّ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ بذُهَيبةٍ في تربتها، فقسمها بين أربعةٍ: بين الأقرع بن حابس الحنظلي، ثمَّ المجاشعي، وبين عيينة بن بدر الفزاري، وبين زيد الخيل الطَّائي، ثمَّ أحد بني نبهان، وبين علقمة بن علاثة العامري، ثمَّ أحد بني كلابٍ، قَالَ: فغضبت قريشٌ والأنصارُ.

وقالت: يُعْطِي صناديد أَهْل نجد وَيَدَعُنا؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٦٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فقال: «**إنَّما أتألَّفهم**».

قال: فأقبل رجلٌ غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كثُّ اللِّحْية، محلوق، قَالَ: اتَّقِ الله يا مُحمَّد.

فقال: «**مَنْ يطيع الله إذا عصيته، أيأمنني الله عَلَىٰ أَهْل الأرض ولا تأمنوني؟**».

قال: فسأل رجلٌ قَتْلَه، أحسبه خالد بن الوليد، قَالَ: فمنعه.

قال: فلمَّا ولَّىٰ قَالَ: «**إنَّ من ضئضئي هَذَا** -أو: في عقب هذا- **قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يَمْرقُون من الإِسلام مُرُوق السَّهْم من الرَّميَّة، يَقْتلون أَهْلَ الإسلام، ويَدَعون أَهْلَ الأوثان، لئن أنا -والله- أدركتُهُم، لأَقتلنَّهم قَتْلَ عادٍ**»[1].

٤٧٦٥- حدَّثنا نصر بن عاصم الأنطاكي، قَالَ: حدَّثنا الوليد ومبشر (يعني: ابن إسماعيل الحلبي) بِإسنادِهِ، عَنْ أبي عمرٍو قَالَ (يعني: الوليد): حدَّثنا أبو عمرو قَالَ: حدثني قتادة، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، وأنس بن مالكٍ، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «**سيكون في أُمَّتي اختلافٌ وفُرْقةٌ، قومٌ يُحْسِنون القيل، ويُسِيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يَمْرُقون من الدِّين مُرُوق السَّهْم من الرَّميَّة، لا يرجعون حتَّىٰ يرتدَّ عَلَىٰ فُوقِهِ، هم شرُّ الخَلْق والخليقة، طُوبَىٰ لمَنْ قَتَلهم وقتلوه، يَدْعون إلىٰ كتاب الله، وليسوا منه في شيءٍ، مَنْ قاتلهم كَانَ أَوْلَىٰ بالله تعالىٰ منهم**».

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٦٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟

قال: «**التَّحْليق**»(١).

٤٧٦٦- وحدَّثنا الحسن بن عليٍّ، قَالَ: حدَّثنا عبد الرَّزَّاق، قَالَ: أخبرنا مَعْمر، عن قَتَادة، عن أَنَسٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ نحوه قَالَ: «**سِيمَاهُمُ التَّحْليق والتَّسْبيد، فإِذا رأيتموهم فأنيموهم**».

قال أبو داود: التَّسْبيد: استئصال الشَّعر(٢).

٤٧٦٧- حدَّثنا مُحمَّد بن كثيرٍ، قَالَ: حدَّثنا سفيان، قَالَ: حدَّثنا الأعمش، عن خيثمة، عن سُوَيد بن غفلة، قَالَ: قَالَ عليٌّ: إذا حَدَّثتكم عَنْ رسول الله ﷺ حديثًا فَلأَنْ أَخِرَّ من السَّماء أحبُّ إليَّ من أَنْ أكذبَ عَلَيه، وإذا حَدَّثتكم فيما بَيْني وبَيْنكم فإِنَّما الحرب خَدعةٌ(٣).

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يأتي في آخر الزَّمَان قومٌ حُدَثاء الأسنان، سُفَهاء الأحلام، يقولون من قولِ خيرِ البريَّة، يَمْرقُون من الإِسلام كَمَا يمرق السَّهْم من الرَّميَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإِنَّ قَتْلَهم أجرٌ لمَنْ قَتلَهم يوم القيامة**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٦٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٦٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) **قال العلامة النجمي** رَحِمَهُ اللهُ: «خدعة» تقرأ بفتح الخاء، وكسرها، وضمها، خَدعة وخِدعة وخُدعة.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٦٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الظلال» (٩١٤).

٤٧٦٨- حدَّثنا الحسن بن عليٍّ، قَالَ: حدَّثنا عبد الرَّزَّاق، عن عبد الملك ابن أبي سليمان، عن سلمة بن كهيل، قَالَ: أخبرني زيد بن وهب الجهني، أنَّه كَانَ فِي الجيش الَّذين كانوا مع عليٍّ الَّذين ساروا إلىٰ الخوارج، فقال عليٌّ: أيُّها النَّاس، إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قومٌ من أُمَّتي يقرؤون القرآن، ليست قراءتكم إلىٰ قراءتهم شيئًا، ولا صلاتكم إلىٰ صلاتهم شيئًا، ولا صيامكم إلىٰ صيامهم شيئًا، يقرؤون القرآن يحسبون أنَّه لهم، وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يَمْرُقون من الإسلام كَمَا يَمْرُق السَّهْم من الرَّميَّة، لو يعلم الجيش الَّذين يُصِيبُونهم ما قضىٰ لهم عَلَىٰ لسان نَبيِّهم ﷺ لنكلوا عن العمل، وآيةُ ذلك أنَّ فيهم رجلًا له عضدٌ، وليست له ذراعٌ، عَلَىٰ عضدِهِ مثل حلمة الثَّدْي، عَلَيه شعراتٌ بيضٌ**».

أفتذهبون إلىٰ معاوية وأَهْل الشَّام وتتركون هؤلاء يخلفونكم إلىٰ ذراريكم وأموالكم؟!

واللهِ، إنِّي لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم؛ فإِنَّهم قَدْ سفكوا الدَّمَ الحرام، وأغاروا فِي سرح النَّاس، فَسِيرُوا عَلَىٰ اسم الله. قَالَ سَلَمة بن كهيل: فنزَّلني زيد بن وهب منزلًا منزلًا، حتَّىٰ مررنا عَلَىٰ قنطرةٍ.

قال: فلمَّا الْتَقَيْنا وعلىٰ الخوارج عبد الله بن وهب الرَّاسبيُّ، فقال لهم: ألقوا الرِّماح، وسُلُّوا السُّيُوف من جفونها؛ فإِنِّي أخاف أن يناشدوكم كَمَا ناشدوكم يوم حروراء.

قال: فَوحَّشوا برماحهم، واسْتلُّوا السُّيُوف، وشَجَرهم النَّاس برماحهم.

قال: وقتلوا بعضهم عَلَىٰ بعضٍ.

قال: وما أصيب من النَّاس يومئذٍ إلَّا رجلان.

فقال عليٌّ: التمسوا فيهم المخدج، فلم يجدوا.

قال: فقام عليٌّ بنفسه حتَّىٰ أتىٰ ناسًا قَدْ قُتِلَ بعضهم عَلَىٰ بعضٍ.

فقال: أخرجوهم، فوجدوه مِمَّا يلي الأرض، فكَبَّر.

وقال: صَدَق الله، وبلَّغ رسوله، فقام إليه عبيدة السَّلماني.

فقال: يا أمير المؤمنين، الله الَّذي لا إله إلَّا هو، لقَدْ سمعت هَذَا من رسول الله ﷺ؟

قال: إي والله الَّذي لا إله إلَّا هو، حتَّىٰ استحلفه ثلاثًا، وهو يحلف.

قال أبو داود: «قَالَ مالكٌ: ذلٌّ للعلم أن يجيبَ العالمُ كلَّ مَنْ سأله»[(١)].

٤٧٦٩- حدَّثنا مُحمَّد بن عبيد: قَالَ: حدَّثنا حَمَّاد بن زيد، عن جميل بن مرة، قَالَ: حدَّثنا أبو الوضيء، قَالَ: قَالَ عليٌّ: اطْلُبوا المخدج، فذَكَر الحديث، فَاسْتَخْرَجوه من تَحْت القَتْلىٰ في طينٍ. قَالَ أبو الوضيء: فكأنِّي أنظر إليه، حبشيٌّ، عَلَيه قُرَيطقٌ، له إحدىٰ يدين مثل ثَدْي المرأة عليها شُعَيرات مثل شعيرات الَّتي تكون عَلَىٰ ذَنَب اليربوع[(٢)].

٤٧٧٠- حدَّثنا بشر بن خالد، قَالَ: حدَّثنا شبابة بن سوَّار، عن نعيم بن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٦٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٦٩)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح الإسناد».

حكيم، عن أبي مريم، قَالَ: إِنْ كَانَ ذلك المخدج لمعنا يومئذٍ في المسجد، نجالسه باللَّيْل والنَّهَار، وكان فقيرًا، ورأيته مع المساكين يشهد طعامَ عليٍّ مع النَّاس، وقَدْ كسوتُهُ بُرْنسًا لي.

قال أبو مريم: وكان المخدج يُسمَّىٰ نافعًا ذا الثَّدْيَةِ، وكان في يدِهِ مثل ثدي المرأة عَلَىٰ رأسه حلمة مثل حلمة الثَّدْي، عَلَيه شعيرات مثل سبالة السِّنور.

قال أبو داود: وهو عند النَّاس اسمه حرقوس[1].



الشرح

حَرقوس هو إمام الخوارج الأوَّل، وهو حرقوس بن زهير الَّذي أنكر عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ وقال: يا رسول الله، اعدل! قَالَ: «**وَيْحك! ومَنْ يعدل إذا لم أعدل، أيأمنني مَنْ في السَّماء ولا تأمنوني**».

فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنقه!

فقال النَّبيُّ ﷺ: «**دعه فإنَّه لعلَّه يُصلِّي...**».

ثمَّ قَالَ: «**يخرج من ضئضئ هَذَا قومٌ تحقرون صلاتكم عند صلاتهم، وصيامكم عند صيامهم، وقراءتكم عند قراءتهم، يمرقون من الدِّين مُرُوقَ السَّهْم من الرَّميَّة**»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٠)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «ضعيف الإسناد».

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والمهمُّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَر بقتال الخوارج، وأَمَر بقتلهم في كلِّ الأحاديث الواردة في ذلك، وأنَّهم يقرؤون القرآن، ولكنَّهم لا يعملون به: «**لا يجاوز حناجرهم، يَمْرقُون من الدِّين مُرُوق السَّهْم من الرَّميَّة**»، كَمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ، والعياذ بالله، ونحن اليوم نرىٰ أقوامًا يَقرَؤون القرآن، ويُقرِؤونه، ويَتَستَّرون به، ولكنَّهم في الخفاء يقولون غير ما يقولون في الظَّاهر، ويُبيِّتون الشَّرَّ للنَّاس وللدَّولة.

ونسأل الله أن يكبتهم، وألَّا يُوصلهم إلىٰ مآربهم؛ فإنَّهم شرٌّ للنَّاس، وإنَّهم يَسْتحقُّون القتل، الَّذين يُخْفُون الخُرُوج، ويُبيِّتون أمرًا لا يرضاه الله ﷻ، يُهيِّؤون دولةً في الخفاء معلومةً عندهم، فنسأل الله ألَّا يُوصلهم إلىٰ مآربهم، وبالله التَّوفيق.



باب في قتال اللصوص

❏ **قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٧٧١- حدَّثنا مسدد، قَالَ: حدَّثنا يحيىٰ، عن سفيان قَالَ: حدثني عبد الله ابن حسن، قَالَ: حدَّثني عمي إبراهيم بن مُحمَّد بن طلحة، عن عبد الله بن عمرو، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أُرِيد مالُه بغير حقٍّ فَقَاتَل فقُتِلَ، فهو شهيدٌ**»(١).

٤٧٧٢- حدَّثنا هارون بن عبد الله، قَالَ: حدَّثنا أبو داود الطَّيالسي، وسليمان بن داود (يعني: أبا أيوب الهاشمي)، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي عبيدة بن مُحمَّد بن عمار بن ياسر، عن طلحة بن عبد الله بن عوف، عن سعيد بن زيد، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ دون مالِه فهو شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دون أهله أو دون دمه، أو دون دينه، فهو شهيدٌ**»(٢).



---

(١) أخرجه (٤٧٧١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٦٠١١).

(٢) أخرجه (٤٧٧٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٦٤٤٥).

الشرح

اللُّصوص هم الَّذين يعرضون للنَّاس في الطُّرُق يأخذون أموالهم، فهؤلاء يريدون أَخْذَ المال وتجميعه، وربَّما أرادوا السُّلْطان، فهؤلاء يُعتَبرون محاربين، وقَدْ قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ في المُحَاربين: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣].

وسبب نُزُول هذِهِ الآية أنَّ جماعةً من العُرَنيِّين جاؤوا إلىٰ المدينة، فاستوخموها، فأرسلهم النَّبيُّ ﷺ إلىٰ إبل الصَّدَقة أن يكونوا معها، وأَنْ يشربوا من أبوالها وألبانها، فشربوا من أبوالها وألبانها، فلمَّا صحوا، قتلوا الرَّاعي الَّذي يرعىٰ الإبل، واستاقوا الإبل وذهبوا.

فجاء الصَّريخ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فأرسل إليهم، فأدركوهم، وجاؤوا بهم، فأمر بهم النَّبيُّ ﷺ، فسُمِرت أعينهم؛ (أي: أُحْمِيت المسامير وكُحِلوا بها حتَّىٰ سالت أعينهم)، وقُطِّعت أيديهم وأرجلهم، ورُموا في الحَرَّة، يَستسقون فلا يُسقَون حتَّىٰ ماتوا.

يقول أحدُ الصَّحَابة: ولقَدْ كَانَ الواحد منهم يَكْدِم الأرضَ بفيه، فأنزل الله فيهم هذِهِ الآيةَ[1]، وهي آيةٌ في المحاربين، وكلُّ مَنْ أخاف النَّاس، وقطع

(١) أخرجه البخاري (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السَّبيل؛ فإنَّه يُعتَبر محاربًا، وحُكْمُهُ إلىٰ وليِّ الأمر، يحكم فيه بما يراه أنَّه رادعٌ لأمثاله؛ إمَّا بالقتل، وإمَّا بالتَّصليب، وإمَّا بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، وإمَّا بالنفي من الأرض، وهَذَا معلومٌ في كتب الفقه.

والحمد لله عَلَىٰ النِّهاية حيث أقدرنا الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ نهاية الدُّرُوس الَّتي رُتبت حتَّىٰ أكملناها، ولعلَّنا -إن شاء الله- قَد اسْتَفَدْنا منها فائدةً تنفعنا في دنيانا وآخرتنا، إلَّا أنِّي أنصح إخواني أن يعملوا بالسُّنَّة، وأن يجتنبوا هذِهِ الأحزابَ، وأَنْ يكونوا ضدًّا لهم، وحربًا عليهم، لعلَّ الله أن يكبتهم بأَهْل الحقِّ، وينصر أَهْل الحقِّ عليهم.

نفعل ذلك امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ حيث أمر بأن نَتَّبع الحقَّ، وأن نقولَه حيث كنَّا لا نَخَاف في الله لومةَ لائمٍ كَمَا هو في حديث عبادة بن الصَّامت الَّذي رواه الشَّيْخان وغيرهما، قَالَ: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه عَلَىٰ السَّمْع والطَّاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحقِّ حيث كنَّا، لا نخاف في الله لومةَ لائمٍ(١).

وصلَّى الله عَلَى نبيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

تم بحمد الله



(١) أخرجه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (١٧٠٩).

الأسئلة

الأسئلة

السؤال١: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «أُوصِيكُمْ بتَقْوى الله، والسَّمع والطَّاعة، وإن عبدًا حبشيًّا...»[(١)]؛ لماذا خصَّ العبد دون غيره من النَّاس، ونُصَّ عَلَى الحبشيِّ؟

الجواب: الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام عَلَىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، نصَّ عَلَىٰ الحبشيِّ؛ لأنَّه كَانَ المتعارَف في تلك الأزمنة وغيرها أنَّ العبيد يكونون من هؤلاء، ولهَذَا ورد في بعض الرِّوايات: «**كأنَّ رأسه زبيبةٌ**»[(٢)]، وهؤلاء هم مُفَلْفَلُو الشَّعر[(٣)]، فلذلك قَالَ النَّبيُّ ﷺ هَذَا القول؛ لأنَّ العربَ كَانُوا يَسْتَهينون بهَؤُلَاء، ويُسمُّونهم عبيدًا، ولكن في الشَّرْع المُحمَّديِّ: العبد: مَنْ وقع عَلَيه الرِّقُّ الشَّرعيُّ، وهو أن يُقاتَل عَلَىٰ دين الله ويُؤسَر، هَذَا هو الرِّقُّ الشَّرعيُّ.

فالحديث هنا خرج عَلَىٰ غالب ما هو موجودٌ في تلك الأزمنة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٢)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة**».

(٣) **شعَر مُفَلْفَل**: إذا اشتدَّت جُعودته. وتَفَلْفَل **شعر الأسود**: اشتدَّت جُعودته. «لسان العرب» (١١/ ٥٣٢).

السؤال٢: ما الفرق بين المعصية والهوى؟

الجواب: المعصيةُ معصيةٌ، وصَاحبُها مرجوٌّ له أن يعود يومًا ما مهما انْسَاق إلىٰ المعصية بالشَّهْوة فيها؛ فإنَّه يُرجىٰ له أن يعود يومًا ما؛ لأنَّه يعرف أنَّه عَلَىٰ باطلٍ، لكن البدعة والهوىٰ صَاحِبُها يظنُّ أنَّه عَلَىٰ حقٍّ، فلذلك يستمرُّ ولا يتراجع؛ لأنَّه يرىٰ أنَّ هَذَا دينٌ، وربَّما عوقب باستمراره فيها وعدم تراجعه عنها حتَّىٰ يموت عَلَىٰ تلك البدعة، ويكون من المُعذَّبين، نسأل الله العفو والعافية.



السؤال٣: هَذَا سؤالٌ من دولة الكويت عبر شبكة الإنترنت، يقول: كيف أتعامل مع شقيقي إِنْ كَانَ مُنضمًّا إلى التَّكْفيريِّين، وهو يجهل ما هم عَلَيه من مخالفات، كَمَا أنَّهم لا يُصرِّحون بشيءٍ أمامه، وهم يَسْتغلُّونه في أُمُور الدَّعْوة، مع بيان الطَّريقة المُثْلى لنصحه؟

الجواب: يجب عليك أن تنصح شقيقك، وتُبيِّن له الأدلَّة، وتطلب مَنْ ينصحه، وإِنْ كَانَ الغالب عَلَىٰ هؤلاء أنَّهم لا ينتصحون -فنسأل الله العفو والعافية- كأنَّ الله يعاقبهم بسبب زَيْغهم أن يبقوا عَلَىٰ ما هم عَلَيه حتَّىٰ يَلْقَوْا رَبَّهم، والعياذ بالله، ولكنْ إعذارًا إلىٰ الله أن تُبيِّن له بالأدلَّة إِنْ كنت قادرًا عَلَىٰ ذلك، أو ترسل إليه مَنْ ينصحه، أو تعطيه الأشرطة الَّتي يكون فيها نصيحةٌ للتَّكفيريِّين، فإِنْ أَصَرَّ وأَبَىٰ فاجتنبه، وابتعد عنه كلَّ الابتعاد.



السؤال٤: يقول السائل: ما هي وَصيَّتكم يا شيخنا للسَّلفيِّين في عُمَان الَّذين يعيشون في وسط الخوارج وتلك الجماعات؟ وكيف يكون التَّعامل مع تلك الفِرَق والجماعات؟

الجواب: الواجب عَلَىٰ العبد أن يَتَّقي الله ما استطاع، وأن يعمل بما أمره الله به في حدود استطاعته؛ لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

وأَنْ يكون مع تلك الفِرَق إن اضطرَّ إلىٰ معاملتهم؛ فإنَّه يعاملهم بالبيع والشِّراء عَلَىٰ بُعْدٍ بدون انبساطٍ إليهم، ولا كلامٍ معهم، ولا مزحٍ، ولا شيءٍ من ذلك، هَذَا الَّذي يجب فيما أرىٰ.



السؤال٥: يقول: فضيلة الشَّيخ، في باب مُجَانبة أَهْل الأَهْوَاء وترك السَّلام عليهم، جاءت الأحاديث في المعصية، فكيف استنبط المُصنِّف من الأحاديث الحكم الَّذي ذكره في تبويبه؟

الجواب: الحقيقة هَذَا سؤالٌ هامٌّ، والنَّبيُّ ﷺ لم يردَّ السَّلامَ عَلَىٰ عمَّار بن ياسرٍ؛ لكونه كَانَ مُخْلِقًا، والنَّبيُّ ﷺ لم يردَّ السَّلامَ عَلَىٰ ذلك الرَّجل الَّذي أتىٰ وقَدْ لبس حلقة الذَّهب، والنَّبيُّ ﷺ لم يردَّ السَّلامَ عَلَىٰ الوفد الَّذين لبسوا الحرير وتَختَّموا بالذَّهب، وتلك معاصٍ، وكذلك هَجْر النَّبيِّ ﷺ لزينب بنت جحش، وتلك معاصٍ، إذًا، فكيف يُستدلُّ بهذِهِ عَلَىٰ هَجْر المُبْتدعين؟

وأقول: إنَّه إذا وجب هَجْر العاصي -مع أنَّ مَعصيته أقلُّ من البدعة- فهَجْر

المبتدع أَوْلىٰ وأعظم؛ لأنَّ المبتدع أشدُّ من العاصي، العاصي تجده يخشىٰ من معصيتِهِ، ويَسْتَحي من ذِكْرها، وهو يَهِمُّ دائمًا أنَّه يتوب ويرجع عنها، لكنَّ المبتدع لا يمكن أن يتراجع أو يستحيي من بدعته، هَذَا هو المعروف، وإذا كَانَ الهَجْر حصل عَلَىٰ هؤلاء؛ فإنَّه من باب أَوْلَىٰ أن يكون في المبتدعين.



السؤال٦: هَذَا سؤالٌ من دولة الإمارات عبر شبكة الإنترنت يقول: فضيلة الشَّيخ، ترك السَّلام عَلَى أَهْل البدع مِنْ هَجْرهم، فما ضوابط هَجْر أَهْل البدع؟ وهل يُفرَّق بين المُتأوِّل وبين مُتَّبع الهوى، وكيفيَّة التَّعامل معهم؟

الجواب: إنَّ المبتدع سواءٌ كَانَ مُتأوِّلًا ويظنُّ أنَّ تأويله هو الحقُّ، أو غير مُتأوِّلٍ، بل هو مُقلِّدٌ، ففي هذِهِ الحالة يجب أن يُعرَّف المُتأوِّل، يُعرَّف بخطأ تأويلِهِ، وإذا عُرِّف بخطأ تأويله ولم يرجع؛ فإنَّه يُعَدُّ مُصِرًّا عَلَىٰ ابتداعه، ومن أجل ذلك ينبغي هَجْره لعلَّه يرجع عن بدعته.



السؤال٧: هل يجوز تقسيم البدعة إلى قسمين: دينيَّة ودُنيويَّة؟

الجواب: البدعة لا تُسمَّىٰ بدعةً إلَّا إذا كانت في الدِّين، أمَّا في أُمُور الدُّنيا فلا يجوز أن نُسمِّيها بدعةً، فلو قلنا: إنَّ ما استُحدث في الدُّنيا من أُمُور يُقَال له: بدعةً، فإنَّه لا يجوز لنا أن نركب السَّيَّارات، ولا يجوز لنا أن نستعمل الدِّينامو لرفع الماء، وما أشبه ذلك.

والحق أنَّ هذِهِ من أُمُور الدُّنيا، ولكنَّها أُمُورٌ نافعةٌ للمسلمين، فلذلك لا نقول: إنَّ هذِهِ من البدع، بَلْ هذِهِ من المُبْتكرات الَّتي هدىٰ اللهُ البشرَ إليها؛ لينتفعوا بها، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل:٨].

وقَدْ أشار النَّبيُّ ﷺ إلىٰ ذلك بحديثه عن تقارب الزَّمَان في قوله: «**لا تقوم السَّاعة حتَّىٰ يتقارب الزَّمان، فتكون السَّنَة كالشَّهر، والشَّهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالسَّاعة، وتكون السَّاعة كالضرمة بالنَّار**»(١)، إلىٰ غير ذلك مِمَّا دلَّ عَلَىٰ هذِهِ المبتكرات الَّتي يَتمتَّع بها النَّاس، والحمد لله.

إذًا؛ فهذِهِ الأُمُور الَّتي هي نافعةٌ في الدُّنيا للنَّاس، هذِهِ لا نقول: إنَّها بدعةٌ؛ لأنَّها في أُمُور الدُّنيا، وليست في أُمُور الدِّين، وإنَّما البدعة هي الزِّيادة في الدِّين، زيادةٌ لم يأذن الله بها، ولا رسوله.



السؤال٨: يقول السَّائل: هل المقصود بلزوم السُّنَّة أن يُقصِّر المرء ثوبَه، ويُطْلق لِحْيَته، ويعمل بسائر السُّنَن الظَّاهرة؟ أم ما هو المقصود؟

الجواب: المقصود بالسُّنَّة هو ما يشمل السُّنن جميعًا، وإنما نقول ذلك، ونذكر إطلاق اللِّحْية، وتقصير الثَّوب، واستعمال السِّواك، وما أشبه ذلك من

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٢)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه»، وأحمد (١٠٩٤٣)، إلا أنه قال في آخره: «**وتكون الساعة كاحتراق السعفة**». **السعفة**: الخوصة. وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «المشكاة» (٥٤٤٨).

السُّنَن الظَّاهرة إنَّما نقوله عَلَىٰ سبيل التَّمْثيل، وإلَّا فالسُّنَن كثيرةٌ، ولكنَّها لم تخرج عن طاقة العبد.

فاللهُ ما كلَّف أحدًا منَّا بغير طاقته، فهو تعالىٰ يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وقَدْ جَاءَ في الآية الأخيرة من سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ فقال الله: «**قَدْ فعلت**»(١)، فربُّنا لم يُكلِّفنا بشيءٍ غير طاقتنا.



السؤال٩: يقول السَّائل: هل الأناشيد والتَّمْثيل مِمَّا ابتُدع لجلب النَّاس وتحزيبهم؟

الجواب: الأناشيدُ والتَّمثيلُ بدعةٌ.

أمَّا الأناشيد؛ فإنَّها من غناء الصُّوفيَّة الَّذي ابتدعوه، وابتدعوه -أوَّلًا- ليُرقِّقوا به القلوب -زعموا، ثم بعد ذلك أغراهم الشَّيْطان فطلبوا له مُنْشدًا له صوتٌ رخيمٌ(٢)، ثم بعد ذلك قالوا: مُنْشدٌ واحدٌ لا يكفي، لا بدَّ أن يكونوا جماعةً يُردِّدون، هؤلاء يقولون مَقْطعًا، وهؤلاء يقولون مَقْطعًا، ويكون أيضًا هؤلاء المُنْشِدون من الشَّبَاب الحسنة أصواتهم، والجميلة صُورهم، ومن هَذَا الكلام تَطوَّروا شيئًا فشيئًا.

أمَّا التَّمثيل فقَدْ علمتم أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا أعداء الله في كلِّ

(١) أخرجه مسلم (١٢٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) **الرَّخِيم**: الـحَسَنُ الكلام. «لسان العرب» (١٢/ ٢٣٤).

مكانٍ، ودَعَوْا كلَّ النَّاس إلىٰ الإسلام، ولم يحتاجوا إلىٰ تمثيلٍ، بل ربَّما كَانَ التَّمثيل إغراءً بمناكر، والعياذ بالله.



السؤال١٠: هَذَا سؤالٌ من منطقة العيون من الحسا المتابعين معنا عبر الشَّبكة يقول سائله: هناك كتابٌ لرجلٍ يُدْعَى «الدِّميجي»، واسم الكتاب: «الإمامة والسيادة» تكلَّم فيه عن طرق عزل الحاكم، ومنها: «العزل الجماهيري» بأن يمتنع النَّاس عن طاعته، فما القول في أمثال هذِهِ الكُتُب؛ ومنها رسائل الماجستير والدكتوراه؟

الجواب: كلُّ ما خالف كتابَ الله وسُنَّةَ رسوله ﷺ يجب رَدُّه إلىٰ كتاب الله وسُنَّة رسوله، وكتابُ اللهِ يأمر بطاعة وُلَاة الأمر، وسُنَن رسول الله ﷺ تأمر بالوفاء لهم بالبيعة والطاعة؛ سواء كانوا أَهْل عَدْلٍ أو جورٍ ما لم يُحكَم بكفرهم، فإذا حُكِم بكفرهم، جازَ الخُرُوجُ عليهم، فلا يجوز الخُرُوجُ عليهم، أمَّا ما داموا يُقِيمون الصَّلاة، فكلُّ مَنْ قَالَ قولًا خِلَافَ ذَلِكَ فقولُهُ مردودٌ عليه، ولا نقبله منه أبدًا.

فاللهُ لا يسألنا في قُبُورنا إلَّا عن رسول الله ﷺ، ولا يسألنا يوم القيامة إلَّا عنه، وكيف اتَّبعناه، قَالَ تَعَالَىٰ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢، ٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف:٦، ٧].

السؤال١١: سؤالٌ آخر من الحسا يقول سائلُهُ: فضيلة الشَّيخ، ناقشتُ رجلاً سُنِّيًّا، فقلت له عن بيعة الإمام، وأنَّه يجب عَلَيه السَّمْع والطَّاعة لوليِّ الأمر، فقال: أنا لم أبايعه، فما الرَّدُّ عليه؟

الجواب: مَنْ قَالَ هَذَا فهُوَ مبتدعٌ ضالٌّ؛ لأنَّ بيعةَ عريفه وشيخه بيعةٌ عنه، والنَّبيُّ ﷺ قَالَ: «**حتَّىٰ يرفع إلينا عُرَفاؤكم...**»(١).

فالعريف مبايعتُهُ مبايعةٌ لقبيلته، وهكذا شيخ القبيلة العام أيضًا، مبايعتُهُ مبايعةٌ لمَنْ تحت يده، فقول هَذَا الرَّجل قولٌ باطلٌ.



السؤال١٢: ما المقصود بـ (ح) في كتاب السُّنَّة من «سنن أبي داود»؟

الجواب: حرف الحاء هذا (ح)، علامةٌ عَلَىٰ تَحوُّل السَّنَد، مثلًا يقول: حَدَّثنا فلانٌ عن فلانٍ (ح)، وحَدَّثنا فلانٌ عن فلان (ح)، وحدَّثنا فلانٌ عن فلانٍ عن فلانٍ، ثمَّ بعد ذلك يقول: ثلاثتهم عن فلانٍ، ثمَّ يأتي بالسَّنَد، وهَذَا كثيرٌ في «صحيح مسلم»، وفي «سنن أبي داود»، فيه منه، لكن أكثر ما يكون من المتابعات وتَعدُّد الطُّرق في «صحيح مسلم».



---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٣٩) من حديث المسور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السؤال١٣: يقول السائل: شيخنا الفاضل، أحسن الله إليك، إنَّا نُحبُّكم في الله، وبعد: فنحن شبابٌ ملتزمون -والحمد لله- نصوم كلَّ خميسٍ، ونفطر عند أَحَدِنا، فما رأي فضيلتكم مأجورين؟

الجواب: إذا كَانَ هَذَا ليس فيه إرغامٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، فرُبَّما يُقَال: إنَّه لا بأس به، ولكنَّ الَّذي أراه: أن يصوم كلُّ واحدٍ منكم عَلَىٰ حِدته، ويفطر عَلَىٰ حِدته، يصوم متىٰ شاء، ويفطر متىٰ شاء، هذِهِ هي السُّنَّة.



السؤال١٤: يقول السَّائل: فضيلة الشَّيخ، انتشر في بعض الشَّباب -وهم قلَّةٌ- اعتزال شُهُود الصَّلَوات مع المُسْلِمِينَ في المَسَاجد، وقَدْ كَانَ بعضهم إمامًا للمسلمين في بعض المساجد؛ حيث إنَّهم يقولون: إنَّ الصَّلاة في المساجد اتُّخذت ولاءً لوُلاة الأمر، وإذا أراد ناصحٌ أن ينصحهم قالوا: نحن عَلَى الحقِّ، وإِنْ أردتَ أن نباهلك باهلناك، فكيف نتعامل معهم، وندرأ خطرهم ومفاسدهم؟

الجواب: هذِهِ هي المصيبة الَّتي نحن نُحذِّرها، إذا كَانَ هؤلاء يقولون هَذَا القول ويريدون أن يباهلوا عليه، فهَذَا أوَّل أمرهم، ثمَّ بعد ذلك يَسْتحلُّون الدِّماء، ويَسْتحلُّون تكفير المُسْلِمِينَ، والخُرُوج عَلَىٰ الوُلَاة، ونشر الفوضىٰ، وإزهاق الأرواح، وإسالة الدِّماء، ويأتي بعد ذلك الخوف بعد الأمن، وتأتي بعد ذلك أُمُورٌ، نعوذ بالله منها.

ووالله، ما هذِهِ الدَّعَوات إلَّا دعواتٌ باطلةٌ، وهَذَا هو قول الخوارج، وهذِهِ هي نِحْلة الخوارج الَّذين كفَّروا أصحابَ رسول الله ﷺ، وكفَّروا

الخليفة عليَّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، هؤلاء مُبْطلون ضالُّون، نسأل الله أن يَكْبتَهم، وأن يكفي المُسْلِمِينَ شَرَّهم.



السؤال١٥: يقول السائل: فضيلة الشَّيخ، هل كتبتم في المناهج المخالفة لعقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعة مُؤلَّفًا؟

الجواب: نعم، والحمد لله، واسألوا دار الفرقان، وعندها الكتابات الَّتي كَتَبْتُها، وسَتَطَّلعون عَلَىٰ ذلك(١).



السؤال١٦: مجموعةٌ من الشَّباب يضعون مسؤولاً لهم للدَّعوة فيما بينهم، ويستأذن منه الشَّبَاب، ولا يستأذن من والديه في أُمُورهم، ويجعلونه المرجع، ويرون أنَّ هَذَا من التَّربية، فما حكم هذِهِ الطَّريقة، أبدعيَّةٌ أم سُنيَّةٌ؟

الجواب: هذِهِ طريقةٌ بدعيَّةٌ، وهَذَا شيءٌ قَدْ عرفناه من زمنٍ طويلٍ، وأذكر أنَّا مرَّةً اجتمعنا مجموعةً في التَّوعية الإسلامية بمكة، فقال بعض الحاضرين الَّذين كانوا معنا، وكنَّا في شُقَّتين متقابلتين: «أنت أميرنا»! فقلت لهم: اتقوا

(١) من الكتب المنهجية التي قامت بطباعها دار الفرقان بعجمان في دولة الإمارات لشيخنا أحمد النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب «المورد العذب الزلال فيما انتقد علىٰ بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال»، وكتاب «الرد الشرعي المعقول علىٰ المتصل المجهول»، وكتاب «رد الجواب علىٰ من طلب مني عدم طبع الكتاب»، وكتاب «الفتاوىٰ الجلية عن المناهج الدعوية»، جميعها مطبوع بدار المنهاج للنشر والتوزيع بالقاهرة.

الله يا عباد الله، ما فيه إمارة في الحضر، وبَقَوْا كلَّ ما أراد الواحد منهم أن يخرج، يقول: «عن إِذْنَك، أنا أريد كذا وكذا»، وقَدْ حصل هَذَا قَبْل حوالي ما يقارب خَمْسَ عشرةَ سنةً[1]، وبعد ذلك ظهر بعضهم عَلَىٰ فكر الخوارج.



السؤال١٧: يقول السائل: هل أَهْل الفترة في النَّار أم في الجنَّة؟

الجواب: الحُكْم عَلَىٰ هَذَا يحتاجُ إلىٰ دليلٍ، ولذلك فَقَد اخْتلَفَ أَهْل العلم في المجنون الَّذي يعيش مجنونًا، ويَمُوت مجنونًا، وفي الأطفال الَّذين يَمُوتُونَ دون الحُلُمِ من المشركين، هل هؤلاء يَكُونُون من أَهْل الجنَّة أم من أَهْل النَّار؟

حصل خلافٌ في هذا، وقَدْ وردت أحاديثُ فيها شيءٌ من الضَّعْف في أنَّ هؤلاء يُمْتَحنون يوم القيامة، وكذلك أَهْل الفترة، وأنَّ الله يأمرهم أن يَدْخلوا النَّار، فمَنْ أَطَاع ودَخَل، أخرجه الله منها، ومَنْ أَبَىٰ، أُدخل النَّار راغمًا، ولكن يظهر لي أنَّ أَهْل الفترة في النَّار كَمَا أخبر النَّبيُّ ﷺ حينما أتاه رجلٌ، فقال: يا رسول الله، أين أبي؟ قَالَ: «**في النَّار**».

قال: فكأنَّما وقع حرٌّ بين جلد وجهي ولحمه، فأردت أن أقول: وأباك، فرأيت الأخرىٰ أجمل، فقلت: وأهلك؟

---

(١) علمًا بأن الشيخ أجاب علىٰ هذا السؤال عام ١٤٢٢هـ بالدورة العلمية الأولىٰ المقامة في جامع معاوية ابن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بحفر الباطن.

فقال ﷺ: «**إنَّ أبي وأباك في النَّار، بربِّك، إذا ما مررت بقبر قرشيٍّ أو ثقفيٍّ فقل له: إنَّ رسول الله ﷺ يُبشِّرك بالنَّار**»، والحديث في «صحيح مسلم»(١). وفي روايةٍ: «**حيثما مررت بقبر مشركٍ، فبَشِّره بالنَّار**»(٢).

وحديث آخر: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ في مسيرٍ (يعني: في سفر)، فمَرُّوا بالأبواء، فذهب إلىٰ المقبرة، وتبعه أصحابه، فجعل يَتخَطَّىٰ القُبُور حتَّىٰ وصل إلىٰ قبر، فجلس حوله، فبكىٰ وأَبْكَىٰ مَنْ حوله، ثمَّ قَالَ: «**استأذنتُ ربِّي أن أستغفرَ لأُمِّي، فلم يأذن لي، واستأذنتُهُ أن أزور قبرها فأذن لي**»، والحديث أيضًا في «صحيح مسلم»(٣).

ومعلومٌ أنَّ أبا النَّبيِّ ﷺ وأُمَّه من أَهْل الفترة، إذًا، فالقولُ في أَهْل الفترة بأنَّهم في النَّار، وأنَّ العقائد لا يُعذَر فيها بالجهل، لعلَّه هو الأقرب.

أمَّا تلك الأحاديث الَّتي وردت في الامتحان عَلَىٰ ضَعْفها، فرُبَّما يُقَال بها في الأصم أو الأحمق الَّذي يحتجُّ يوم القيامة، فيقول: «ربِّ لقَدْ جَاءَ الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر»(٤)، وعند ذلك يُمتَحن.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣).

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٥٧٣). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١٠١): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، محمد بن إسماعيل وَثَّقه ابن حبان، والدارقطني، والذهبي، وباقي رجال الإسناد علىٰ شرط الشيخين».

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٨١)، وأبو نعيم الأصبهاني (٨٥٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٩) من حديث الأسود بن سريع، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٨٨٣).

وأمَّا أطفال المشركين، فَوَرَد فيهم حديثان صحيحان متعارضان، حديثٌ جَاءَ فيه أنَّهم مع آبائهم، وحديثٌ آخر وهو في «صحيح البخاري» وهو حديث سَمُرة في رؤيا النَّبيِّ ﷺ الطَّويلة، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ سأل جبريل وميكائيل، فأخبراه، وقالا له: «**وأمَّا الرَّجل الطَّويل الَّذي في الرَّوضة؛ فإنَّه إبراهيم ﷺ، وأمَّا الوِلْدَان الَّذين حوله، فكلُّ مولودٍ ماتَ عَلَىٰ الفطرة**»[1].

هَذَا الحديث أتىٰ به البخاريُّ في آخر كتاب الجنائز، وأَوْرَدَهُ في تعبير الرُّؤيا، وهو يدلُّ عَلَىٰ أنَّ أبناء المشركين داخلون فيمن يموتون دون الحُلُم، وأنَّهم يكونون في الجنَّة، ولكن ليسوا في الجنَّة كالنَّاس الَّذين عبدوا الله بعد البلوغ، فهؤلاء يُثَابون، بل يكونون خَدَمًا لأَهْل الجنَّة.

والكلام حول هذِهِ المَسْألة كثيرٌ، والاختلاف كبيرٌ، فَقَدِ اختار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ الامتحان لأَهْل الفترة، وَتَبِعهُ عَلَىٰ ذلك كثيرٌ من أَهْل العلم، ولكن الَّذي ظهر لي -بعد البحث- ما قلتُهُ لكم، وأسأل الله أن يكون صوابًا، والبحث حول هَذَا الموضوع موجودٌ في آخر كتاب «طريق الهجرتين» لابن القَيِّم، وموجودٌ أيضًا في «فتح الباري»، وموجودٌ في تفسير «أضواء البيان» للشنقيطي في تفسير سورة «سبحان».



(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧)، من حديث سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

السؤال١٨: سؤالٌ من الحسا يقول سائله: كيف يتعامل مَنْ يقيم في الغرب مع الكُفَّار بالنِّسبة للسَّلام، وردِّ التَّحيَّة؟

الجواب: الَّذي يقيم في الغرب رغبةً في البقاء بين الكُفَّار، هَذَا ربَّما يُقَال: إنَّه مخطئٌ، وإنَّ تَرْك السَّلام عَلَيه أَوْلَىٰ إن كَانَ يضمن المصلحة، أمَّا إذا كَانَ هَذَا مضطرًّا إلىٰ هَذَا الَّذي حصل منه، وفعله مضطرًّا إليه اضطرارًا؛ فلا أرىٰ في السَّلام عَلَيه مانعًا.



السؤال١٩: هَذَا سؤالٌ من الكويت عبر الشَّبكة يقول سائله: إنَّ عندهم شخصًا يُدْعى عبد الله الفارسي، يقول: إنَّ كلَّ مَنْ عنده حقٌّ فإنه يُثنى عليه، مثل: حسن البنا، وسيد قطب، والجهم بن صفوان، وإبليس!

الجواب: حسبنا الله ونعم الوكيل، ونسأل الله السَّلامة، إنْ كَانَ هَذَا هو الرَّجل الَّذي الْتَقَيْتُ به، فقَدْ عرفته من أَهْل السُّنَّة، ونقلتُ عنه في «الرَّدُّ الشَّرعيُّ المعقول» قِصَّتين، كلتاهما تدلُّ عَلَىٰ بطلان ما عَلَيه أَهْل البدع.

والظَّاهر، إذا كَانَ هَذَا الرَّجل هو، فنَقُولُ: ينبغي أن نُكْثِرَ من الدُّعاء أن يحفظنا الله، ويُثَبِّتنا ويعصمنا، ونعوذ بالله من تقليب القلوب بعد استقامتها، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.



السؤال٢٠- يقول السَّائل: فضيلة الشَّيخ، السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وبعد: قول سفيان الثَّوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخلفاء خمسةٌ، وذكر منهم عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أليس في هَذَا تَنقُّصٌ لقَدْر معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فإنَّه أَوْلَى بهَذَا الوصف من عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث إنَّه صحابيٌّ وخَالُ المُؤمنين، وأيضًا زمنُهُ أفضل من زمن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث إنَّ الصَّحابةَ مُتَوَافرون؟

الجواب: استدراكٌ وجيهٌ فيما أرىٰ، ففي خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خيرٌ كثيرٌ، حيث هدأت الأُمَّة، واستراحت من الخلافات الَّتي كانت بينها، واتَّجَهتْ إلىٰ الفُتُوحات، ولكنَّهم فَضَّلوا خِلافة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأَلْحَقَه بعضُهم بالخلفاء الرَّاشِدين؛ لِمَا وقع في خلافته من الإصلاحات وردِّ المظالم؛ لأنَّ بعض خلفاء بني أُميَّة كَانَ قَدْ حصل منهم ما حصل من الإقطاعات الَّتي أُخذ فيها حقوقٌ للغير كَمَا يُقَال.

عَلَىٰ كلِّ حالٍ، تلك أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، لها ما كَسَبَتْ، وعليها مَا اكْتَسَبَتْ، ونَسأل اللهَ أن يُلْحِقنا بالصَّالحين.



السؤال٢١: يقول السائل: يا شيخ، جزاك الله خيرًا عَلَى هذِهِ الزِّيارة، وأَتمنَّى أن تَتكرَّر لأنَّا استفدنا منك، السُّؤال: لماذا قيل في السَّنَد: «علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»، وهل هَذَا جائز؟

الجواب: تخصيصُ عليٍّ بالصَّلاة والسَّلام، وجَعْله سُنَّةً، هَذَا من عمل الشِّيعة، وليس من عمل أَهْل السُّنَّة، فأَهْلُ السُّنَّة يرون أنَّ الشِّعار الَّذي مضت

عَلَيه أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ: أنَّ الأنبياء هم الَّذين يُخصَّصون بالصَّلاة والسَّلام عليهم، والصَّحابة يُخصَّصون بالتَّرضِّي عليهم، ومَنْ عداهم فإنَّه يُترحَّم عليه.

هَذَا الشِّعار لا ينبغي العدول عنه، لكنَّهم يرون أنَّه لو دعا عبدٌ لآخر، وقال: رضي الله عنه، فإنَّ دعاءه هَذَا جائزٌ، وليس فيه مانعٌ، لكن لا يُتَّخذ هَذَا سُنَّةً ماضيةً يُجرَىٰ عليها دائمًا.



السؤال٢٢: قوله في الحديث: «وما أراه أن يرتفع له مع هَذَا عملٌ إلى السَّمَاء»، هل فيه دليلٌ عَلَى كُفْرِ مَنْ قَدَّم عليًّا في الولاية عَلَى أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهم؟

الجواب: لا أجرؤ أن أُكفِّره بهذا، ولكنَّ الرَّافضة عندهم ما يُوجِب الكفر غير هَذَا كثيرٌ.



السؤال٢٣: يقول السائل: يُشْكل عليَّ قولكم: إنَّ السِّتَّة أَهْل الشُّورى هم من العشرة المُبشَّرين، ومعلومٌ أنَّ سعيد بن زيدٍ لم يكن مع السِّتَّة.

الجواب: سعيد بن زيدٍ، الظَّاهر أنَّه كَانَ من السِّتَّة الَّذين أوصىٰ إليهم عمر رضي الله عنه، ولكن هؤلاء السِّتَّة رجَّعوا أمرهم لثلاثةٍ[1].

(١) هم: عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وبقية السِّتَّة من أهل الشورىٰ هم: الزُّبير بن العوام، وسعد بن أبي وَقَّاص، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعًا. انظر البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق علىٰ عثمان رقم (٣٤٩٧)، وأيضًا في كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس رقم (٦٧٨١).

السؤال٢٤: يقول: ما معنى «الأَسقف» في الحديث الأخير؟

الجواب: الأسقف هو العَالِم عند النَّصارىٰ، فالعَالِمُ يُسمَّىٰ أسقفًا.



السؤال٢٥: هل يُقَال عمَّنْ ثبت نَسَبُهُ إلى قريشٍ في هَذَا الزَّمان أنَّه من أَهْل البيت؟

الجواب: لا، أَهْل البَيْت هُمْ بَنُو هاشم، وبَنُو المُطَّلب، هؤلاء الَّذين تَحْرُم عليهم الصَّدَقة، ويأخذون الفيء، ويخرج منهم بنو عبد شمس، وبنو عبد الدَّار.

اللَّهمَّ صلِّ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسَلِّمْ تسليمًا كثيرًا.



السؤال٢٦: يقول السَّائل: كيف نجمع بين حديث: «لا تَسبُّوا أصحابي»، وبين حديث: «وإنَّ من ورائكم أيَّام الصَّبر، الصَّبر فيهنَّ مثل قبضٍ عَلَى الجمر، للعامل فيهنَّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»، قالوا: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قَالَ: «لا، بَلْ أَجْر خَمْسِينَ منكم»[1]؟

الجواب: إنَّ التَّفضيلَ الخَاصَّ لا يُعَارض التَّفضيل العامَّ، بل التَّفضيل العامُّ مُقدَّمٌ عَلَىٰ التَّفْضيل الخاصِّ.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «ضعيف الجامع» (٢٣٤٤).

السؤال٢٧- يقول السَّائلُ: أما يعارض حديث سلمان(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما وَرَد عن النَّبيِّ ﷺ حينما قَالَ لعبد الله بن عمرٍو: «اكْتُبْ، فوالَّذي نَفْسي بيدِه، ما يَخْرج منه إلا حقٌّ»(٢)؟

الجواب: المراد بحديث عبد الله بن عمرو في التَّشْريع: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣، ٤].



السؤال٢٨- يقول السَّائل: أخرج البخاريُّ في «تاريخه»، والطَّبرانيُّ في «مسند الشَّاميين» وصَحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة»(٣) أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ في عَبْد الله بن بُسْر: «يعيش هَذَا الغُلام قرنًا»، فعاش مئةَ سنةٍ، فهَلْ هَذَا يَتعارض مع قول النَّبيِّ ﷺ: «أعمار أُمَّتي ما بين السِّتِّين والسَّبعين»؟

الجواب: لا يتعارض، وهَذَا لا يخالف ما قلنا من أنَّ القرن سبعون سنةً، وأنَّ معترك أعمار أُمَّة النَّبيِّ ﷺ ما بين السِّتِّين إلىٰ السَّبعين، فلهَذَا رجَّحته من هَذَا الوجه.



(١) يعني قول سَلْمَان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الباب السَّابق، وهو بابٌ في النَّهي عن سبِّ أصحاب رسول الله ﷺ: «إنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَغضبُ، فيَقول في الغَضب لناسٍ من أصحابه، ويرضىٰ، فيقول في الرِّضا لناسٍ من أصحابه...»، الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (١٥٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٢٣)، و«الصغير» (٩٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٨٣٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٢٦٦٠).

السؤال٢٩- هَذَا سؤالٌ من بريطانيا، يقول سائلُهُ: ما الفرق بين الواجب والفرض؟

الجواب: الوَاجِبُ دُونَ الفَرْض عند قَوْمٍ، وهُوَ يُسَاوي السُّنَّة المُؤكَّدة، وحتَّىٰ مَنْ يَجْعلونَ الفرضَ والواجبَ سواءً (وهم الشَّافعيَّة)؛ فإنَّهم يَقُولون: إنَّ الواجبَ درجاتٌ، وإنَّ الفرضَ أَعْلَىٰ من الواجب.



السؤال٣٠- هَذَا سائلٌ يقول: يقول أحد الدُّعاة في شريط: «كيف تكون جبانًا»: وإنَّ حَسَّان بن ثابتٍ جبانٌ، لا يصلح للقتال، ولذلك يُتْرَك مع النِّساء، وفي موضعٍ آخر: إنَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمسكه من تلابيبه وأخذ يَجرُّه كالتَّيس، والعياذ بالله، وكذلك يَتَّهم بلالاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِشَدِّ الرِّحال لقبر الرَّسول ﷺ من الشَّام إلى المدينة لزيارة قبر الرَّسول ﷺ.

وكذلك يقول: إنَّ هنالك رجلاً يُقال له: طارق السويدان، يَطْعن في الصَّحابة، يطعن في مُعَاوية، وعلي بن أبي طالب، وعُثْمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويَقُول السَّائل: كثر عند الإخوان المُسْلِمِينَ في هَذَا الزَّمان ومَنْ تَأثَّر بدعوتهم الطَّعْن في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فما أسباب ذلك؟

الجواب: الطَّعْن في الصَّحابة لا يجوز، وفِعْل طارق السويدان خطأٌ، وأَهْل السُّنَّة والجَمَاعة يقولون: ما جَرَىٰ بين الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نَسْكت عنه.

وأَمَّا ما ذُكر عن حَسَّان بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهَذَا كذبٌ؛ وذلك لأنَّ الشِّيعة من

زَمَنٍ قديمٍ يَتَّهمون حَسَّان بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنَّه عثمانـيٌّ، وأنَّه كَانَ منصرفًا عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلذَلِكَ قَالُوا فيه ما قَالُوا.

أمَّا الجبن والشَّجاعة فهذان أمران ليس للعبد فيهما ذنبٌ؛ لأنَّ الجبن والشَّجاعة غريزتان في العبد، يخلقهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه يَوْم يَخْلُقُه، فكون العبد جبانًا هَذَا لا يكون من عملِهِ، ولكن يكون من خَلْق الله، ومن الغَرَائز والطَّبائع الَّتي يَخْلقها الله في العَبْد، فلَيْسَ له فيها ذنبٌ، لكن كونه يُقَال في أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ هَذَا الكَلَام أَوْ غَيْره من الكَلَام الَّذي يُؤدِّي بالنَّاس إلىٰ الاسْتِخْفَاف بأَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ، وَاسْتِضْعَافهم، فهَذَا أمرٌ لا يَجُوزُ.

وقَدْ ردَّ عَلَىٰ طارق السويدان الشَّيخ أحمد بن عبد العزيز التويجري حفظه الله، وهو رجلٌ سلفيٌّ، ردَّ عَلَيه في جُزْءَين مَوْجُودَين، فلعلَّكم إذا طَلَبتموهُمَا تَجدُوهُمَا.



السؤال٣١: هَذَا سؤالٌ من دولة الكويت يقول سائلُهُ: ما قولكم فيمَنْ يقول: قَدْ يأتي بعد الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَنْ هو أفضل من بعضهم في بعض مقامات الإيمان؛ كالعلم، والجهاد، والعبادة، ويقول: «إنَّ جنس الصَّحابة أفضل من جنس مَنْ بعدهم»؟

الجواب: هَذَا قَدْ يكون له شيءٌ من الحقيقة؛ لقَوْل النَّبيِّ ﷺ: «**رُبَّ حامل فِقْهٍ إلىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَه منه**»[1].

(١) أخرجه أحمد (٢٥١٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٢١/ ٩١)، وفي «الأوسط» (٥١٧٩)، وصحَّحه الألبانيُّ

وقَدْ ظَهَر في عَصْر التَّابعين وأَتْبَاع التَّابعين مِنْ حُفَّاظ الفقه ورجال الاستنباط مَنْ بَرزَ في ذلك، لكنَّا لا نقول: إنَّه أفضل من الصَّحابيِّ الَّذي نقل الحديث، فالصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم لهم فضلٌ لا يبلغه أحدٌ أبدًا، وكون رجلٍ مِمَّنْ جَاءَ بعدهم بَرَز في أمرٍ من الأُمُور، هَذَا ليس معناه أنَّه يكون أفضل منهم، ولكن فضل الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أعمُّ وأفضل، وقَدْ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**والَّذي نَفْسي بيدِهِ، لو أَنْفقَ أَحدكُمْ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أَحَدهم، ولا نَصِيفَهُ**»(١).



السؤال٣٢: يقول السائل: يا شيخ، حفظكم الله، ونفع بعلمكم الأُمَّة، إذا حلفَ رجلٌ بالله أكثر من مَرَّةٍ، ولم يفعل ما حلف عليه، ولم يُكفِّر عن اليمين، ولا يعلم الآن كم يمين عليه، فماذا يجب عليه؟

الجواب: يَجْتهد، ويُقدِّر، ويَدْفع الكَفَّارات، ثمَّ بَعْد ذلك يَسْتَغفر الله، ونَرْجو من الله عَزَّ وَجَلَّ أن يغفرَ له.

اللَّهمَّ صلِّ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصَحْبه وسَلِّم.



=

رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٤٠٥).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، واللفظ له، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السؤال ٣٣ : يقول السائل: ورد في الحديث: «أنَّ الله يُخْرِج من النَّار مَنْ كَانَ في قلبه مثقال حَبَّة خيرٍ مِنْ إيمانٍ[1]»، فهل هَذَا الخير خاصٌّ بمَنْ أسلم ومات عَلَى الإسلام، أم أنَّه عامٌّ في كلِّ النَّاس حتَّى مَنْ يموت وهو كافرٌ ولكن في قلبه خيرٌ؟

الجواب: لَا، لَيْسَ بعَامٍّ، بَلْ هُوَ خاصٌّ فيمَنْ مَاتَ عَلَىٰ الإِسْلَام، وعَلَىٰ التَّوحيد.



السؤال٣٤- لماذا لم يُذكَر الحجُّ في حديثِ وفدِ عبدِ القيس؟

الجواب: إِنْ لم يُذْكر فِي هَذَا، فقَدْ ذُكِرَ في غَيْره.



السؤال٣٥- هل الحوت «نون» هو المقصود في سورة القلم في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:١]؟

الجواب: لَا أَدْري ، واللهُ أَعْلَمُ.



السؤال٣٦- ما رأيكم فيمَنْ يصف الإمامَ الألبانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّه مرجئٌ، مع أنَّ سماحة الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين -رحمهما الله- في حياتهما لم يذكرا ذلك عنه، بل ذكرا عنه كلَّ خيرٍ، فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: رَأْيُنَا في ذلك أنَّ مَنْ يقول هَذَا الكلام؛ فإنَّه قَدْ ظلَمَ الألبانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

وإنَّ الألبانـيَّ رَحِمَهُ اللهُ قَدْ حبس نفسه سبعين عامًا في خِدْمَة السُّنَّة، وعمل أعمالًا يُشكَر عليها، وقَدْ لا تجدها لأحدٍ غيره، وإذا نظرت في سيرة الأَوَّلين والآخرين، لا تجد لأحدٍ خدمةً للسُّنَّة كَمَا خَدَمَ.

إذًا؛ فمَنْ يقول هَذَا فقَدْ ظَلَمَ الألبانـيَّ رَحِمَهُ اللهُ بهَذَا القول، وسيَلْقىٰ جزاءه، الألبانـيُّ رَحِمَهُ اللهُ يقول: إنَّ الإيمان يزيد وينقص، ويقول: إنَّ العمل من الإيمان، إلَّا أنَّه قَالَ في الصَّلاة كَمَا قَالَ غيرُهُ من الأئمَّة بأنَّ تَرْكَها تكاسلًا لا يُعَدُّ كفرًا، قَالَ هَذَا ورَجَّحه كَمَا قَالَ غيره.

فَالَّذي يَقُولُ بأنَّه مرجئٌ؛ في نَظَري أنَّه ظَلَم الألبانـيَّ رَحِمَهُ اللهُ بهَذَا القَوْل، وسيُحَاكمه الألبانـيُّ رَحِمَهُ اللهُ بين يدي ربِّه، كذلك أيضًا قرأتُ ما كَتَب جماعةٌ، فلم أرَ فيه ما يوجب هَذَا القَوْلَ، وحَسْبنا الله ونِعْمَ الوكيل، وإنَّما الشَّيْطان يريد أن يُفرِّق أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة، وإخوانُ الشَّياطين من الحِزْبيِّين ومَنْ تَعَاطف مَعَهمْ لعلَّ لهم يدًا في هذا، نَسْأل اللهَ أَنْ يُصْلح الأَحْوالَ.



السؤال٣٧- في قوله ﷺ: «مَنْ أحبَّ في الله»، الحديث[1]، هَل مَنْ وُجِدَ في قلبه حبٌّ لأَهْل الأَهْوَاء والأحزاب، أن ذلك نقص في إيمانه ودينه؟

الجواب: لا شكَّ في ذلك.



(١) أخرج الطبراني في «الأوسط» (٩/ ٤١) (٩٠٨٣) عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قَالَ: «**من أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطىٰ لله، ومنع لله- فقد استكمل الإيمان**».

السؤال٣٨- هَذَا سؤالٌ من الكويت عبر الشَّبكة، يقول سائلُهُ: عندنا رجلٌ في الكويت يُدْعَى مُحمَّد الحمود النَّجدي، يقول في إحدى كتاباته عن سيد قطب بأنَّه لا ينبغي لأيِّ طالبِ علمٍ أن تخلو مكتبتُهُ من كتاب: «في ظلال القرآن».

فيقول السائل: هل نترك الشَّباب يحضرون دروسه أم ماذا؟

الجواب: أقول: نَعُوذُ بالله من العَمَىٰ، ونَسْأل اللهَ العفوَ والعافيةَ، الَّذي يُكفِّر المُسْلِمِينَ، ويقول: إنَّ المُسْلِمِينَ كلَّهم قَد ارْتدُّوا عن الإِسْلَام، فكَيْف يُقَال عنه: لا يَنْبغي لأيِّ طالبِ عِلْمٍ أَنْ تَخْلو مكتبتُهُ من كتاب «في ظلال القُرْآن»؟!

نَعُوذُ بالله من هَذَا الضَّلال ، هَذَا أَعْمَىٰ، ولا يَنْبغي لِطَالِبِ عِلْمٍ أن يأتي إلىٰ مِثْل هَذَا.



السؤال٣٩- يقول السائل: هل موسى بن عمران أخٌ لمريم بنت عمران؟ وإذا لم يكن، فكم بينهم؟

الجواب: أذكر لكم قِصَّةً في هذا، وهو أنَّ من فضل الله عليَّ أنِّي كُنْت أَشْرَح «صحيح البخاري» في المَسْجد ما بَيْن أَذَان العِشَاء والإِقَامَة، وقَدْ نُطيل في الشَّرح إلىٰ ساعةٍ إلَّا ربعًا، فأَتيْنَا في باب الأَنْبيَاء إلىٰ مَرْيم بنت عمران، فَقَالَ رجلٌ من الحَاضِرينَ: مَرْيم بنت عمران قِيلَ لَهَا حينما أَتَتْ بعيسىٰ تحملُهُ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم:٢٨].

وَهِيَ مَرْيم بنت عمران، إذًا، فهي أُخْت مُوسَىٰ وهَارُونَ. قلتُ له: لَا، فنازَعَني في هَذَا، فذهبتُ ورجعتُ إلىٰ تَرْجمة مُوسَىٰ وهَارُون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في: «البداية والنهاية»، وإلىٰ ترجمة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ فيها، وإِذَا بابْنِ كثيرٍ يَقُول: إنَّ بَيْنَ مُوسَىٰ بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ وبَيْنَ عيسىٰ أَلْف وتسع مئة سنةٍ، يَعْني: مثل المُدَّة الَّتي ما بَيْن عيسىٰ وزَمَننا هَذَا، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ أنَّ مُوسَىٰ بن عمران ليس أخًا لمَرْيم بنت عمران إلَّا أنَّهم يَتسمَّوْنَ بأَسْمَاء أَنْبيَائِهِمْ، والأَسْماءُ كثيرةٌ.



السؤال٤٠- هَذَا سؤالٌ عبر الشَّبكة من الكويت، يقول سائله: تَكلَّمتم أمس عن حديث: «فإنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1]، ولم نفهم ما قلتم حفظكم الله، واستشكل علينا شيئان؛ الأوَّل: هل المقصود بقوله: «فإنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» هم الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

الثَّاني: هل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُعذَّبون في الآخرة؟

الجواب: وَضَّحْتُ أمس في الأخير أنَّ قول النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّهم أَصْحَابي**»، أو: «**أُصَيْحَابي**»؛ ليس معنىٰ ذلكم أنَّهم الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا قَالَ له الصَّحَابة رِضْوَان الله عَلَيهم: «كَيْف تَعْرف مَنْ لم يأتِ بَعْد من أُمَّتك يا رَسُولَ الله؟»

فقال: «**أرأيت لو أنَّ رجلًا له خيلٌ غرٌّ مُحجَّلةٌ بين ظهري خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ،**

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٢٩٥)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أَلَا يعرف خيله؟». قَالُوا: بَلَىٰ يا رَسُولَ الله. قَالَ: «**فإنَّهم يأتون غرًّا مُحجَّلين من الوضوء**»(١).

فكون النَّبيِّ ﷺ عرف أنَّهم من أصحابه؛ لأنَّ فيهم علامة أصحابه، وَلكنَّهم أَتَوْا أُمُورًا أوجبت حِرْمَانهم من الشُّرْب من حوض النَّبيِّ ﷺ، وقالت الملائكة: «إنَّهم أَحْدَثوا بَعْدك».

فالأَمْر في هَذَا واضحٌ، يَعْني كَوْنهم أَحْدَثوا بَعْده، مَعْناه أَنَّهم اسْتَحقُّوا دخول النَّار مُؤقَّتًا، ثمَّ بَعْد ذلك يَدْخلونَ الجنَّة.



السؤال٤١: يقول السائل: فضيلة الشَّيخ، أحسن الله إليكم، ونفع بكم، هل هناك تكفيرٌ في مسائل الخلاف؟

الجواب: يقع الخلاف فيها -غالبًا- ولا يكون فيها تكفيرٌ.



السؤال٤٢: يقول السائل: هل مَنْ وَقَعَ في كفرٍ أو تكلَّم بكفرٍ، هل يُكفَّر عَلَى سبيل التَّعْيين؟

الجواب: يُكفَّر حتَّىٰ يتوبَ إذا وَقَع في الكُفْر؛ كالاستهزاء بالدِّين، إذا قصد به الاستهزاء والاستهانة بالدِّين، أو سخر منه، فهَذَا يُعتَبر كُفرًا، أو مَنْ سبَّ الرَّسول ﷺ، فهُوَ يُعتَبر كافرًا حتَّىٰ يعود ويتوب، لكن مَنْ سبَّ الرَّسول أو نبيًّا

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من الأنبياء رجَّح شَيْخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه ليس له توبةٌ، وأنَّه يُقتَل حدًّا كَمَا فِي كتابِهِ : «الصَّارم المسلول عَلَىٰ شاتم الرَّسول».



السؤال٤٣: يقول السائل: رجلٌ سُنِّيٌّ قَالَ لأَحَد الرَّوافض الشِّيعة: أنت كافرٌ، فهل عَلَيه شيءٌ من ذلك؟

الجواب: إِنْ كَانَ هَذَا من الرَّوافض الَّذين يَعْتَقدون اعتقاداتٍ تُوجِب الكفر، والغالب أنَّهم كلُّهم كذلك[1]، أمَّا ازْدِرَاء الشَّيْخين أبي بكرٍ وعُمَر، فكُلُّهم مُجْمِعون عليه[2] إلَّا الزَّيديَّة؛ فإنَّهم لا يَسبُّون إلَّا عَمْرو بن العاص، ومُعَاوية، وعَائشة، وأَمْثَال هَؤُلَاء الَّذين كَانُوا مع مُعَاوية في زمنِهِ.



السؤال٤٤- هَذَا سؤالٌ عبر الشَّبكة من الإمارات، يقول سائلُهُ: فضيلة الشَّيخ، ما رأيكم فيمن يقول: كُتُبُ ابن حزم والشَّوكاني تُعلِّم الجرأة عَلَى السَّلف، فما صِحَّة هَذَا الكلام؟

الجواب: عَلَىٰ كلِّ حالٍ رُبَّما يكون هَذَا فيه شيءٌ من الحقيقة فِي حقِّ ابن حزم، أمَّا الشَّوكانيُّ فلا، الشَّوكانيُّ لو حصل منه شيءٌ فهو رُبَّما يُقَال: إنَّه في مَحلِّه، لكن ابن حزم لا شكَّ أنَّ لسانه سليطٌ عَلَىٰ السَّلف، ولكنَّه في كتابه

---

(١) أي: كفارًا باعتقادهم ما يوجب الكفر.

(٢) أي: الشيعة مجمعون علىٰ سبِّ أبي بكر وعمر إلا الزيدية.

«المحلىٰ» وفي علمه جَيِّدٌ، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ورُبَّما كانت هذِهِ المقالة فيها صرفٌ عن كُتُبهما.

والحقيقة كتاب: «المُحلَّىٰ» كتابٌ جَيِّدٌ وعظيمٌ، وإِنْ كَانَ ابنُ حزمٍ قَدْ يَهِمُ فيه أوهامًا، ويُضعِّف أيضًا الحديث الصَّحيح، أو يُصحِّح الحديث الضَّعيف، ويُنْتقَد في بَعْضها، ويُتكلَّم عَلَىٰ المُخَالفين له، ولكن فيه خيرٌ كثيرٌ، وفيه علمٌ كثيرٌ، ويَنْبغي للإنسان أن يَقْرأَه، وأن يَجْتنبَ طَريقتَهُ، وسَلَاطةَ لسانِهِ، وكَلَامه عَلَىٰ الأئمَّة رحمهم الله؛ ويَنْبغي أن نَدَع طَريقتَهُ عَلَىٰ جانبٍ، ونأخذ منه ما يَنْبغي أن يُؤخَذ من العِلْمِ.



السؤال٤٥: يقول السَّائل: أحسن الله إليكم، إنِّي شابٌّ أرغب في طلب العلم الشَّرعيِّ، وبالسَّيْر عَلَى منهج الصَّحَابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إلا أنَّ في بلدي عِدَّة جَمعيَّات خيريَّة كجمعيَّة إحياء التُّراث الإسلاميِّ وغيرها، وكلُّهم يلزمونني بالسَّيْر معهم دون غيرهم، ولقَدْ سمعت من بعض طُلاب العلم أنَّ هؤلاء حِزْبِيُّون، فماذا تنصحونني؟

الجواب: أَنْصَحك أن تَتَّبع رَسُولَ الله ﷺ، وأن تَتَّبع أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة، وأَنْ تترك هَؤُلَاء الَّذين عندهم ما عِنْدهُمْ من التَّحزُّب، وأَنْ تكونَ سَلفيًّا، وأن تُلَازم بعض الشُّيُوخ السَّلفيِّين لعلَّ الله أن يَنْفعكَ بذلك، أَمَّا كونك تَلْتحق بجمعيَّةٍ من هذِهِ الجمعيَّات فلا أَرَىٰ لَكَ هَذَا؛ فإِنَّهم إِنْ أَعْطَوك شيئًا من المُسَاعدة، فإِنَّهم يُلْزمونَك بها حتَّىٰ تكونَ مَعَهمْ.

ولَقَدْ بَلَغني عن بعض الجَمعيَّات باليمن -مثلًا كالسُّروريِّين- أَنَّهم يأتون

إلىٰ الواحد من طُلَّاب العلم ويدعونه إلىٰ الالتحاق بهم، ويُرغِّبونه، ويعطونه المال، ثمَّ يكتبون هَذَا المال عليه، فإن كَانَ بحاجةٍ إلىٰ بيتٍ، أَعْطوه مبلغًا من المال ليبني به بيتًا، وإن كَانَ بحاجةٍ إلىٰ سَيَّارةٍ، أَعْطوه مبلغًا من المال؛ ليشتري به دبَّابًا أو سَيَّارةً، أو نَحْو ذلك، وهكذا يَكْتبونها عليه.

فإذا وجد طالب العلم الحقيقة، وأرادَ أَنْ يَعْدل عَنْهم إلىٰ غيرهم، قالوا له: هات الَّذي عندك كلَّه؛ الأوَّل والأخير، والَّذي قَدْ كتب عليك ما دام أنت تريد أَنْ تتركنا، فهات الَّذي عندك كلَّه، سَلِّمه الآن، ولا نَفكك حتَّىٰ تسلمه وإلَّا أدخلناك السِّجن، فيُذْعِن ويبقىٰ معهم.

فهذِهِ الجمعيَّات تخدم الحِزْبيَّة، ولا ينبغي الدُّخول فيها، وَلَا خَيْر في أَصْحَابها، وإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجعُونَ، وحَسْبنا الله ونِعْمَ الوَكيل، وصلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه.



السؤال٤٦: يقول السَّائل: أحسن الله إليكم، ما حكم الخوارج؟ أكُفَّارٌ هُمْ؟ ومتى يُبدأ بقتالهم؟ وهل يجب قتالهم؟ وماذا يُفعل بفارِّهم وأسيرهم وأموالهم؟

الجواب: مسألة قتالهم إنَّما يُشْرع بعد خُرُوجهم، وهو للدَّولة؛ لأنَّهم يخرجون عَلَىٰ الدَّولة وعلىٰ الدُّوَل، ويريدون أن يَكُونوا هم السَّاسَة، وأن يَكُونوا هم القَادَة، ويَزْعمونَ بأنَّهم سيُصلحون، وسَيُقِيمون حُدُود الله، وسيقطعون ما يَحْصل من الفَسَاد، هكذا يَزْعمون، ولكنَّهم غَفَلوا عن أن يكون خُرُوجهمْ هو الفساد بعينِهِ.

واللهُ ﷻ قَدْ نَهانَا عن الخُرُوج عَلَىٰ الوُلَاة المُسْلِمِينَ، فالخَوَارج يَزْعمون أَنَّهم يريدون أن يَمْنعوا الفَوَاحِشَ، وأَنْ يقيموا الصَّلاة، ولكن لمَاذَا لا يَعْتنون بالتَّوْحيد، ولا يَمْنعون الشِّرْك الَّذي حَرَّمه الله وجعله مُوجِبًا لحِرْمَان العبد من الجَنَّة، وموجبًا للخُلُود في النَّار، والعياذ بالله؟!

لمَاذَا يَتسَاهلونَ فيه؟!

هَذَا يدلُّ عَلَىٰ أَنَّهم لا يَمْتثلُونَ أَمْر الله ورسولِهِ، وإِنَّما يَمْتثلون أَمْرَ قَادَتهم الَّذين كرهوا الفَوَاحش، ولَمْ يكرهوا الشِّرك! والسَّبَب في ذلك أَنَّ النِّحلة الصُّوفيَّة واقعةٌ في الشِّرك هي بنَفْسها، فكَوْنهم يَتْركون العَقَائدَ، ويُعْنون بالفَضَائل، ويُحَاربون الفَوَاحش، ولا يُحَاربون الأُمُور الَّتي تُبْطل العقائدَ، ولا يذكرونها، ولا يَتكلَّمونَ فيها، بل رُبَّما قَالَ بَعْضهم: «تَوْحيد! تَوْحيد! تَوْحيد! الزَّمان كلُّه تَوْحيد، شِرْك! شرك! شِرْك، الزَّمان كلُّه شرك، فَوَاحش تُعمَل وما زِلْنَا نقول: تَوْحيد وشِرْك؟!».

سبحان الله! التَّوحيد به يَدْخل العبدُ في الإِسْلَام، ولا يكون لعَبْدٍ إسلامٌ إِلَّا بدُخُولِهِ في التَّوْحيد بشَهَادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، فإذا كَانَ هَذَا أمرهم، وهذِهِ عقيدتُهُم، فإنَّا لله وإنَّا إِلَيْه رَاجعُونَ.

ومنذ عَرَف النَّاس الإِسْلَامَ، وخَرَج الخَوَارج في عَهْد عليٍّ بن أبي طالبٍ، لَمْ تَقُمْ لهم دولةٌ، بل وفي كلِّ زمانٍ يَقُومون، لم تَقُمْ لهم دولةٌ، وإِنْ قَامَ لهم بَعْض الشَّيء، فإنَّه يَتلَاشىٰ، ويَنْصر اللهُ المُسْلِمِينَ عليهم.

أَضِفْ إلىٰ أَنَّ الخَوَارج الأَوَّلين كانوا مُوحِّدين، لَكِنَّ هؤلاء الخَوَارج

الَّذين في زَمَاننا مُشْركون، قَادَتهم مُشْركون، والأتباع حينما يَرْضَون الشِّرك ويَأْتَمُّون بأهلِهِ وأصحابِهِ؛ فإنَّهم يَكُونون منهم والعياذ بالله، ونَسْأل الله أَلَّا يُبلِّغهمْ مَآربَهمْ.



السؤال٤٧: يقول السَّائل: في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠].

هل هَذَا الغلام يُعذَّب في الآخرة ويدخل النَّار مع العلم أنَّه لم يرتكب معصيةً بعد، فكيف يُوفَّق بينه وبين الغلمان الَّذين يدخلون الجنَّة؟

الجواب:

أولاً: ما كَلَّفنا الله بِهَذَا العلم.

ثانيًا: أنَّ هَذَا الغلام قُتل قبل أن يبلغ الحِنث.

ثالثًا: أنَّ هَذَا الغُلَام أَبوَاه مُؤْمنانِ، فَخُشي عَلَىٰ إِيمَان أَبَويه مِنْهُ، فقَتَله الخَضِرُ؛ يعني: أنَّه لو تُرك، لأَمْكَنَ أنَّه يُحوِّل عَقيدَة أبيه وأُمِّه، ولكن أَرَاد الله أن يُقتَل قبل أَنْ يبلغَ الحنث حتَّىٰ لا يُعرِّض أَبَويه وإِيمَان أَبَويه للذَّهَاب، أمَّا مآلُهُ فنَرْجو أنْ يكون كغلمان المُسْلِمِينَ؛ لأنَّه لَمْ يَبْلغ الحُلُمَ.



السؤال٤٨: هنا بعض الأسئلة من خارج المملكة، وبعضها من مناطق المملكة، جاءنا سؤالٌ من الرِّياض يقول سائلُهُ: أحسن الله إليك يا شيخ، هل يَكْفُرُ من ينكر الحوض، أو الصِّراط، أو الميزان، أو الشَّفاعة؟

الجواب: الظَّاهر أنَّه يَكْفُرُ؛ لأنَّ هذِهِ ثابتةٌ بالتَّواتر، وقَدْ ذَكَرها اللهُ في القرآن.



السؤال٤٩: وهَذَا سؤالٌ من الكويت يقول سائلُهُ: جَاءَ في الحديث ذكر عشرة فوارس، فهل هَذَا يدلُّ عَلَى أنَّه لا تُوجَد يومئذٍ آلاتٌ ومُعدَّاتٌ حَربيَّةٌ كَمَا هو الواقع الآن؟ وأنَّ الفتح سيكون بالخُيُول؟

الجواب: الَّذي يظهر أنَّ إِطْلَاق الفَوَارس يَكُون يومئذٍ يُطلَق عَلَىٰ السَّيَّارات والمَرَاكب الَّتي تكُونُ في ذَلِكَ الوَقْت، وأنَّها سُمِّيت «فَوَارس» حتَّىٰ لا يَحْصل شكٌّ عند النَّاس حينما يُؤتَىٰ بشيءٍ لا يَعْرفونَه؛ لأنَّ هذِهِ الآلات قَدْ أَشَار إليها القُرْآن إِشَاراتٍ، وأَشَار إليها النَّبيُّ ﷺ، كَمَا في قولِهِ ﷻ: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل:٨].

لو قيل: إنَّكم ستركبون عَلَىٰ الحديد والنَّار، وستطيرون في الهواء، لَكَفَر كثيرٌ من النَّاس؛ لأنَّ النَّاس ينكرون الشَّيء الَّذي لا يألفونه، ولكنْ إشارات تَتضمَّن أنَّ الله ﷻ سيخلق من المَرَاكب ما لا تعلمون، ولا يمكن أن يُوضَّح لكم الآن، لكن إذا وُجدت فسترونها، وتؤمنون بها، وتعلمون أنَّ القرآن حقٌّ؛ لأنَّه أشار إليها إشارةً.

كذلك أيضًا الآيات الَّتي في سورة المؤمن، وسُورَة المُؤْمن فيها المَرَاكب، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي

صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [غافر:٧٩-٨١].

فالمهمُّ: أنَّ القرآنَ أشارَ إلىٰ هذِهِ الأشياء الَّتي ستَحْدث بإشاراتٍ يفهمها أَهْل العلم، وكذلك قول النَّبيِّ ﷺ: «**لا تقوم السَّاعة حتَّىٰ يتقارب الزَّمان، فتكون السَّنة كالشَّهر، والشَّهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالسَّاعة، وتكون السَّاعة كالضرمة**(١) **بالنَّار**»(٢).

وكان النَّاس في الزَّمن القديم قبل حوالي سبعين سنةً، كانوا إذا أرادوا الحجَّ أو العمرة يذهبون من الرِّياض يسيرون شهرًا ذهابًا إلىٰ مكَّة، وشهرًا عودًا إلىٰ الرِّياض، هكذا حَدَّثونا، ومنهم شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ(٣)، وقَدْ حَدَّثنا بذلك غير مَرَّةٍ بهذا، وكان النَّاس من جيزان يسيرون إلىٰ مكَّة خمسة عشر يومًا إلَّا أنَّهم يَترحَّلون في الذَّهاب، فيجعلونها حوالي عشرين شَدَّةً(٤)، وعند الرُّجوع يسرعون، فيجعلونها ثلاث عشرة، أو أربع عشرة، أو خمس عشرة شَدَّةً.

والمهمُّ: أنَّ مسافةَ شهرٍ قديمًا تُقْطَعُ الآن في ساعةٍ عَلَىٰ الطَّائرة، وقَدْ تَحقَّق الآن ما أَخْبَرَ اللهُ عنه ورسولُهُ ﷺ من تَقَارب الزَّمان، وأنَّه لا يجوز للإنسان أن يخوض فيما ذُكِرَ في القرآن بغير علمٍ، ويَنْبغي له أن يَتَّقي الله.



---

(١) يعني الاشتعالة من النار؛ كناية عن سرعتها وانتهائها، «مجمل اللغة» بتصرف، مادة: ضرم.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أي: الشيخ العلامة الإمام المجدِّد عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) أي: مرحلة.

السؤال٥٠: وهَذَا سؤالٌ من الإمارات يقول سائلُهُ: فضيلة الشَّيخ، ما هو ضابط الكفر البواح؟

وإذا ظَهَرَ كفرٌ بواحٌ، ولم تكن الاستطاعة، فلا يخرج درءًا للمفسدة، ولكن هل تبقى له طاعةٌ في غير معصية الله؟

الجواب: الحقيقة، الكفر البواح هو الَّذي يُبيح المُحرَّمات، ويترك الفرائض، ولا يأمر بالصَّلاة، بل يُحرِّمها ويحظرها، فهَذَا لا شكَّ أنَّه كفرٌ، وعلىٰ كلِّ حالٍ، الخُرُوجُ يُبَاح عند الكفر البواح، وعند عدم إقامة الصَّلاة، إذا لم تُقم الصَّلاة، وأُبِيحَتِ المُحرَّمات، وأظهر الكفر، ولم يَتَحاشَ وُلَاة الأمر من إظهاره، فعندئذٍ يجوز الخُرُوج.



السؤال٥١: وهَذَا سؤالٌ من الكويت يقول سائلُهُ: هل مَنْ يُهيِّج بالخُرُوج عَلَى الحُكَّام يُعتبَر خارجيًا، وبالتَّالي يستحقُّ كلَّ ما يَترتَّب عَلَى الخوارج من أحكامٍ؟

الجواب: عَلَىٰ كلِّ حالٍ، هَذَا خُرُوجٌ بالقول، والخُرُوجُ بالقولِ يَترتَّب عَلَيه الخُرُوجُ بالفعل، إلَّا أنَّ الخوارج قبل الخُرُوج يُستَتابُونَ، أو يُعزَّرون إذا عُلِموا، أمَّا إنَّه يجوز قَتْلهم قبل الخُرُوج، فالظَّاهر أنَّه لا يجوز إلَّا إذا خرجوا بالفعل؛ لقوله ﷺ: «**فمَنْ أتاكم وأَمْرُكُم جميعٌ عَلَىٰ رجلٍ واحدٍ يريد أن يُفرِّق كلمتكم، فاقتلوه**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢)، من حديث عرفجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نسأل الله أَنْ يَجمعنا وإيَّاكم في دار كرامته، وأَنْ يجمعَ قلوبَنَا في الدُّنيا عَلَىٰ طاعته، وأَنْ يَرزقنا حُسْنَ الخاتمة جميعًا.

اللَّهمَّ صلِّ وسَلِّم عَلَىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه، والحمد لله ربِّ العالمين.



الفهرس

الفهرس

❑ مقدمة التحقيق ١

❑ التعريف بكتاب «سنن أبي داود» ١٣

۞ اسم الكتاب ١٣

۞ ثناء العلماء على «السنن» ١٥

۞ تأليف أبي داود لكتاب السنة ١٨

۞ أقسام الكتاب وتبويبه ١٨

۞ درجات أحاديث الكتاب وأنواعها ٢١

۞ موازنة بين «سنن أبي داود» و«الصحيحين» ٢٢

❑ ترجمة أبي داود صاحب «السنن» ٢٥

۞ اسمه ونسبه ومولده ٢٥

۞ نشأته ٢٦

۞ علمه ٢٦

- ثناء العلماء عليه ٢٧
- طلبه للعلم وشيوخه ٢٩
- تلامذته والرواة عنه ٣٠
- وضعه الاجتماعي ٣٠
- أخلاقه وصفاته ٣١
- كتبه ٣١
- وفاته ٣٢
- مصادر ترجمته ٣٢

❑ ترجمة فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٥

- اسمه ونسبه ٣٥
- ولادته ونشأته ٣٥
- نشأته العلمية ٣٦
- أعماله ٣٧
- شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم، وهم بالترتيب الزمني ٣٨
- تلاميذه ٣٨
- مؤلفاته ٣٩
- صفاته رَحِمَهُ اللَّهُ ٤٠
- وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ ٤٧
- الخاتمة ٤٨

❏ كتاب السنة باب شرح السنة ٤٩
❏ باب النهي عن الجدال في القرآن.................................... ٦٥
❏ باب في لزوم السنة ٦٨
❏ باب لزوم السنة ٧٧
❏ تابع باب لزوم السنة ٩٥
❏ باب في التفضيل ١٠٦
❏ باب في الخلفاء ١١٣
❏ باب في النهي عن سب أصحاب رسول اللّه.......................... ١٣٣
❏ باب في استخلاف أبي بكر.......................................١٣٩
❏ باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ١٤٢
❏ باب في التخيير بين الأنبياء.......................................١٤٧
❏ باب في رد الإرجاء ١٥٥
❏ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ١٦٢
❏ باب في القدر ١٦٩
❏ باب في ذراري المشركين ١٨٣
❏ باب في الجهمية ١٩٧
❏ باب في الرؤية ٢٠٢
❏ باب في القرآن...٢٠٧
❏ باب في الشفاعة ٢١٠

❑ باب في ذكر البعث والصور ٢١٠

❑ باب في خلق الجنة والنار ٢١٦

❑ باب في الحوض ٢١٨

❑ باب المسألة في القبر وعذاب القبر ٢٢٢

❑ باب في ذكر الميزان ٢٢٨

❑ باب في الدجال ٢٣٠

❑ باب في الخوارج ٢٣٣

❑ تابع باب في الخوارج ٢٣٥

❑ باب في قتال الخوارج ٢٣٨

❑ باب في قتال اللصوص ٢٤٥

❑ الأسئلة ٢٤٨

❑ الفهرس ٢٨٦



الطائفة الناجية المنصورة

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

منارة الإسلام للنشر والتوزيع

دار المنهاج

القول الحثيث

على

عقيدة أهل الحديث

من مقالات الإسلاميين

« للإمام أبي الحسن الأشعري »

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تحقيق وتخريج

حسن بن منصور الدغريري

دار المنهاج

منارة الإسلام للنشر والتوزيع

فتح الرب الغني

بتوضيح شرح السنة للمزني

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تحقيق وتخريج

حسن بن إبراهيم الدغيري

دار المنهاج

منارة الإسلام للنشر والتوزيع

التعليقات البهية

على الرسائل العقدية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

دار المنهاج

منارة الإسلام للنشر والتوزيع